



مَجَلَّةُ مَجَامِعِ الْعَنْدِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْدُنِيَّةِ

السنة الخامسة عشرة

العدد ٤١

تموز - كانون الأول ١٩٩١ م

نوفمبر ١٤١٢ هـ - ربيع الثاني ١٤١٢ د



مَحْلَهُ مُجْمِعُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْبَعِين

السنة الخامسة عشرة

المدد ٤١

نسوز - كفرن الأول ١٩٩١ م

ذو القعدة ١٤١٢ - ربیع الثاني ١٤١٣ هـ



مَكْتَبَةُ

لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل lisanearb.com

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الاستاذ عبد الكرييم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء:

الأستاذ محمود السمرة نائب رئيس المجمع
الأستاذ سعيد التل
الأستاذ محمود ابراميم
الأستاذ عبدالرحمن بشناق
الأستاذ قنديل شاكر
الأستاذ عبد الجيد نصیر
الأستاذ احسان عباس
الأستاذ عبد اللطيف حربیات
الأستاذ عبد العزیز الدویری
الأستاذ ابراهيم زید الکیلاني
الأستاذ همام غصیب

فهرس العدد (٤١) لعام ١٩٩١ م

أولاً : البحوث

- ١ - المدارس والمعاهد العليا ؛ دورها في النهضة العربية الحديثة
الدكتور صالح الخرفي ١١
- ٢ - نصوص تراثية حول وجود محتب في المجتمع القرشي قبل الإسلام
الدكتور إحسان صدقى العمد ٥٥
- ٣ - نظرات في كتاب «من غاب عنه المطرب»
الدكتور عبد الإله نبهان ٧٩

- ٤ - حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية
الدكتور ربيحى مصطفى عليان ١٣١

- ### ثانياً : مع الكتب
- وقدقات ؛ في مجلة مجمع اللغة العربية الأردنية
الدكتور إبراهيم السامرائي ١٦٣

- ### ثالثاً : تعليقات ومناقشات
- ١ - الساد ؛ أسماء هجينة والأصل عربي
الدكتورة سرى سبع العيش ١٩٥

- ٢ - المستدرک على «المعجم العربي الأساسي»
الدكتور محمود شاكر سعيد ١٩٩

- ### رابعاً: أخبار مجتمعية

٢١١

أولاً : البحوث

المدرس والمعاهد العليا دورها في النهضة العربية الحديثة الدكتور صالح الخري

في الربع الأخير من القرن الماضي ، والربع الأول من القرن الحالي ، لم يكن قطر واحد من أقطار الوطن العربي في شرقه وغربه ، يت نفس حرية ملء رتيه ، بل إن هذه الحرية كانت منعدمة أصلاً بالنسبة إلى أقطار واقعة تحت الاستعمار المباشر ، خانق الحريات ، وأقطار أخرى لم تتنفس حرية غير مشوهة بوصاية أو حماية ، أو انتداب أو استبداد . تعددت الأسباب والموت واحد .

• ألقى هذا البحث في الذكرى الخامسة والستين لمعهد الحياة بالجزائر . و (معهد الحياة) بمدينة (القرارة) ولاية غرداية . جنوب الجزائر ، يعتبر أقدم وأول معهد عال حر في القطر الجزائري ، أُسس سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩٢٥ م زعيم الحركة الإصلاحية في جنوب الجزائر ، وأحد المؤسسين الأوائل لـ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١ ، العلامة الراحل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (١٨٩٩ - ١٩٨١) ومنذ التأسيس في المئتين لم يتوقف المعهد عن رسالته التربوية والتعليمية في مختلف العلوم الشرعية والحضارية والإنسانية ، وقد استوحيت برامجه منذ الخمسينيات المواد العلمية واللغات الأجنبية ، وتخرج في المعهد المئات من رجال الإصلاح والتربية والتعليم والأدباء والكتاب والشعراء وأعضاء الجuntas العلمية خارج الجزائر ، يدير المعهد منذ الأربعينيات أستاذ الأجيال المتغيرة شريفى سعيد أمد الله في عمره .

والآمال المكبوتة التي كانت تتفجر وتتصاعد مع انتفاضة شعبية عارمة أو زعامة وطنية ثائرة، هذه الآمال سرعان ما تهادى أشلاء مع انكسار تلك الانتفاضة في وجه القوة الغاشمة، أو اندحار تلك الزعامة وتمزقها بين الوعود الأجنبية الخادعة، والأطامع الاستعمارية العبيدة لاقسام الوطن العربي وأغتصاب حریته واستقلاله.

كانت الفجائع والنهيات القاتمة متواالية، متواترة، وتکاد تكون متوازنة توارث التصميم على التصدی وعدم الاستكانة، توادر الاستماتة على إحياء الأمل في الخلاص وعدم الرکون إلى اليأس، توالي البیقة الوطنية في مواجهة الدسائس الأجنبية.

لکن النهيات القاتمة كانت كفيلة بمضاعفة الشعور بالإحباط من ناحية، وقدرة من ناحية أخرى على تفجير طاقات جديدة، وطرق مستجدة لضميد الجراح واستقطاب الغلول لجولة قادمة في الدفاع عنعروبة والإسلام.

كان الصراع بين الأمل واليأس في أوجهه. والتجاذب بين الصحوة والغفوة في ذروته، والتنازع بين إحساس بالذات متتصاعد، ومؤامرات على الذات متكالبة، فأخذت الثورات برقب بعضها، وتسللت الجولات التاريخية، والمواقف البطولية التي لم يجد فيها المستعمرون إلا الذريعة المبررة لاحکام الحصار على الوطن العربي، والتهم ما تبقى من أجزاءه، والإطباق على كل شبر فيه^(١).

وفي الوقت الذي كان فيه التأمر الأجنبي على الثورات الصلحة يزداد ضراوة، والحصار الاستعماري لكل انتفاضة يتطاول إخماداً لأنفاسها، والمواجهة مع الدخيل تتنقل من الصراع المسلح إلى الفتك الروحي المبيت، والتسميم العقلي المندس، واجتثاث الشخصية الوطنية من

جذورها الروحية والعلقية، ومحوها من خارطة العالم الإسلامي.

* * *

في هذا الوقت المصيب، والمنعرج المصري الخطير كان الله يهوي، لهذه الأمة من أبنائها البررة من يجدد دورتها الدموية، وينشط القلب في نبضاته المتباطة، ويتدارك الإسلام في معاقله الروحية، بعد إنهاك حصونه البطولية.

وكخط تراجعي في مواجهة الكفر والفرار، وسجال المعركة، تناست فكرة المواجهة السياسية للتدخل وهو في عقر الدار، بعد فشل المواجهة المسلحة وهو على عتبتها. انتقلت المعركة من السواحل والثور والحدود وحتى أسوار المدن، إلى داخل المدينة نفسها. وعندما يكون وقع القدم الغازية للوطن بداية معركة البقاء فيه بالنسبة إلى التدخل، يصبح التحصن الروحي، والتصدي الفكري، والتحدي السياسي في حساب المواطن بداية معركة الانعتاق واسترجاع الكرامة.

انبعثت فكرة الإصلاح السياسي في زعماء العالم الإسلامي الذين كانوا أقرب عهداً إلى الثورات المسلحة المهيضة، وبعدهم من شهدوا هذه الثورات^(٢) وأخرون من أبناء شهدائها وأبطالها، فالدم المطلول لا يزال ساخيناً، والجرح لا تزال غائرة، والذكريات الآلية نابضة حية لم تقو الأيام عليها بعد، فكان من الطبيعي أن يتذرر الإصلاح الديني، الإصلاح السياسي مباشرة^(٣).

فانتفض (جمال الدين الأفغاني)^(٤) ينفع الروح في الدين والسياسة ويصل شبات الأمة بـ(العروة الوثقى) ويجب العالم الإسلامي داعية مستفراً، يواجه الاستبداد في أحكماته وحكامه، ويفضح الغرب في أطماءه وغاياته، فعاش طريداً من هذا وذاك، حتى قضى مكتوم النفس، مخنوق

الصوت، ولم يزل وسيقى (الرجل المفترى عليه) لأنه رمز من رموز الصحوة الإسلامية الصادقة التي يرهبها أعداء الإسلام^(٥).

وانتفاض معاصرأ له (عبد الرحمن الكواكبي) ومناصرأ^(٦) يفضح أمام أمرها المغلوبة على أمرها، المقاتلة في وعيها (طائع الاستبداد) ويستنفرها مؤتمر مشهود، واجتماع حاشد في (أم القرى) لتدبر أمرها^(٧) وتستشرف مصيرها، وكأنه يهيب بالآمة أن تزورب إلى النبع الأصلي من جديد، وتتعدد أدرجها إلى مهد الإسلام الأول إن أرادت لنفسها خلاصاً في حاضرها، ومصيرأ محموداً في غدها.

وتجاوالت الدعوات الإصلاحية المشوهة بالفكرة السياسية، وتنادى زعماؤها مشرقاً ومغرباً، وكثير أتباع (الأفغاني) وأبناء (العروة الوثقى)^(٨) فما من زعيم مصلح في هذه الفترة إلا ولوه في السياسة قدم صدق إلى جانب آخرها في الإصلاح الديني، بعضهم خاصها نظرياً وفكرياً، وبعضهم عزز الفكرة والنظرية بالتطبيق العملي، فكون الخلبة، وأسس الحزب. وقلة أويت فرصة عابرة في السلطة فاحتلتها لتطبيق الفكرة السياسية والإصلاحية معاً^(٩).

إن ربط الإصلاح السياسي بالإصلاح الديني في جبهة واحدة كان السمة الفالبة على الحركات الإصلاحية في أول أمرها في القرن الماضي، لقرب عهدها أو معاصرتها للمواجهة الحامية للاحتلال الأجنبي، والاستبداد (العرقي) من ناحية، ومعاناتها من ناحية أخرى من الانحراف الديني، والتضليل العقائدي، فالجهات كانت متداخلة، والتعبئة موزعة ، ولم يكن في مقدور رجل الإصلاح أن يولي ظهره للضييم المسلط على الآمة متفرغاً للإصلاح الديني وحده.

والجانب السياسي في زعماء الإصلاح الديني، في عهد الاستعمار والتبغية كان السبب المباشر للتنكيل بهم، والمحجة الشرعية في اجتهاد

الحاكم لمعاردهم، ولو تبعنا الإصلاح السياسي بمختلف جهاته مشرقاً ومغرباً، ونماقب جولاته من قرن سابق إلى آخر لاحق، واستقر أنا مسيرته لينا وشدة، اعتدالاً وتطرفاً، إصلاحاً للدين والسياسة معاً متمثلاً في نظام تربوي، أو جمعية وطنية، لو استهدافاً لإصلاح السياسة مباشرة، مجسماً في (مؤتمر قومي) أو (حزب سياسي)؛ افتقاراً على المطالبة ببعض الحقوق الاجتماعية والنيابية في حكم التبعية، أو تطلعأً إلى التساوي في بعض الحقوق السياسية مع رعايا الحكم الدخيل^(١٠)، لوجودناه يلقى مصيرأ واحداً.

هذا التملل السياسي باوجهه المختلفة لم يكن في حساب المحتل أو المتسلط على الوطن العربي إلا خروجاً عن الطاعة، وامتداداً للعصيان المسلح، ومواصلة للتحدي. فلم يكن حظ هذه الجولة من الإصلاح السياسي بأسعد من سابقتها في ميادين الاستشهاد. فكان الغاصب بالمرصاد لكل نفس إصلاحية لا يرخي له الزمام إلا لمفاجأته من مأنته، فإذا أخذه لم يفلته. فتراوحت مصائر زعماء الإصلاح الديني والسياسي بين النفي والإبعاد والزج في السجون والتسلّي على أعواد المشانق، والاستشهاد غيلة في الميادين والساحات العامة في الوطن المستباح وبين أبنائه المقهورين^(١١).

كانت الحركات الإصلاحية السياسية تلقي ما لاقته سابقتها في موقع المجابهة المسلحة، وتترجع الفصوص بعينها. ومن ثانياً هذه المحنة، وفي أحشائها كان المخاض لوريث جديد للأمانة، وبديل وليد لحمل الرسالة، استوعب التجربة الفاشلة، ووعي العبرة الكائفة، وخبر العدو في مقاتله، واستقصاه في مخانله. فانتهت للإصلاح منهجاً مغايراً، احتفظ فيه بالمقومات المرجعية للإصلاح الديني، وحافظ على الثوابت المكونة للشخصية العربية المسلمة، واستبعد - مرحلياً - الأهداف السياسية. تبرأ منها مظهراً، واسترها للمستقبل الكاشف.

هذا الوليد الوريث هو الإصلاح الديني التربوي والاجتماعي بالمفهوم (العبدوي) المتربي من (ساس ويسوس) والحاصل لمبدأ : (ما دخلت السياسة أمراً إلا أفسدته) وبالرغم من استاذية (الأفغاني) للشيخ محمد عبده والتلقانهما في (العروة الوثقى) فإن إخلاص الطالب لاستاذه كان كفيلاً بأن لا يعرض إرثه للضياع مرة أخرى بالتشبث الأرعن بالوجهة السياسية العجلة في رياح معاكسة هوجاء^(١١).

ومن اللافت للنظر أن هذا المفهوم (العبدوي) للحركة الإصلاحية هو الذي لقي صدأه في أبناء المغرب العربي في أواخر القرن الماضي وأوائل قرننا هذا فلتقوه على ظلماً، فقد كانت المحن المتواتلة، والنكبات المتعاقبة كافية لتعزيز القناعة بالانكفاء على الذات، تداركاً لها قبل الفوات، وترميها لمعالتها قبل التلاشي ، واللحاق بالمواطن في نفسه الأخير ، دينه ولغته.

ولقد اعتبرت المناقشات في الأوساط العلمية في المغرب العربي حول (محمد عبده) وحركته الإصلاحية، من من كانوا له أو عليه، بدايات النهضة الإصلاحية الحديثة، وكان الإرث الديني والفكري ، والزرصاد القلمي ، والزيارة الشخصية كفيلة بتعزيز هذه البدايات والوصول بها إلى حد (الحزب الديني المصلح) فقال الشيخ رشيد رضا وهو يوزع لزيارة الإمام (عبده) أقطار المغرب العربي في مستهل القرن ، (وقد وجد له في تونس والجزائر حزباً دينياً ينتهي إليه من حيث لم يكن يعلم)^(١٢).

وتتجاوزاً مع المبدأ (العبدوي) في إبعاد السياسة عن الإصلاح ، صدرت بعض الصحف الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى في ظل هذا المبدأ، بل جعلت الإمام بعد وفاته بعشر سنين (المشرف الديني على الجريدة)^(١٣).

وصيغت القوانين الأساسية للمؤسسات الإصلاحية في العشرينات

برية متبرة مما يمتد إلى السياسة بسبب، فتضمن القانون الأساسي لـ(نادي الترقى) بعاصمة الجزائر سنة ١٩٢٦ مادة تنص على (تحريم الخمر والميسر والمناقشات السياسية في النادي)^(١٣) ويوم تأسست (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١ نص الفصل الثالث من قانون الجمعية على ما يلي : (لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية)^(١٤).

بل إن الحركة الإصلاحية قبل تأسيس الجمعية تذهب إلى مدى أبعد في التقىة، وفي ذر الرماد في الأعين حين تحمل مجلة (الشهاب) الأسبوعية من ١٩٢٦ - ١٩٢٩ الدبياجة التالية (مجلة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية) ولم تتردد (الشهاب) في أن تواجه مناورتها هذه، ومعادلتها الصعبة بمقال صريح بعنوان (نحن والسياسة) : (نحن والسياسة الجزائرية، ليس لنا من سياسة إلا السياسة الفرنسية الديمقراطية البعثة التي أنبت على الحرية والأخوة والعدالة)^(١٥).

والشيخ محمد عبده في زيارته للجزائر سنة ١٩٠٣ أكد قضية التعليم، وكأنه يعود بالمسلم المغلوب على أمره في ظلمات الجهل والقهر إلى إشراقة الرسالة السماوية (اقرأ) وتحاشى الإمام المصلح أن يخوض في السياسة حتى إن الشيخ رشيد رضا ليتمس له ما يشبه العذر حين أرخ للقاء (عبده) بالجزائريين فقال : (وكان خطابه إليهم على ما ترى من الذين تمثيا مع مبدئه : ما دخلت السياسة أمراً إلا أفسدته)^(١٦).

★ ★ ★

فالحركات الإصلاحية في هذا المنعطف من النهضة العربية الحديثة قامت أساساً لإعادة بناء المواطن على هدي من الله ورسوله، وبناء الشخصية رسالة تربوية وتعلمية بالدرجة الأولى . وإذا تلمسنا القضية التربوية في هذه الفترة وجدناها موزعة على أكثر من موقع ، تعليم موروث أو مستحدث ، أصلي أو دخيل.

التعليم المسجدي : ورثت المساجد الكبرى في العالم الإسلامي أمانة النهوض بالرسالة التربوية ، وما من شك في أن هذه المساجد اعتبرت لفترة طويلة وقرون متالية (جامعات إسلامية) يشهد لها التاريخ بالشهر الأمين على الإسلام والعروبة ، وعلى توفير المعرفة في حدود الزمان والمكان والإمكان .

ومع بداية النهضة العربية الحديثة التي أعقبت قروناً من الانحطاط في كل نواحي الحياة أخذ التعليم المسجدي يقصر عن الاستجابة للمطالب المعاصرة له ، وبدأت دعوات الإصلاح تتوالى لبعث روح جديدة في حلقات الدروس في هذه المساجد الجامعية ، واستلهم طرق تربية ثور العقل وتخفف من وطأة النقل والتلقين ، واستقطاب معارف وعلوم لها علاقة بالمعاش لم تألفها هذه المؤسسات في فترة التخلف .

ومن منطلق الفكرة الإصلاحية نجد هذه المساجد قاصرة حتى عن التربية الدينية التي هي قوام رسالتها ، فقد تقرّقت في النّظره المُختلفة ، والأفق الضيق ، والتلقين المجرّ ، والموقف المتشلّل عن معرك الحياة ، ولم تكن في ذلك إلا انعكاساً للشلل الذي أصاب الحياة العامة .

وقد حفظ لنا التاريخ انطباعات للمرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي عن الوضع التعليمي في بعض المساجد الكبرى في رحلته إلى المشرق العربي سنة ١٩١٢^(١٧) ، فكتب عن حلقات الدروس في المسجد النبوي في المدينة المنورة يقول :

«وطفت بحلق العلم في الحرم النبوي مختبراً، فلم يرق لي شيء منها، وإنما هي غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء، ولم أجده علمًا صحيحاً إلا عند رجلين هما شيخي الشیخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفیض أبادي الهندي»^(١٨).

وفي موقف آخر ، يشير (الإبراهيمي) إلى اجتماعه بالشيخين (العقبي) و (ابن باديس) في الحجاز قبيل الحرب العالمية الأولى ، وعودة الثلاثة إلى الجزائر :

« وإن هذه الفتنة التي رجعت من الحجاز بالهدى المحمدي الكامل ، قد تأثرت بالإصلاح تأثراً مباشراً، مستمدأ قوته وحرارته من كلام الله وسنة رسوله مباشرة ، ولم تكن قط متأثرة بحال غالبة في الحجاز ، فلم يكن للإصلاح في ذلك الوقت شأن يذكر في الحجاز إلا في مجالس محدودة ، وعند علماء معدودين »^(١٩).

وتزول ظروف الحرب ونوره (الشريف حسين) بـ (الإبراهيمي) إلى دمشق سنة ١٩١٨^(٢٠) بعد ترحيل سكان المدينة من قبل الجيش التركي ، ويعطينا ومضة أخرى عن الدروس في (الجامع الأموي) فيقول :

« ثم حملني إخوانني على إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي ، فسمع الناس شيئاً لم يألفوه ، ولم يسمعوا إلا في دروس الشيخ بدر الدين الحسني المراكشي ، فقد كنت أملي التفسير بما يوافق روح العصر وأحداثه »^(٢١).

و (جامع الأزهر) في القاهرة لم يكن في وضع أحسن ، وإنما كان في حاجة إلى دعوة (محمد عبده) الإصلاحية ، بل إن الأزهر في جانب كبير من علمائه ومشائخه حارب هذه الدعوة ، وتصدى لباعتها بكل وسائل التشريح والخدلان ، ودفعه إلى الهجرة والاعتراض ، و (الإبراهيمي) وهو يزور للحركة الإصلاحية في الجزائر ويتضد بآياتها يقول :

« ولو شاء ربك لرمى الجزائرين بقدمة من الحجاز مضللة ، تتخذ من حرم الجوار شركاً جديداً ، وتحجعل منه غللاً في الأعناق شديداً ، كما رماها بطائفة من الأزهريين الجامدين ، فنادوها فرحاً على قرح ، وكانوا ضفنا على أبالة »^(٢٢).

وكان للدعوة (العبدوية) إلى إصلاح التعليم في (الازهر) أثرها في الدعوة إلى إصلاح نظيره في (الزيتونة) بتونس وازدادت هذه الدعوة بالحاجاً وعنتاً في مستهل هذا القرن^(٢٣)، واستمر الإلحاح من أجل إصلاح التعليم الزيتوني متصاعداً، فقد كانت (الزيتونة) قلعة من قلاع التحدي في وجه الدخيل، وقبلة أبناء المغرب العربي، وما كان يرضي محتل البلاد أن يرى القلعة راسخة الأركان، عالية الأسوار، شامخة الأبراج، عاصمة الجنبات، وكما ترعم (محمد عبد) إصلاح التعليم الأزهري، ترعم (الطاهر ابن عاشور)^(٢٤)، إصلاح التعليم الزيتوني، وحتى مستهل الثلاثينيات كانت النظرة الإصلاحية في الجزائر إلى الوضع التعليمي في الزيتونة، كما حددتها (الزاهرى)^(٢٥):

«منزلة جامع الزيتونة في قلوبنا، وقلوب الأمة الجزائرية كلها، هي منزلة عالية جداً، فكلنا نحبه ونرضاه ونهفو إليه، ونتمنى له الخير وزيادة العمران، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نبدي ملاحظتنا على ما نشاهد فيه مما لا يتفق وسمعته، ويضيف : إن التعليم بحالته الحاضرة في الزيتونة هو مما لا يليق بكرامة تونس، ولا بسمعة هذا المعهد الديني الكبير»^(٢٦).

* * *

ذلك هو وضع التعليم في كبريات المساجد في أوائل هذا القرن، ولنا أن نتصور وضعه فيما دونها، تعليم قاصر عن الأصلية، ولم يطل المعاصرة. تشهد عهود الانحطاط إلى الوراء، وتقطع أنفاسه دون الأمام، وبين تقديم رجل وتأخير أخرى، نشأت حركات الإصلاح في صلب هذه المساجد، وكانت هذه الحركات إحدى المعارك الكبرى مع المستعمر الذي لا تتعدى أطماء إلا في تخلف الشعب الذي يحكمه، ومع اذنابه من رعاة هذا التخلف ورعاياه، تعليم أريد له أن يحيط في دائرة التبعية، والإرادة المثلولة، وأراد الإصلاح له أن يخرج إلى دائرة الضوء والإبصار وحمل الأمانة.

والضمائر الحية المؤمنة، الحريصة على الحفاظ على رسالة المسجد تربوياً وتعليمياً، والداعية إلى دعمه بالأساليب في التربية الحديثة، كانت تتطلع منذ القرن الماضي إلى الانفتاح على المدرسة الحديثة، وساعدت على هذا التطلع وأذكاء اتصال الشرق بالغرب عن طريق البعثات العلمية إلى خارج الوطن العربي، فعادت هذه البعثات تحمل روحاناً معاصرة إلى جانب أصالة لم تفقدها، فقد كانت هذه البعثات خريجة تلك المساجد التي أشرنا إليها، استوعبت نقاط الضعف في تعليمها الأصلي، فلتمست له سبل الإصلاح بعد العودة، فنشأت بعض المدارس الرائدة في النهضة العربية الحديثة، تلك المدارس التي يمكن اعتبارها الحلقة الوسطى في النقلة من التعليم المسجدي إلى الدراسة الجامعية بمفهومها الحديث. فنشأت (مدرسة الألسن) في القاهرة في عهد (محمد علي) وبمبادرة من (رفاعة الطهطاوي) المصلح الأزهري، وإمام أول بعثة علمية مصرية إلى فرنسا وواعظها، ونشأت (مدرسة دار العلوم)^(٢٧) في عهد (إسماعيل) بمبادرة من (علي مبارك) العائد^(٢٨) من باريس بشهادة مدرسة المهندسين، ونشأت (المدرسة الصادقية) في عهد المصلح (خبير الدين باشا التونسي) بمبادرة من عضده الأيمن (محمد بيرم الخامس). ومن الصادقية تخرجت أول بعثة تونسية لاستكمال التعليم العالي في باريس برئاسة (البشير صفر) مؤسس (المدرسة الخلدونية)^(٢٩).

هذه الآحاد من المدارس العليا وغيرها، بالرغم من ريادتها منطلقاً، وأصالة مرجعها، ونبيل خياتها، خضعت لظروف قاسية، هي ضريبة الريادة دائمًا، خاصة عندما خضعت البلاد العربية للتدخل الأجنبي الذي أدرك خطراً هذه المؤسسات على وجوده، فسلط عليها هي الأخرى لتحويلها عن مسارها الوطني وإخضاعها لنواياه المبيبة، لم يصل بعضها إلى الزرج بها في

موقف المناهضة للثقافة الوطنية، وتفجيرها بذرة للصراع بين أبناء الوطن الواحد:

ونحن في غنى عن الحديث عن المدرسة الأجنبية الزاحفة مع المحتل، والجائحة على أبناء الوطن سواء كانت هذه المدرسة (فرنسية) أو (إنجليزية) أو (إيطالية) مدارس اتحدت متطلقاً وغاية في القضاء على الشخصية الوطنية، عقيدة ولغة، فكراً وثقافة، ومسخ هذه الشخصية وتركها في وضع هي فيه (لا شرقية ولا غربية) تصديقاً لما قاله أحد رجال التربية الاستعمارية الفرنسية :

«ليس الغرض من فتح المدارس في شمال إفريقيا، أن تكون عقولاً مثل عقول موشكيو، أو جان جاك روسو أو فولتير. ولكن لنبدل لغة بلغة وعادات بعادات»^(٣٠).

والشيخ أبو اليقطان الصحفى المصلح^(٣١)، رائد البعثات العلمية من الجزائر إلى تونس قبل الحرب العالمية الأولى، يتحدث عن الشبيبة الجزائرية في مواجهة المدارس الأجنبية الفرنسية في أواسط العشرينات (١٩٢٣) فيقول:

«لم تكن كل العلوم، وكل المدارس، تعطيها سلاماً تناول به بعثتها، مع المحافظة على دينها المقدس، وروحها الملبية، وعوائدها القومية»^(٣٢).

ولم تقترن هذه الغربة على النظام التربوي فحسب، وإنما انساحت على الحياة العامة وسممت المناخ العربي الإسلامي لا في مغربه فقط وإنما في المشرق العربي، فضل الاغتراب ملاحقاً الأفكار والمناهج والحياة العامة، وأصبح الاغتراب عن الأصالة رديفاً للتفتح، والانتماء، والوفاء لها رديفاً للرجعية والانطواء.

و (محب الدين الخطيب)،^(٣٣) أحد رجال النهضة العربية الإسلامية

ال الحديثة، يتحدث عن الفترة نفسها (١٩٢٧) التي عالجها أبو اليقظان، ولكن في موقع آخر هو القاهرة، فيقول:

«وكان جو القاهرة الفكري والثقافي في ذلك الحين، متشبعاً بروبوة الأخذ بثقافة الغرب بكل ما فيها من خير وشر، وجد وهزل، وأكثر القائمين على التدريس، والعاملين في الصحافة، والمتربّدين على الأندية والمجتمعات، يعتقدون كل تزعة إسلامية رجعية وجموداً»^(٣٤).

وهي الفترة ذاتها التي عالجها الإمام المصلح عبد الحميد بن باذيس وهو يتحدث عن الشباب الجزائري غداة صدور جريدة (المتفقد) سنة ١٩٢٥ باكورة صحافة (جمعية العلماء)^(٣٥).

«أعلن (الشهاب) من أول يومه و (المتفقد) الشهيد قبله أنه (لسان الشباب الناهض بالقطر الجزائري) ولم يكن يومذاك من شباب إلا شباب أنساء التعليم الاستعماري لغتها وتاريخها ومجدده، وقبع له دينه وقومه، وقطع له من كل شيء - إلا منه - أمله، وحفره في نفسه تحفيراً»^(٣٦).

★ ★ ★

والشرق العربي عانى من اغتراب آخر في الفترة نفسها، غير الاغتراب الذي فرضه الاحتلال الأجنبي بعساكره ومدارسه، وهو الاغتراب الذي فرضته التزعة العرقية التورانية الترتكيبة. وقد بلغت هذه التزعة أوجها مع وصول (الاتحاد والترقي) إلى الحكم في الآستانة وقلب للشعوب العربية ظهر المجنّ. وتتحدث ثيقة (استراتيجية تطوير التربية) عن وضعية التعليم في الشرق العربي تحت السلطة العثمانية في أواخر القرن الماضي وأوائل قرننا هذا^(٣٧):

«كان التعليم المستحدث يسير بطيئاً، وكانت اللغة التركية هي المعتمدة في الغالب، وكانت مؤسسات التعليم العالي تكاد تكون محصورة

في الآستانة ما عدا معاهد قليلة في بعض المدن العربية، مثل بيروت ودمشق، وبغداد».

وإذا أردنا أن نتفحص الوضع بصورة أكثر دقة، وخطونا خطوة داخل (المدرسة السلطانية) في دمشق، الثانوية الوحيدة في العاصمة الأممية قبل الحرب العالمية الأولى، فلنستمع إلى (محب الدين الخطيب) الذي درس فيها:

«كانت لغة التدريس في هذه المدرسة الثانوية الأميرية اللغة التركية حتى نحو اللغة العربية وصرفها كانا تعلمهمما من كتاب باللغة التركية، يسمى (المشذب) فقرته نظارة المعارف العثمانية لمدارس الأنضول والروم إيلي، فكان مفروضاً على مدارس الحكومة في الولايات العربية كذلك أن تستعمله في تعليم أبناء العرب نحو لغتهم وصرفها، بل كان معلم العربية في مدرستنا شيخاً تركياً مسناً أرسلوه إلينا ليعلمنا العربية في عاصمةعروبة والإسلام»^(٣٨).

ولم تعرف (الزعنة التربيكية) في الآستانة بـ (رسمية اللغة العربية) إلا في سنة ١٩١٣ تحت ضغط المطالب التي رفعها المؤتمر العربي الأول في باريس، حتى إن هذا الاعتراف ليعتبره الصحفي الجزائري (عمر بن قدور)^(٣٩) جاء بعد فوات الأوان، وبعد اتساع الخرق على الرايق، فكتب في جريدة (الفاروق) في السنة نفسها:

«بعد ذلك الخذلان العظيم، وبعد ذلك التباين المبين، وبعد ذلك الشقاق بين العنصرين التركي والعربي، انتبهت الحكومة العثمانية إلى قيمة اللغة العربية، وقيمة عنصرها الشريف، وقيمة الاعتناء بها، فقررت - بعد أن اتسع الخرق على الرايق - جعل اللغة العربية لغة رسمية بعد اللغة التركية، وتدريسها في المدارس الابتدائية».

وهل بعد اتساع الخرق، يسهل الأمر على الواقع؟ نسأل الله أن ينفع
المدارك إلى الإصلاحات النافعة للشرق»^(٤٠).

في هذا الحصار المطبق، تكون الشخصية الوطنية العربية المسلمة قد تراجعت في مواجهة الاحتلال حتى الخط الأخير للدفاع، وأصبحت مهددة في بقائها ووجودها لأنها مستهدفة في دينها ولغتها، فلم تعد المعركة في سبيل حقوق أو سيادة، وإنما معركةبقاء وجود. وصدق قول أحد زعماء الإصلاح في الجزائر في العشرينات: «لو تأخرنا عن هذا الشعب عشرين سنة لما وجدنا فيه ما يصلح للإصلاح».

في هذا المنعطف المصيري، والمعترك الوجودي، تبرز الحركات الإصلاحية الحديثة التي كرست جهودها لإعادة بناء الإنسان المسلم العربي، الذي هو رأس المال المهدد بالتصفية والإفلاس. وتصحيح علاقة هذا الإنسان بخالقه، وتنقية لقائه بيته، وترشيد فهمه لكتاب الله وسنة رسوله، ومراجعة فهمه لذاته ورسالتها في هذه الحياة.

وفي ظل هذه الحركات الإصلاحية، انبعثت المؤسسات التربوية والتعليمية الحرة في شرق الوطن العربي ومغربه، ومن بينها (معهد الحياة)^(٤١) وربما انبعثت المدارس، بمبادرات فردية، من رواد مصلحين فاحتفى بها ذوق البر والإحسان فأقاموها صرحاً للتاريخ. وإنك لتزور خبعج وباعجاب أن هذه المؤسسات قامت على جهد الشعب وعطائه، على ما في الجهد من وهن، وما وراء العطاء من كفاف، في فترة من الفهر والإذلال قاتمة. فالمؤسسات استجابة لثقافية لنفس الشعب، وانعكاس عفوئي لاستشراف المستقبل في الرواد من أبنائه، وهي بالأحرى خط دفاع جماهيري عن الإسلام في محنته الكبرى مع الاستعمار والاستبداد والتخلف.

وفي الوقت الذي كان فيه الاحتلال الاجنبي يكسر كل مؤامراته لإبادة الأداة اللغوية لهذه النهضة العربية، وإحلال لغته الدخيلة محلها لأنه مدرك بمكر نافذ أبعاد بقاء اللغة حية في الضمير، نابضة في القلب، معبرة في اللسان، تدينه دخيلاً، وتتوعده طريداً، في الوقت ذاته كانت الحركات الإصلاحية تدرك هي الأخرى، بوعي الأصالة وشفافية الصدق، أن معركتها مع الدخيل تبدأ من بناء المواطن، وبناء المواطن يبدأ من تصحيح العقيدة، وتصحيح العقيدة قوامها تقويم اللسان العربي المبين.

«إن إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدهنا، وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدّهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلafهم»^(٤٣).

ومن اللافت للنظر، والباعث على التقدير أن ما توصلت إليه مؤخرأ وثيقة (استراتيجية تطوير التربية في الوطن العربي) من الترابط الأزلي بين الإسلام والتربية، قد انطلقت منه منذ بداية هذا القرن المؤسسات التربوية في ظل الحركات الإصلاحية، فالوثيقة تقرر:

«أن في الإسلام عقيدة ونظاماً، قوام الحياة السليمة للإنسان والمجتمع، وقد اهتدى به العرب، كما اهتدت به أمم أخرى غيرهم، فكان أساساً لحضارة إنسانية شاملة، وعماداً لثقافة غنية بانماط الحياة السليمة. فلا بد أن تستلهم أصوله ومبادئه، وأن يستند إليها في تطوير التربية العربية، وفيما يتربّ عليها من تطوير المجتمع وتتجدد»^(٤٤).

فهذه المؤسسات التربوية والتعليمية، قامت في أحضان المساجد، مجاورة لها، نابعة منها، وامتداداً لها، فهي تطوير للرسالة المسجدية وليس انفصالاً عنها، واعتمدت كتاب الله وتفسيره في صدارة برامجها، واللغة العربية في صلب مهامها، ولم تقصر في افتتاح على علوم عصرية، ما

ووجدت إلى ذلك سبيلاً، بل تخطتها إلى لغات أجنبية من غير عقدة أو انطواء.

إن الحركات الإصلاحية اعتمدت بناء المسجد والمدرسة معاً، فهي تصلح للدين والدنيا، فما قام مسجد إلا واحتضن مدرسة أو معهداً في رحابه وذلك ما عهدهناه، في المؤسسات التي نهضت بها (جمعية العلماء) أو (النهضة الإصلاحية) في جنوب الجزائر^(٤٤).

وهذه الرسالة الدينية والدنوية تبعد عن هذه المؤسسات شبهة الانطواء والعزلة عن معرك الحياة، بل إن جهودها في بناء المواطن على قاعدة تربوية وطنية سليمة تضعها في مصاف المواجهة المتقدمة لمحتل البلاد، والأيام أثبتت ذلك، والأحداث شاهدة على ذلك.

قامت هذه المؤسسات استجابة لضمير حيٍّ، وبصيرة نافذة في زعماء الإصلاح مشرقاً ومغارباً، وانبعثت تلبية لحاجة ملحة، وسدأ لفراغ لم تقو على سدّه المؤسسات الموجودة في الساحة العربية آنذاك.

ونعود إلى قوله الشيخ (أبي اليقظان) عن وضع الشبيبة الجزائرية في مواجهة المدارس الأجنبية لا في الجزائر فحسب وإنما في تونس، فهو يتحدث عن البعثة التعليمية من جنوب الجزائر إلى الخضراء بعد الحرب العالمية الأولى :

«لم تكن كل العلوم وكل المدارس، تعطيها سلاحاً تناول به بعيتها مع المحافظة على دينها المقدس، وروحها المثلية، وعواينها القومية، ففكروا بعض المصلحين من أبنائها في شأن ذلك مدة مديدة، وأخيراً رأوا أنهم لا يجدون بعيتها إلا في المدارس القرآنية الأهلية، فبدأت تكون من ذلك طبقة مستبرة أخذت تظهر بها لشعبنا النبيل حياة جديدة، وحركة فكرية، وروح ملية لم يكن ليحلم بها من قبل. والله يعلم ماذا يكون مآلها بها، وأين تبلغ من العز والمكانة إذا أمد الله في عمرها»^(٤٥).

وهذه الفقرة لأبي اليقظان في سنة ١٩٢٣ تؤكدها فقرة أخرى مماثلة للإبراهيمي في سنة ١٩٤٤ وهو يتحدث عن وضع التعليم قبيل الحرب العالمية الأولى :

«كانت الإدارة الجزائرية إلى ما قبل حرب ١٩١٤ تتظاهر بشيء من التساهل مع التعليم العربي الحر لأنه كان - إذ ذاك - قاصرًا، لا يفتح ذهناً، ولا يغذى عقلاً، ولا يربّي ملكة لغوية، فلما هب شعور الأمة وقوى، باحتجاجها إلى فهم لغتها لفهم دينها، وتتطور التعليم الحر في العقددين الأخيرين، فلقت الإدارة الجزائرية بذلك، ولما لم تجد بيدها من القوانين العامة ما تتخذ سلاحاً التجأت إلى القرارات الإدارية»^(٤٦).

ومن أسوأ ما في تلك القرارات أثراً، وأشدّه إيلاماً وجراحاً لعواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في بلاد عربية هي الجزائر، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الإداريين، وبالغوا وأسرفوا في التنكيل والمحاكمة، وسيق معلمون العربية إلى مجالس القضاء، كما يسوق المجرمون وفرضت عليهم العقوبات المالية والبدنية من سجن وتغريب ولا زالت بقاياهم في المتنفس إلى الآن.

وما سُمي بـ(المدرسة الحرة) في الجزائر، أو (المدرسة القرآنية) في تونس، أو (المدرسة الأهلية) في القاهرة^(٤٧)، وهو ما يقابل التعليم الخاص حالياً إنما هي أسماء متعددة لمعنى واحد، ومعنى واحد، هو أن هذه المؤسسة التربوية، نابعة من الشعب، قائمة بعرقه وجهده، فارضة وجودها على محفل البلاد، يكيد لها بالمكر، فتقوى عليه بالعزيمة، يقهرها بالقوة حيناً، فتستعصي عليه بالحق أبداً، يذلّ القائمين عليها ماديًّا، وقد يصل الإذلال إلى الجسد، ولكنهم برسالتهم، وفي معنوياتهم أحرار، فوق بطش العدو وقهره، وما تسموا في عهد المستعمر بـ(المعلمين الأحرار) إلا

مصداقاً لذلك، وما انتسب مؤسستهم إلى القرآن، أو الأهل، أو الحرية، إلا رموزاً لأهداف بعيدة.

ولو جتنا نضرب الأمثلة ببعض المؤسسات التربوية الحرة، المجاورة زماناً، المتماثلة رسالة، التي كسبتها النهضة الحديثة في الوطن العربي، صلة وصل وثيقة بالإسلام في أعز أيامه، وبالعروبة في أنسى ثرائها الفكري والحضاري، ووقفة وعي ومسؤولية على الحاضر في أحلك أيامه، وأقصى مأساه صراغاً مع الباطل الداخلي والدخيل، وإطلالة استشراف على المستقبل في بشائره الملوحة، وانتصاراته المظفرة.

لو جتنا نضرب الأمثلة، لأعيانا العد، وإنما هي نماذج لمؤسسات تربوية شاء القدر أن تكون لها علاقة بأبناء الجزائر، فقد فرضت المحنة الاستعمارية على هؤلاء، الآباء أن يتلمسوا طرق النجاة بدينهم ولغتهم ولو في أقصى الأرض، فهربوا بدينهم ولم يهربوا من وطنهم. طاردوهم المدرسة الفرنسية بالمسخ، فاستنجدوا بهويتهم في المؤسسة التربوية الحرة، فإن لم تتوفر لهم داخل وطنهم، تعلقوا بالثيريا بحثاً عنها.

إن شهيد الثورة الجزائرية الأديب الرائد (أحمد رضا حوح)^(٤٨) أكمل دراسته في أواخر العشرينيات في (الكوليج) بسكنكدة، ثم التحق بـ (مدرسة العلوم الشرعية) في المدينة المنورة سنة ١٩٣٥، وأكمل دراسته بها سنة ١٩٣٨ وكانت السنوات الثلاث كافة لتوجيه هذه التوجيه إلى مدرسته يوم تخرجه من القسم العالي فيها، وانتسابه للتدريس بها^(٤٩):

«أجل، إليك يرجع فضل حياتي هذه الإسلامية العربية التي هي ضالتي المنشودة والتي من أجلها قطعت البحار العميق، والفيافي الشاسعة، مضحيا بكل ثمين».

لقد تربيت يا مدرستي العزيزة في مدارس أجنبية، واكتبرت من علوم

أجنبية، ولما منَ الله علىَ بالهجرة إلى هذه الديار المقدسة، مهد آبائي الأولين، وجدت نفسي غريباً بين قومي، شاذَا في معلوماتي، متطرفاً في أفكاري، وحيداً في عاداتي، فريداً في أطواري وأصبحت من يومي اطرف يميناً وشمالاً، باحثاً عن يعلمني لغتي، مفتشاً عن يعلمني علوم قومي وأدابهم (٥٠).

فمدرسة العلوم الشرعية لم تخرج للجزائر، أدبًا رائدًا، وكاتباً مبدعاً فحسب، وإنما خرّجت للثورة الجزائرية أحد شهدائها الأبرار. ومدرسة العلوم الشرعية كما يقول (عبد القدوس الانصاري) (٥١)، عنها وعن مؤسّها المصلح الإسلامي (حسين أحمد الفيض أبيادي الهندي) سنة ١٩٢٠ (٥٢).

ويضيف (الأنصاري) عن (العلوم الشرعية) في المدينة و (معهد الفلاح) بمكة:

«معهدان قام عليهما ركناً من أركان الثقافة الحاضرة، والثقافة المترقبة في المملكة العربية السعودية، وكان معهد (الفلاح) في منهجه وغاياته الأول في بيت الله الحرام»^(١).

ومن العجيب أن غلاة الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، كانوا يدركون أن هذه (المؤسسات التربوية الحرة) إنما هي قنابل موقوتة، ستفجر في وجوههم في وقت معلوم، و يوم قامت (المدرسة الخلدונית) بجوار

(جامع الزيتونة) في تونس، لتكمّل رسالته بروح وطنية، واستشراف مسؤول، قال رئيس (اتحاد المعمرين الفرنسيين) في تونس:
«إذا ما قدر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية، فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية»^(٥٥).

ومصداقاً لهذه القولة المسورة، وتصديقاً لهذا الطير الكاشف، وعلى مدى أوسع من البلاد التونسية، قال الشيخ عبد الحميد بن باديس، أحد الذين تلقوا دروس الوطنية في الخلدونية على يد مؤسساها (الشبير صفر)^(٥٦):

«وأنا شخصياً أصرح بأن كراريس (الشبير صفر) الصغيرة الحجم، الغزيرة العلم هي التي لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي، والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جندياً من جنود الجزائر»^(٥٧).

فمن الوجهة الوظيفية كانت هذه المؤسسات للتربية قبل التعليم وللنهاية قبل التلقين، ومن المنطلق الوطني، كانت نقاط إشعاع ثقافي وفكري على المجتمع، وكانت نبض الشعب في مناسباته التاريخية، ومحافله القومية، وكانت متقدّس أمانة المكتوبة ومبر نداءاته الحبيبة، فكل مؤسسة بمفردها تمثل تاريخاً حافلاً بالأمجاد، ويومنيات جياشة بالعواطف، وسجلأً وطنياً في تأليف رجال الإصلاح والفكر والأدب، ورسل التربية والتعليم، ودعم المسيرة النضالية للشعب العربي بعناصر مؤمنة بقيمها الروحية، معتزة بتراثها الحضاري، واثقة من غدها، تتلمس تبشيره في ثنيا رسالتها الصابرة المصابرة، وتلك هي رسالة كل زعيم مصلح عبر عنها الشيخ الشبير الإبراهيمي بقوله^(٥٨):

«لم يتسع وقتى للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار

أكلأ، ولكتني أسلى بأنني الفت للشعب رجالاً، وعملت لتحرير عقوله تمهدأ لتحرير أجساده. وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً، وصححت له موازين إدراكه، فأصبح إنساناً أبياً، وحسبي هذا مقرباً من رضى رب، ورضى الشعب».

هذه الكلمة التاريخية للإبراهيمي تطبق على كل زعيم مصلح مشرقاً ومغرباً من هؤلاء الذين شيدوا المدرسة الحرة، فألفوا الرجال الأحرار.

فالحركات الإصلاحية الحديثة، في إطار الإسلام والعروبة، هي من هذا المنطلق حلقة رئيسية، وائلة وفاصلة، فاصلة بمعنى الجسم لا البتر، وواصلة بمعنى الوفاء بين حلقات الملهمة البطولية لتحرير العقل والجسد، وفي مسلسل الصراع مع الغزو الأجنبي. هذه الحلقات انطلقت مسلحة في المواجهة الأولى للأقدام الغازية، ثم تراجعت سياسية في مدافعة محتل البلاد، ثم ابعت إصلاحاً للتعبئة الروحية، لتصاعد مرة أخرى سياسة راشدة، وتطلق من جديد ثورة مسلحة لا يخطئها النصر، فلولا الحلقة الإصلاحية الوسطى، لانتربت الحلقات الأربع بداية ونهاية. ومع التسلیم بتدخل الحلقات، وتنابتها على الواقع، واستمرار كل نفس وطني ممتداً دون انقطاع، موصولاً من غير بتر، فإن لكل مرحلة تاريخية، مميزاتها الغالية، وعنوانها البارز، يتصفها من غير أن يجحف غيرها.

والذين ينفون البعد السياسي عن الحركات الإصلاحية في هذه الفترة، إنما ييرهون عن قصور في إدراك مفهومي (السياسة والإصلاح) معاً، وقد يكون هذا القصور عن الإدراك مبرراً ومحبلاً في فترة التقى من بطش العدو، والمناورة لتخطي أحابيله. في فترة كانت الحركات الإصلاحية متفرغة لثبتت نفسها، وتعزيز جذورها قبل أن تتصف بها الرياح، وتأمين ناشتها وتعيיתה عقيدة وروحًا وفكراً. فارجع، البعد السياسي للأيام تكشفه، وعلقت النقاط فوق الحروف للمستقبل بضمها. بل إن الإصلاح لم يترك هذه

المهمة لليام ولا تلجلج عندما تأكيد أن الفرصة مواتية للمصارحة، ولا انتظر المعركة الفاصلة ليسفر عن غاياته وأهدافه البعيدة، بل جابه المحتل وهو في عنفوان طغيانه، ودافعه وقدمه راسخة في الأرض، وصدعه بالحقيقة وقبضته لم تزل متسلطة على رقاب العباد.

فجمعية العلماء التي نادت صاحفتها سنة ١٩٢٥ بـ (سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية) وتبّرأت المادة الثالثة من قانونها الأساسي سنة ١٩٣١ من المناقشات السياسية، لم يلبث مؤسساها ابن باديس سنة ١٩٣٧ ، بعد ست سنوات فقط أن أسرى عن الحقيقة التاريخية التي فرضتها الثورة بالسلاح سنة ١٩٥٤ .

«أعلن (الشهاب) من أول يومه و (المتقد) الشهيد قبله أنه يعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، فوضع الأمة الجزائرية بيازء الأمة الفرنسية، إذ كل منها لها ذاتيتها ومقدسانها ومميزاتها القلبية والعقلية والنفسية والتاريخية التي يستحيل معها أن تندمج في أمة أخرى. على هذه الحقيقة ناهض (الشهاب) التجزئ والاندماج، ونناضل عن الشخصية الإسلامية»^(٥٩).

وإذا كانت الدبياجة اليسرى للشهاب تعلن أن الشهاب (مجلة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، فإن الدبياجة اليمنى تعطي وجها آخر للعملة، (الشهاب مجلة تهذيبية انتقادية شعارها، الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء...) وتلتقي هذه المبادئ مع شعار (معهد الحياة) عند تأسيسه سنة ١٩٢٥ : (الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد)^(٦٠).

وبنظرة أخرى في القانون الأساسي لجمعية العلماء نجد أكثر من مادة في صلب القانون نفسه تجب المادة الثالثة المتعلقة بالمناقشات السياسية،

لأن هذه المواد تتناول الإسلام أصلاً من أصول الدعوة الإصلاحية، والإسلام يجب ما قبله، تصرح هذه المواد بأن الإسلام (٩١):

- يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان.

- يفرض العدل فرضاً عاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز.

- يحرم الظلم بجميع وجوهه، وبأقل قليله من أي أحد، على أي أحد من الناس:

- يحرّم الاستبعاد والجبروت بجميع وجوهه.

وإذا كانت الدعوة الإصلاحية مبنية على هذه القواعد الراسخة، والمثل العليا لمفهوم الحرية الإنسانية، والكرامة البشرية عند الإسلام، فإية حاجة في هذا الإصلاح للمناقشات السياسية الجوفاء، بجهض بها رسالته ويستفز بها أعداءه.

فالمُؤمن في الحركة الإصلاحية، ضمير مستتر في ثباتها، جاهر بذلك الزعيم المصلح أوناور، كشف السر أو تركه لليام تكشفه، صاحت به النفس فصارخ، أو احتمل الضييم فاحتسب أجره عند الله والتاريخ. وإن من نكدة الأيام أن الرواد للأحداث التاريخية الذين يتحملون عناء سرها وكتمانها عملاً ذرياً، وجهداً صامتاً، يصبحون مثار شك وريبة، ومحل همز ولمز عن الذين لا يطيقون صبراً على الأيام حتى يبتكهم التاريخ.

إن المؤسسات التربوية الحرة في مرحلة الحكم الأجنبي، ومن بينها (معهد الحياة) التي قامت أساساً لإعادة بناء الإنسان، وبعث المواطن، بهدي من دينه ولغته وحضارته، إنما تتحظى السياسة بمفهوم الاحتراف، والحزب الأرعن، والجدلية العقيدة، والآنية العابرة. وتخيّبُ هذا المواطن

للسياحة في أسمى معانٍها، والسيادة في أكمل وجهها، والمواطنة في أعرق جذورها، والأخوة في أ Nigel مشاعرها.

قال شاعر الجزائر، وترجمان الحركة الإصلاحية فيها، وشاعر العربية والإسلام (محمد العيد خليفة)^(٦٢) في حوار ومكاشفة مع النفس^(٦٣):

فلا تحقرني صوني الرفيق، فإنه
ولا تحقرني ضعفي ولبني، ففيهما
وكم من أخ في الدين حاذ، فلم أحن
أخوه أنا . ما دام يفبنني أخا
ولست لغير اه، أرهب سطوة
وما كان غير الرفق عندي صالحأ
فيما أبها الداعي إلى اه، لا تحد

من الشعب كالسلك السرفين المكهرب
رسا اه، لا في قوتني، ونصلبي
ولاظفت أرجو السماح، كمدنب
وفي حرمتني ، ما دام في حرمة الاب
فما كان غير اه عندي بمرهب
لشعب مريض بالهوى والتحزب
عن الرفق، إن الرفق أربع مكب

وبالرغم من الهموم الضيقة، والتجزئة التي فرضتها سياسة فرق تسد، والإقليمية التي كرستها أخايديد السيطرة الأجنبية ، والمرض بالهوى والتحزب، والمعاناة في سبيل الوطن المغتصب، فإن الحركات الإصلاحية، تجاوزت المنطلق الجغرافي لدعونها، وعانت الإسلام والعروبة في أوسع مدى في الحاضر، وأعمق بعد في التاريخ، ندرك هذه الأبعاد عندما نقرأ الفقرة المنصفة التالية لابن باديس في (أبي اليقظان)، وهما رمزان من رموز الأخوة في الله والدين والوطن :

«وابو البقطان إلى جانب (ميزابيته) التي يفخر بها وله الحق ، عربي يجاهد وبجالد في سبيل العروبة ، ووطني يناضل ويقارع في سبيل الوطنية ، ومسلم أخلص لله دينه ، يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله»^(٦٤)

والملففة (الباديسية) هذه بما تنسم به من روح إسلامية عالية، وهي

الروح التي انبت عليها الحركات الإصلاحية فيالجزائر، ومؤسساتها العلمية، هذه اللفقة يترجمها (أبو اليقظان) مفهوماً للإصلاح، وسلوكاً للعمل، والهاماً للشعر، يوم وقف في (نادي الترقى) وفي ظل المؤتمر السنوي لجمعية العلماء سنة ١٩٣٤^(٦٥):

كيف لا نزهو الجزائري بالحرب (البابلية)
وبينو (مازيغ) مع أبناء (قططان) الفنية
أمبحوا في ردهة النادى على أحسن نية
في حمى النادى تصافت في حمى النادى تلافت
ممزارات العنصرية في حمى النادى تعالت صرخة الشعب الفروبة
وعندما يعيينا الاجتهد في استبطاط الأمور، ويقعد بنا الفكر في
استشراف الأحداث، ويفضي بنا الصدر في استكناه الحقائق، تستنطق
الشعر فيصدقنا القول، ونترشد أبياته فتعبر الرؤيا، فالقيادات الرشيدة تتكتم
الأسرار وفوران الشعر يفضحها، والمعاهد تبني الشباب في صمت، ثم
تطلق له العنان ليترجم عن غيابتها. كذلك كان (معهد الحياة) في بناء أبنائه.
وكذلك كان مؤسسه، خالد الذكر (إبراهيم ببوض) حين تأخذه الشوفة، وبهتز
به الفخر وهو يستمع لـ (محمد جريدي)^(٦٦) ربيب معهد الحياة وشاعر
الحركة الإصلاحية، والوطنية المتأججة في الأربعينات، يتجاوز الإصلاح
بعظهـ (العبدـ) إلى الإصلاح بمخبرـ (الثوري)، فيهـ تـ السـ عنـ حقـيقـة
(فرنسا).^(٦٧)

المـ بـنا، فـاستـرـزـتـ خـبـرـ شـعبـنا
وضـاقـ بـناـ فيـ قـطـرـنـاـ الرـحـبـ عـمـرانـ
تراثـ لـوـ أـبـقـهـ، لـكـنـاـ كـماـ كـانـواـ
شـهـامـةـ نـفـسـ، وـاعـتـرـازـ بـدـولـةـ
كـمـاـ طـلقـتـهـاـ أـمـسـ (سورـياـ وـلـبـانـ)

ونان يتقوا ذا الشعب، فالشعب غضبان
فلم يبق في أرض الجزائر إذ عان
إذا انفجرت في الضاغطين لبركان
وأنتم إذا ثرتم علينا، فثبران
ونحن كبحر، أنتم منه حبستان
فليس لميثل العحوت في البر إمكان
نقل لبنيها أن يلوذوا ببحرم
وأن يقصدوا غير الجزائر مطلبًا
حذار من الأحرار، إن قلوبهم
ونحن إذا ثرنا، فطلاب حفنا
وأنتم كبل، نحن منه كواب
فخبر لكم، أن تسرعوا بالحاركم

فالشاعر (جريدي) في أبياته يكمل الوجه التربوي للإصلاح، بالوجه السياسي للثورة ويترجم عن مشاعر مزدوجة في الأعماق، تحبس زماناً
لتتصاعد في مناسبة تاريخية إسلامية، وإن الشاعر ليوغل في هذا الاتجاه
السياسي الجامع حتى ليقاد ينفرد في الأربعينات بهذه الصرخات المدوية،
والمستمر في ذروة جبرونه، والثورة الجزائرية على عتبة ميلادها^(٦٨):

فاسقها من دمائنا أنهارا
ولو كان الوابل المدرارا
ونرى في الفeson منه اخضرارا
وقد أنس في بطن مجربه قارا
ولو أنس تحت التراب بوارى
وقد أنس على الجنة شنارا
فصرح الجهاد، لن ينهارا
م التعني، لا شك تغدو فصارا
ربما قد أحسن فـ بـ اندحارا
روفة العربات، تطلب غيتا
فهي لا ترتضي بغير دم الحر
في دم الحر، نشهد المجد غضا
في دم الحر لشمعوب زلال
في دم الحر لشهيد حياة
في دم الحر، لمروبة فخر
ده، يتهجد الأشواوس للبغى،
ده يهدو على الضماف قابا
ده يشفى لصدره منك غبطة

★ ★ ★

لـ (بر) زـ جـ رـا وـ عـ بـ رـة وـ اـ دـ كـ اـ رـا
لـم بـ كـ فـ رـ عـ رـون قـ بـ لـكـ مـ جـ بـ اـ رـا
لا بـ بـ رـ يـدـ الـ حـ بـ اـةـ ،ـ إـلاـ اـ خـ تـ يـاـ رـا
بـأـ غـ لـةـ الإـ جـ بـ اـرـ ،ـ حـ بـ كـ مـ (ـ مـ)
بـأـ غـ لـةـ الإـ جـ بـ اـرـ ،ـ مـ هـ لـاـ ،ـ فـ هـ لـاـ
أـ بـ حـ كـ مـ الإـ جـ بـ اـرـ ،ـ تـ رـ ضـ وـ نـ شـ بـ اـ

من زمان لما بزل فدارا
البني ولئ، وقد لمنا النهارا
وسبقى رغم العدى أحراها
غبر فخر، يسابق الأقطارا
إذا أردنا أن نلمس في سنة ١٩٥٣ ملامع الثورة الجزائرية،
ومخاضها وهي المولودة سنة ١٩٥٤، ونستكشف تباشير السيادة المنتظرة
والكرامة المسترجعة عبر جحافل شهداء الثورة الخالدة، فلتقرأ هذه الأبيات
للشاعر الملهم (مفتدي زكرييا) في الاحتفال بافتتاح صرح من صروح الحركة
الإصلاحية في الجزائر (دار الطلبة) لمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة،
فتسجد أن الحركات الإصلاحية التي انبت على تقوى من الله ورضوان،
هي سكينة الشعب في روعه، وملاذ الركب في ضياعه^(١٩):

(جمعية العلماء المسلمين) ومن أمانة الشعب، قد ثبتت بعثاتكم هذى المدارس كالآهلام فائمة وهذه بعثات العلم شاغصة جاء (البشير) فرزكاما وأرسلها فابنوا المدارس في عرض البلاد، مما وراقبوا أفة والتاريخ، في غده

★ ★ ★

مناك بالطهر، مرصوص ومشدود	با دار أنت على النقوى مؤسأة
أحشائك البوم أثبار صناديد	با دار حملت آمال البلاد، نفري
نصر، لا إن نصر له موعود	دار ابن باديس في (سرتا) يطللها
من فوق جدرانها نلت النهاجد	ما بين جدرانها، تعجا الجزائر لا

تلك هي الروح الإسلامية، والنخوة العربية، والعزّة الوطنية التي بنتها في الساحة العربية هذه المؤسسات التربوية الحرّة الرائدة في فترة كان فيها التعليم العربي جبهة من أعنف الجبهات في الدفاع عن الشخصية العربية المسلمة في مواجهة الغزو الاستعماري لإبادة هذه الشخصية.

هوامش للمراجعة

١ - إذا تجاوزنا ثورة الأمير عبد القادر في وجه الحملة الفرنسية على الجزائر، تلك الثورة التي كادت تغطي الربع الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٣٠ - ١٨٤٧) والتي تعتبر الوقفة الإسلامية العربية الأولى في وجه أول هجنة للأطماع الغربية في الوطن العربي. إذا تجاوزنا هذه الثورة فإننا نضيف على سبيل التمثيل لا الحصر:

في الجزائر، ثورة المقراني وثورة ابن الحداد سنة ١٨٧١. في مصر ثورة عرابي سنة ١٨٨٢ في تونس ثورة (ابن غدامه)، الجهاد الليبي في وجه الحملة الإيطالية سنة ١٩١١ في مكة ثورة الشريف حسين سنة ١٩١٦، في دمشق قيام الحكم العربي سنة ١٩١٨ واتفاقية ١٩١٩ في القاهرة، وفي المغرب ثورة الريف سنة ١٩٢٤ ومعركة ميسلون سنة ١٩٢٠. عدا التصادم المستمر مع التسلط الاجنبي الذي لم ينقطع له نفس حتى معارك التحرير والاستقلال في الخمسينيات.

٢ - الشیخ محمد عبده كان من مؤيدي أحمد عرابي في ثورته، وكان جمال الدين الأفغاني من الدعاة البارزين إلى ربط الإصلاح الديني بالإصلاح السياسي، وكانت الرعامتين الدينية الصادقة في المشرق والمغرب تقف في الخطوط الأمامية من مدافعة المستعمر.

٣ - يقول الدكتور محمد عمارة في كتابه : (جمال الدين الأفغاني) : «ومن هنا كان الأفغاني أول من أقام تنظيمًا سياسياً وطنياً مصرياً في العصر الحديث وهو تنظيم (الحزب الوطني الحر) الذي ظهر نشاطه علينا في سنة ١٨٧٩ وهو الحزب الذي تكونت في صفوفه قيادات مصر السياسية والفكرية في ذلك التاريخ بمن فيهم قيادة الثورة العرابية بمختلف اجنحتها وتياراتها».

- ٤ - انظر : جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام .
- د. محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٩٨٨ .
- ٥ - انظر : مسلمون ثوار، د. محمد عمارة، دار الشروق ١٩٨٨ الطبعة الثانية .
- ٦ - عبد الرحمن الكواكبي : (١٢٧٠ - ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢ م) .
- ٧ - في مقدمة كتاب (طبائع الاستبداد) يتحدث الكواكبي عن طريقة تأليف هذا الكتاب بعد هجرته إلى مصر سنة ١٨٩٩ :
- «نشرت في بعض الصحف الغراء أبحاثاً علمية سياسية في طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد. منها ما درسته ومنها ما اقتبسته، ثم كلفني بعض الأعزاء بجمع تلك الابحاث تعديلاً للفائدة، فأضفت إليها بعض زيادات، وحوّلتها إلى هيئة هذا الكتاب».
- وأما كتابه (أم القرى) فيتحدث عن مسار تأليفه الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة (المنار) سنة ١٩٠٢ فيقول :
- «ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل (جمعية أم القرى) وكان يقول إن لهذه الجمعية أصلاً وأنه هو توسيع في السجل وفتحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ ستين ونيف أي عقب قドومه إلى مصر. وقد قال لنا مرة: إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد، بل إن بلاد الحرية تولد في الذهن من الأفكار والأراء ما لا يتولد في غيرها».
- ٨ - انظر : عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، د. محمد عمارة، دار الشروق ١٩٨٨ صفحة ٣٥٦-٣٦٠ .
- ٩ - يوم أنس الأفغاني (جمعية العروة الوثقى) في كلكتة بالهند سنة ١٨٨٢ كان من بين أعضائها من رجال إصلاح وسياسة في المغرب

العربي، الأمير عبد القادر في أخيريات أيامه، والمصلح السياسي التونسي محمد بيرم الخامس، والمصلح الزيتوني الشيخ محمد السنوسي الذي أسس فرعاً لـ(العروة الوثقى) في تونس، وهو الذي استضاف في منزله الشيخ محمد عبده في زيارته الأولى لتونس قادماً إليها من باريس بعد توقف جريدة (العروة الوثقى) سنة ١٨٨٤. وكان (الأفغاني) مؤسس (الحزب الوطني المصري) الذي مهد للثورة العربية و(محمد عبده) هو الذي صاغ برنامج الحزب. ومن رجال الإصلاح والسياسة الذين أتوا أحزاباً، الرعيم عبد العزيز الشاعلي مؤسس (الحزب الحر الدستوري التونسي) سنة ١٩٢٠ وهو الحزب الذي قاد تونس إلى الاستقلال سنة ١٩٥٦.

١٠- مثل (المؤتمر العربي الأول) في باريس سنة ١٩١٢ الذي لم يتجاوز المطالبة ببعض الحقوق في ظل الامبرالية العثمانية، ومثل (حزب التواب) الذي أسسه الأمير خالد حفيظ الأمير عبد القادر في الجزائر سنة ١٩١٩ والذي اقتصر في مطالبه على بعض الحقوق النيابية والاجتماعية والتعليمية تحت الحكم الفرنسي.

١١- إن هذا الموقف من الإمام محمد عبده كان سبباً للجفوة التي فصلت بينه وبين أستاذه الأفغاني عندما عاد محمد عبده من المنفى إلى مصر، وأقام الأفغاني في الأستانة في أخيريات أيامه. فقد كان الأفغاني يعيّب على الإمام مسالته للإنجليز، وبعده عن الخط الثوري الذي عرف به في الثورة العربية، بينما كتب الإمام عن الأفغاني يقول:

«إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفة ووجهه للتعليم والتربية لأقاد الإسلام أكبر فائدة، وقد عرضت عليه حين كان في باريس أن نترك السياسة، ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، ونعلم ونترقي من نختار من التلاميذ على مشربنا فلا

تمضي عشر سنين إلا ويكون عندنا كذا وكذا من التلاميذ الذين يتبعوننا في ترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فيبشر أحسن الانتشار. فقال الأفغاني لي : إنما أنت مثبط .

انظر : الإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة . دار الشروق الطبيعة الثانية ١٩٨٨ .

. ١٢ - (تاريخ الأستاذ الإمام) رشيد رضا ، ج ١ صفحة ٨٧٠ .

. ١٣ - جريدة (دو الفقار) الأحد ٣٠ رجب ١٣٣١ هـ ١٤ يونيو / حزيران ١٩١٤ .

انظر : شعر المقاومة الجزائرية ، صالح خرفي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ ، صفحة ١٢٦ .

. ١٤ - انظر : صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث صفحة ١٤٠ المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٤ .

انظر : تاريخ الحركة الوطنية . د. أبو القاسم سعد الله . دار لأداب ، بيروت ١٩٦٩ .

. ١٥ - الشهاب ، عدد ١٢ / رجب ١٣٤٤ هـ ٢٨ جانفي / يناير ١٩٢٦م ، وانظر : صالح خرفي ، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ، صفحة ٣٠ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٠ .

. ١٦ - جاء في تاريخ الأستاذ الإمام ، رشيد رضا ، ج ١ ص ٨٧٠ (وصادفت زيارة الإمام للجزائر تولية (جوانار) حاكماً عليها ، وكان الجزائريون ينظرون إليه نظرة تقاؤل ، لذلك كان خطابه إليهم على ما ترى من الليبي تمثياً مع مبدئه «ما دخلت السياسة عملاً إلا أفسدته» .

. ١٧ - انظر : مجلة (الثقافة) الجزائرية ، السنة ١٥ العدد ٨٧ / ١٩٨٥ .

. ١٨ - المرجع السابق .

- . ١٩ - انظر: صالح خرفي، الشعر الجزائري، صفحة ٧٠.
- ٢٠ - ترحيل سكان المدينة المنورة إلى دمشق كان سنة ١٩١٧ بأمر من الحكومة التركية عند استفحال ثورة الشريف حسين، وعجز الحكومة عن تموين الجيش الذي بلغ تعداده (٥٠) ألفاً وسكان المدينة الذين بلغ عددهم ثمانين ألفاً، فقرر القواد العسكريون نقل السكان إلى مصدر الأقوات في دمشق عوضاً عن نقلها إلى المدينة والتفرغ لتمويل الجيش.
- ٢١ - مجلة (الثقافة) الجزائرية العدد ٨٧، شعبان-رمضان ١٤٠٥ هـ مايور ١٩٨٥ م المرجع السابق.
- ٢٢ - في سبيل إصلاح (الأزهر) ناضل الإمام محمد عبد الإدخال بعض المواد على برنامج التعليم ومنها مادة (الجغرافيا) وفي نقاش ساخن بينه وبين الشيخ (البحيري) في إدارة الأزهر:
- قال (البحيري) : إننا نعلمهم كما تعلمنا.
- قال (الأستاذ) : وهذا هو الذي أخاف منه.
- فرد (البحيري) : ألم تتعلم أنت في الأزهر، وقد بلغت ما بلغت من مراقي العلم وصرت فيه العلم الفرد.
- فرد (الأستاذ) : إن كان لي خط من العلم الصحيح، الذي تذكر، فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكتس من دماغي ما علق فيه من وساحة الأزهر وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريده له من النظافة.
- ٢٣ - في سنة ١٩٠٧ تأسست (الجمعية الزيتונית) برئاسة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور لإصلاح التعليم الزيتونى وفي سنة ١٩٠٩ عندما أصرّ طلبة الجامع الأزهر عن الدروس تجاوب معهم طلبة جامع الزيتونة باجتماع حاشد في الجامع للمطالبة بإصلاح التعليم الزيتونى

وإدخال مادتي التاريخ والجغرافيا في البرنامج ، وفي ١٩١٠ قرر الطلبة الإضراب عن الدروس . وأمرت الحكومة بإغلاق الجامع ، فتحول صحن الجامع إلى محفل للاجتماعات الوطنية والحماسية لزعماء الحركة الوطنية في تونس حتى اضطرت الحكومة إلى الاستجابة لطلاب الإصلاح ، وفتح الجامع للتدريس من جديد .

انظر : أصوات على تاريخ تونس الحديث . البشير بن الحاج عثمان الشريف ، الفصل الخاص بـ التعليم الديني ، ونظام الدراسة) بجامع الزيتونة صفحات ١٣٧ - ١٤٤ ، دار بوسالمه للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ١٩٨١ .

٢٤- محمد الطاهر بن عاشور (١٨٨٩ - ١٩٧٣) من زعماء إصلاح التعليم الزيتوني فقيه ومفسر من أشهر مؤلفاته في التفسير (التحرير والتنوير) ومن كبار علماء الزيتونة . وله شرح (ديوان بشار) و (النابعة الذبياني) .
انظر : الجابري محمد صالح (النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس) ، الدار العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨٣ .

٢٥- محمد السعيد الزاهري (١٨٩٩ - ١٩٥٦) من رجال الإصلاح في الجزائر ، ومن مؤسي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١ ، درس في جامع الزيتونة ، كاتب وشاعر ، نشر في (الفتح) و (المقتطف) و (الرسالة) و (الشهاب) وصحافة (جمعية العلماء) في الجزائر .

انظر : صالح خرفي ، محمد السعيد الزاهري ، سلسلة (الأدب الجزائري الحديث) (٥) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٦ .

٢٦- انظر : المرجع السابق .

٢٧- يقول الإمام محمد عبده : «إن دار العلوم تصلح أن تكون بنوعاً للتهذيب النفسي والفكري والديني والخلقي ، ويمكن أن ينتهي أمرها إلى أن تحل محل الأزهر ، وعند ذلك يتم توحيد التربية في مصر». انظر : الإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، دار الشروق القاهرة . ١٩٨٨

٢٨- علي مبارك باشا (١٢٣٩ - ١٨٢٣ / ١٣١١ - ١٨٩٣ م) أنشأ علي مبارك أكثر من مدرسة عالية في العلوم الإنسانية مثل مدرسة الحقوق سنة ١٨٦٨ ومدرسة اللسان العربي في السنة نفسها ، ومدرسة اللسان المصري القديم سنة ١٨٨٩ ، أما مدرسة دار العلوم ومدرسة الألسن فقد أنشئت سنة ١٨٧٨ .

انظر : علي مبارك ، مؤرخ ومهندس العمارة ، د. محمد عمارة ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ .

٢٩- كان تأسيس (الجمعية الخلدونية) صدى للإصلاحات التي أدخلت على التعليم الأزهري في أواخر القرن الماضي بإدراج مواد الحساب والتاريخ والجغرافيا في البرامج ، وبمبادرة من البشير صفر تأسست سنة ١٨٩٦ الجمعية الخلدونية لتعليم ما لا يدرس في العلوم في جامع الزيتونية ، مثل التاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي والفيزياء والكيمياء وفن الرسم .

وكان البشير صفر نفسه يدرس مجاناً في الخلدونية دروس الجغرافيا والتاريخ ومن خلالهما يشرح أهداف الاستعمار والمخاطر المحدقة بالعالم العربي الإسلامي .

انظر : أضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١ - ١٩٢٤ البشير بن الحاج عثمان الشريف ، دار بوسالمه للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس . ١٩٨١

٣٠ - انظر : صالح خرفي ، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٤ .

٣١ - أبو اليقظان إبراهيم (١٨٨٨ - ١٩٧٣) شيخ الصحافة الإصلاحية في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي ، صدرت له ثمانية جرائد في الفترة من (١٩٢٦ - ١٩٣٨) ورائد البعثات التعليمية من الجزائر إلى تونس ، شاعر ، مؤلف وفقيه . صدر له (الشيخ سليمان الباروني حياته وجهاده) في جزأين سنة ١٩٥٧ ، وله بعض المخطوطات التي لم تصدر بعد .

انظر : محمد ناصر . (أبو اليقظان وجihad الكلمة) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٨٠ .

انظر : صالح خرفي (أبو اليقظان في الخالدين) مجلة الثقافة السنة الثالثة العدد ١٤ ١٩٧٣ / ١٤ .

٣٢ - انظر : إبراهيم بن الحاج عيسى القراري (أبو اليقظان) إرشاد الحائرين مطبعة العرب بتونس سنة ١٣٤١ - ١٩٢٣ .

٣٣ - محب الدين الخطيب (١٨٨٦ - ١٩٦٩)

٣٤ - انظر : محب الدين الخطيب ، الدكتور صلاح الدين الفاسي المطبعة السلفية ١٩٥٩ .

٣٥ - صدرت (المتنقد) سنة ١٩٢٥ ولم يصدر منها إلا ثمانية عشر عدداً حيث أوقفتها السلطات الاستعمارية بعد أربعة أشهر من صدورها في السنة نفسها ١٩٢٥ انظر : محمد ناصر (الصحف العربية الجزائرية) من سنة ١٨٧٤ - ١٩٣٩ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر / ١٩٨٠ .

٣٦- مجلة (الشهاب) ج ١٤ م ١٩٣٨

وانظر : صالح خرفي ، (الجزائر والأصالة الثورية)
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٧ .

٣٧- انظر : استراتيجية تطوير التربية العربية ، المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم ، الطبعة الأولى ١٩٧٩ تنفيذ مؤسسة دار الرياحاني
للطباعة والنشر ، بيروت .

٣٨- انظر : محب الدين الخطيب ، الدكتور صلاح الدين القاسمي .

٣٩- عمر بن قدور الجزائر (١٨٨٦ - ١٩٣٢) رائد الصحافة الوطنية
الجزائرية ، نشر في صحافة الشرق العربي والإسلامي منذ أوائل
القرن ، كان مراسلاً لجريدة (اللواء) القاهرة من الجزائر ، نشر في
جريدة (الحضارة) في الآستانة لعبد الحميد الزهراوي قبل الحرب
العالمية الأولى ، أصدر جريدة (الفاروق) رائدة الصحافة الوطنية
الجزائرية سنة ١٩١٢ ، طارده السلطانة الفرنسية بسبب مواقفه
الوطنية الجريئة وكتاباته اللاذعة ، ونفته إلى الصحراء الجزائرية طيلة
سنوات الحرب الأولى ، وبعد الحرب أصدر السلسلة الثانية من
(الفاروق) لكنها أخف لهجة ، تصوّف في أواخر أيامه .

انظر : صالح خرفي ، عمر بن قدور الجزائري ، سلسلة الأدب
الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٤ .
٤- المرجع السابق .

٤١- عندما تأسس المعهد في (القرارة) جنوب الجزائر سنة ١٩٢٥ بمبادرة
من رائد النهضة الإصلاحية في وادي ميزاب الشيخ الإمام إبراهيم بن
عمر بيوض كان ساعده الأيمن في إدارة المعهد والتدريس فيه الشيخ
شريفى سعيد (الشيخ عدون) الحجة في النحو العربي ولم يزل - أمد
الله في أنفاسه - يواصل رسالته الإدارية والتعليمية في المعهد ، إلى

جانب رعايته للحركة الإصلاحية ومدارسها وجمعياتها الثقافية في الجنوب وفي أنحاء القطر الجزائري. وهذه الحركة منذ نشأتها تقوم على تمويل تطوعي من أبناء المنطقة.

٤٢- انظر : أضواء على تاريخ تونس الحديث ، صفحة ٧٥ ، البشير بن الحاج عثمان الشريف دار بوسالمة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ١٩٨١ .

٤٣- انظر : استراتيجية تطوير التربية العربية .

٤٤- يذكر الشيخ الإبراهيمي رئيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بعد وفاة مؤسسها (ابن باديس) سنة ١٩٤٠ أن عدد المدارس التي أستها الجمعية حتى سنة ١٩٥٢ بلغ أربعينانة .

انظر : مجلة (الثقافة) عدد (٨٧) .

٤٥- انظر : إرشاد الحائزين . إبراهيم بن الحاج عيسى القراري ، مطبعة العرب تونس ١٩٢٣ .

٤٦- انظر : محمد البشير الإبراهيمي ، التقرير الذي قدمه المجلس الإداري باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى رجال الحكومة الجزائرية في أواسط رمضان ١٣٦٣ المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسطنطينة .

٤٧- نعتت الحركة الإصلاحية في الجزائر مدارسها بـ (الحرة) تميزا لها من المدارس الرسمية الحكومية التي كانت اللغة الفرنسية فيها لغة التدريس . وعرفت تونس في أوائل القرن (المدارس القرآنية الأهلية) التي افتتحت على العلوم العصرية واللغات الأجنبية ، وهو التطور نفسه الذي عرفته المدارس القرآنية أو الأهلية في مصر على يد علي مبارك باشا .

٤٨- أحمد رضا حوجو (١٩١١ - ١٩٥٦) كاتب ، وأديب جزائري ، قضى فترة من حياته في الحجاز ١٩٣٤ - ١٩٤٥ حيث أقام في المدينة المنورة مع أسرته المهاجرة ودرس في (مدرسة العلوم الشرعية) وقام بالتدريس فيها

بعد التخرج، ثم عين سكرتيراً للمجلة (المهيل) في أول صدورها وفيها بدأ كتاباته الفصصية التي يعتبر بها من رواد القصة والمسرح في الحجاز إلى جانب عبد القدس الأنصاري ومحمد عالم الأفغاني ومحمد سعيد العامودي، كما يعتبر من رواد الترجمة الأدبية في الحجاز، فقد كانت دراسة (حوجن) في الجزائر باللغة الفرنسية قبل انتقاله إلى الحجاز، فترجم لـ (هوجن) و (فولتيير) و (لامارتين) وترجم كتابات المستشرق المسلم (ناصر الدين ديني).

عاد (حوجن) إلى الجزائر في أواسط الأربعينات ليروي فيها القصة القصيرة والمسرحية والكتابية النقدية الساخرة، وعين سكرتيراً لـ (معهد عبد الحميد بن باديس) في قسنطينة، وكان لا يهدن الاستعمار في كتاباته، وموافقه ومسريحياته، وتعتبر مؤلفاته الفصصية من المجموعات الأولى من نوعها في الجزائر.

صدر له : غادة أم القرى - الجزائر ١٩٤٧
مع حمار الحكم - الجزائر ١٩٥٣
صاحبة الوحي - وقصص أخرى - قسنطينة - الجزائر ١٩٥٤
خالدج بشرية - سلسلة كتاب (البعث) تونس ١٩٥٥

اختطفه غلاة الاستعمار في يوم ٢٩ مارس ١٩٥٦ من منزله ليلاً وأغتصلوه، ولم يظهر له أثر بعد ذلك، فكان من بين شهداء الثورة الجزائرية من رجال الفكر والقلم والإصلاح أمثال (العمودي) و (التبيسي) و (العقون) و (أبو شامة) و (فرعون) وكلهم من علماء الجزائر وأدبائها وشعرائها وكتابها.

صالح خرفي، أحمد رضا حوجن في الحجاز (١٩٣٤ - ١٩٤٥) مخطوط.
٤٩- تخرج (حوجن) في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة سنة ١٩٣٨ وعين للتدريس فيها مباشرة.

- ٥٠- المرجع السابق : أحد رضا حوجوفي الحجاز.
- ٥١- عبد القدس الأنباري (١٣٢٤ هـ - ١٤٠٣ هـ) مؤسس مجلة (المنهل) في المدينة المنورة سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٧ م رائدة المجالات الأدبية في المملكة العربية السعودية وأطول المجالات العربية عمرًاً ممددًا، وتعتبر (المنهل) المدرسة التي تخرج على صفحاتها رواد النهضة الأدبية الحديثة في الحجاز في المقالة الأدبية، والشعر والقصة والمسرحية والترجمة، والكتابات التاريخية.
- (والأنباري) مؤلف أول عمل قصصي في الحجاز، (التوأمان) سنة ١٣٤٩ هـ وصدر له كتاب (آثار المدينة المنورة) سنة ١٩٣٥ ، و (بين التاريخ والأثار) و (تاريخ جدة) و (بناء العلم في الحجاز الحديث) - السيد أحد الفيض آبادي (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م). و (الأنباري) ذاته أحد بناء العلم في الحجاز الحديث، وأحد رواد النهضة الأدبية الحديثة فيه.
- ٥٢- انظر : بناء العلم في الحجاز الحديث ، عبد القدس الأنباري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- ٥٣- المرجع السابق : بناء العلم في الحجاز الحديث.
- ٥٤- المرجع السابق .
- ٥٥- أضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١ - ١٩٢٤ البشير بن الحاج عثمان الشريف. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ١٩٨١ .
- ٥٦- البشير صفر (١٨٦٣ - ١٩١٧) أبو النهضة التونسية، زعيم وطني، خطيب، وكاتب وصحفي، درس بالمدرسة الصادقية وسافر إلى باريس ضمن أول بعثة صادقة للدراسة في فرنسا، أسس سنة ١٨٨٨ جريدة (الخاصة) وأسس (المدرسة الخلدونية) سنة ١٨٩٦ .

انظر : الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين في تونس.

٥٧- انظر : الخرفي صالح، في رحاب المغرب العربي دار الغرب الإسلامي . ١٩٨٤

٥٨- انظر : مجلة (الثقافة) الجزائرية، السنة ١٥ العدد ٨٧ شعبان / رمضان هـ ١٤٠٥ مـ مايو / يونيو ١٩٨٥ مـ .

٥٩- انظر : خرفي صالح، الجزائر والأصالة الثورية ١٩٧٧ ومجلة (الشهاب) ج ١ م ١٤ أفريل ١٩٣٨ .

٦٠- وهو الشاعر نفسه الذي كانت تحمله الصحيفة الدورية الداخلية التي كان يصدرها طلبة المعهد باسم (الشباب) .

٦١- انظر : أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، وصدرت في مجلة (الشهاب) سنة ١٩٣٧ نشرة ثانية لمبادئ الجمعية، استبعدت الفقرات الخاصة بتحريم المناقشات السياسية، انظر : الشعر الجزائري، صالح خرفي صفحة ٣٦١ .

٦٢- محمد العيد خليفة (١٩٠٤ - ١٩٧٩) .

٦٣- ديوان محمد العيد خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٩ .

٦٤- انظر : ناصر محمد، أبو اليقظان وجihad الكلمة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري ١٩٨٠ .

٦٥- انظر : خرفي صالح، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٤ .

٦٦- محمد جريدي، شاعر معاصر، واحد الخريجين من معهد الحياة، واحد رجال التربية والتعليم في الجزائر، لم تنشر له مجموعة شعرية واحتفظ بمجموعة خطية لشعره بإهداء منه .

٦٧- المولد النبوى الشريف يعتبر من المعالم التاريخية في مسيرة الحركة الإصلاحية في الجزائر، فلإلى جانب إحياء ليلة مولده عليه الصلة والسلام، تقام في الأسابيع التالية للذكرى عروض لخطابات شعرية وأدبية ينبارى فيها طلبة (معهد الحياة) وتعتبر هذه المحافل الأدبية متضمناً للمشاعر الوطنية، وكان الشاعر محمد جريدي فارس هذه المحافل في الأربعينات، نزعة وطنية وروحأً قومية. وهذه المولدية تعود إلى سنة

. ١٩٤٨

٦٨- ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفل زفاف أحد طلبة معهد الحياة في أواخر الأربعينات والشاعر يخاطب بهذه الآيات المقطعة من القصيدة شباب الجزائر.

٦٩- انظر : مفتاح ذكرييا (اللهب المقدس) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر . ١٩٨٣

نُصُوصٌ تُراثيَّةٌ حَوْلَهُ وُجُودٌ
مُخْتَسِبٌ فِي الْمُجَتمَعِ الْقَرْشَيِّ قَبْلِ الْإِسْلَامِ
الدَّكْوَرُ أَحْسَانُ صَنْفِي الْعَمَدَ

نَمْهَد :

لم يشر أي من المصادر التي وصلتنا، والتي تحدثت عن الحسبة، إلى وجود محتسب في المجتمع القرشي في مكة قبل الإسلام، سواء كانت هذه المصادر كتاباً أو رسائل أفردت للحسبة، أو مؤلفات تحدثت عن الحسبة ضمن موضوعاتها الفقهية أو التاريخية أو الموسوعية. ومن هذه المصادر وتلك - حسب تاريخ وفاة أصحابها - كتاب الاحتساب، للإمام الزبيدي الناطق بالحق، الناصر للحق (ت ٤٣٠ هـ)، والأحكام السلطانية، الباب العشرون، ص ٢٤٠، للماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، وإحياء علوم الدين ج ٧ - ٩٦، للغزالى (ت ٥٥٠ هـ)، وفي أداب الحسبة للسفطي المالقى، ورسالة في القضاء والحساب، لابن عبدون الإشبيلي، ورسالة في الحسبة، لابن عبد الرزوف الأندلسى، ورسالة في الحسبة، للجرسيفي الأندلسى، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري، وجميعهم من أهل القرن السادس الهجري، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام، والنصاب في الاحتساب للسانى، من أهل القرن السابع للهجرة، والحساب في الإسلام لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، ونهاية الأربع في فنون الأدب، الباب الثالث عشر، ج ٣١٥ - ٢٩١، للنميري (ت ٧٣٣ هـ)، وتحرير الأحكام في

تدبر أهل الإسلام، الباب الخامس لابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)، والطرق الحكيمية في السياسة الشرعية ص ٢١٩ - ٢٢٣، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ومعبد النعم وميد النعم، ص ٦٥ للسبكي (ت ٧٧١هـ)، ومعالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأخيوة (من أهل القرن الثامن الهجري أيضاً)، والمقدمة لتاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص ٣٩٨ - ٤٠٠، لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ومواضع متفرقة في كل من صبح الأعشى في صناعة الإثنا عشر القبطانين الخلفاء، وإغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقربيزي (ت ٨٤٥هـ)، والحسبة لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ)، وغيرها مما ألف في هذا الموضوع بفارس، والدولة العثمانية، والهند، التي كان من بواكييرها «سياسة نامة» أو سير الملوك، للوزير السلجوقي الشهير نظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ) (١).

نصوص تراثية :

وقد انفرد جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، من بين المراجع العربية والأجنبية التي تحدثت عن الحسبة، بذكر خبر موجز عن جمهرة أنساب العرب لابن حزم، بوجود محتسب من بنى سليم بن منصور يدعى حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص، «كان بمكة في الجاهلية محتسباً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» (٢). ولم يعلق

Cf. Cahen, M. Talbi, R. Mantran, A. K. S. Lambton, A. S. Bazmee Ansari.

(١)

«Hisba», EI², Vol. III, pp 485 - 493.

وانظر أيضاً، الناطق بالحق، الناصر للحق، كتاب الاحتساب، نشره: R. B. Serjeant, A Zaidi Manual of Hisba, Rivista Degli Studi Orientali, Vol. 28, 1953, pp 1 - 34.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ٢٦٣

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١٨ / ٤

جواد. على على هذا النص، أو يشير إليه في حديثه عن مكة المكرمة، أو الحياة اليومية للعرب قبل الإسلام^(٣). لكن من هو حكيم بن أمية السلمي هذا؟ وكيف استطاع وهو خارج عن نسب قريش، أن يتقلد هذا المنصب؟ وما هي اختصاصاته وعمله؟ هذا ما تتولى المصادر الإجابة عنه.

مصادر التصور:

- ابن الكلبي: هناك عدة مصادر قبل جمهرة أنساب العرب لابن حزم وبعده، توجهت إلى هذا الوجود، وفي مقدمتها «جمهرة النسب» لابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ). وقد أورد ذلك في أثناء حديثه عن نسببني سليم بن منصور ابن عكرمة، حيث قال: «منهم حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوqص بن مرة ابن هلال، حليفبني أمية. كان حكيم محتسباً في الجاهلية، ينهى عن المنكر، وفيه يقول رجل من قريش، يقال إنه عثمان بن عفان:

أطروف بالمخاتير^(٤)، كل يوم مخافة أن يشردني حكيم^(٥)

وليس من شك في أن محالفة حارثة بن الأوqص السلمي لبني أمية، الأسرة القرشية المرموقة، هي التي مهدت لحكيم بن أمية السلمي توسيع منصب محتسب قريش في مكة، وبخاصة أن «حليف القوم منهم»، فيما عرف عن العرب قبل الإسلام، وأكده الرسول الكريم بعد ظهور الإسلام^(٦). لكن ابن الكلبي لم يبين لنا كيف تمت هذه المحالفاة؟ وما هي مناسبتها ودواعيها؟

(٣) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/٤ - ١٢٧ - ٦٠٦ - ٦٨٦ - ٨٥/١٠.

(٤) المطابع: شعب باعلى مكة، تحر فيه مضاض بن عمرو بن فقيعمان للناس فأطعمهم، فاطبع الناس وأكلوا فسمى الشعب بالمطابع لذلك. وهناك من يزعم أنها سميت بذلك لأن تبع نحر بها وأطعم، وكانت منزلة. ابن هشام: السيرة النبوية ١/١١٨، وانظر مجمع البلدان ٥/١٤٧، البلادي: معالم مكة ٢٧٨، ٢٧٩. وقد وردت في مصادر أخرى «بالماطاع» كما سببنا في سياق البحث.

(٥) ابن الكلبي: جمهرة النسب ٢/١٠١، ١٠٠.

(٦) سنن الدارمي، سير، ٨١، فتنك: المعجم المفهرس للفاظ الحديث النبوي مادة «حلف».

وهل كانت تكفي كي ينفرد حكيم السلمي منصباً خطيراً كهذا؟

- ابن حبيب البغدادي : لقد أوضح تلك المحالفة بشكل جلي ، محمد ابن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) ، في كتابه «المنق في أخبار قريش» عند حديثه عن حلف حارثة بن الأوقص السلمي فقال : «وكان من أمره، أن حارثة كان رجلاً متبعداً . فقال بيتأ من الشعر :

الا كل شيء بين زور ومنشور يصير إلى ذات الإله فيحسب^(٧)
وكان حارثة يتمثله إذا طاف بضمار، وكان بيتأ فيه صنم لهم^(٨)، فقيل له : وإن بيتأ بمكة ، يتبعده أهله وكل من جاء من العرب . قال : فهو أولى من هذا البيت ، لأنخرجن إليه ، قالوا : إنك لا تستطيع أن تقيم به ، إلا أن تحلف أهله ، فخرج حتى قدم مكة ، فحالف أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان حارثة يتبعد حول البيت ، ثم ولد له فكان حكيم أشبه ولده به ، فاستعملته قريش على سفهائها . فقال عدي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وكان من فيان قريش ، ويقال الحارت بن أمية الأصغر يقول في ذلك :

أطوف بالاباطع^(٩) ، كُلْ يَوْم مخافة أن يُشرد بِ حَكِيم^(١٠)
ويتضمن من هذا النص الذي رواه ابن حبيب عن ابن أبي ثابت ،

(٧) في الأصل المحقق فحسب ، والاصح ما أوردناه ، مما يقتضيه المعنى والوزن . وزور جبل في دياربني سليم ، ومنصور جبل آخر بظهر بنى سليم ايضاً ، معجم البلدان ٢١٦/٥ ، ١٥٧/٣ ، ناج العروس (منور).

(٨) كان ضمار صنعاً لمرداد بن أبي عامر السلمي ، فلما توفي وضعه ابن المباس في بيت يتبعده ، ثم أحرقه بعد إسلامه . الأغاني ١٤ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤١٩/٤

(٩) الاباطع : جمع أبطاع وبطحاء ، وهي الأماكن النسبية المتسمة حول مكة ، وفيها بنى ، معجم البلدان ١ / ٤٤٦ ، لسان العرب (بطحاء).

(١٠) ابن حبيب البغدادي : المنق في أخبار قريش ٢٨٦ ، ٢٨٥

عبد العزيز بن عمران الزهري، الذي كان صاحب نسب (١١)، كيف حالف ابن الأوصى السلمى أسرة أموية قرشية، وأن هذه المحالفة وحدها هي التي مكتن من الإقامة في مكة، والاندماج التدريجي في هذه الأسرة، وهذه المحالفة عرفت قبل الإسلام وبعده، في المجتمع القبلي والمجتمع الحضري في المدن العربية الإسلامية الجديدة، كالبصرة والكوفة وواسط وغيرها، مما عرف أيضاً بالولاء لغير العناصر العربية، وقيل في ذلك «مولى القوم منهم» (١٢).

لكن هذه المحالفة وإن مهدت السبيل أمام حكيم بن أمية السلمى لتولي منصب حسبة قريش، إلا أن ذلك كان لا بد له من موافقة جماعية من قريش، وهو ما نفهمه ضمناً من عبارة ابن حبيب التي يقول فيها «فاستعملته قريش على سفاته».

- ابن حجر: كما أن ابن حجر العسقلاني نوه بهذه الموافقة صراحة نقلاً عن الفاكهي محمد بن إسحاق بن العباس (ت حوالي ٢٨٠هـ)، في «كتاب مكة» قائلاً: «وكان حكيم قبلبعثة قاتلاً على سفهاء قريش، يردعهم، ويذدبهم باتفاق من قريش على ذلك» (١٣)، وأفاد النص أيضاً أن حكيمًا كان حليف بني أمية، وأن ابن هشام ذكر له شعراً، ينهى فيه بني أمية عن عداوة رسول الله ﷺ. كما يذكر أن هذه الرواية استقاها الفاكهي عن ابن (١٤)، أبي ثابت الزهرى (١٥).

(١١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥١، وصاحب نسب أي بهضم بالأساب.

(١٢) سند ابن حنبل ٣/٤٤٨، ٦/٩٠، ٨/١٠.

(١٣) ابن حجر: الإصابة في تيسير الصحابة ١/٣٤٩، ترجمة رقم ١٧٩٨.

(١٤) سقطت من نص ابن حجر، وال الصحيح ما أثبتناه نقلاً عن المتنق ٢٨٥.

(١٥) المصدر نفسه. هذا ولم يرد اقتباس ابن حجر عن الفاكهي، فيما نشره فستفيبلد في «أخبار مكة المشرفة» من منتخبات تاريخ مكة للفاكهي، بعنوان: «كتاب المستنق في أخبار أم القرى»، ج ٢ ص ٣-٥١.

والجديد في هذا النص أنه يذكر موافقة قريش على تولي حكيم بن أمية السلمي الإشراف على سفهاء مكة، وأنه كان يتولى هذا المنصب قبلبعثة، وأنه قال شعراً ينهى فيه حلفاءه بني أمية عن معاداة الرسول الكريم.

- ابن الأثير: وأمدنا ابن الأثير في «أسد الغابة» بشيء من هذا الشعر في ترجمته لحكيم بن أمية، الذي يقول عنه إنه «حليف بني أمية، أسلم قدি�ماً بمكة، وقال ينهى قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم مطاعماً، وهي أبيات منها:

تبرأت إلـا وجهـ من يـملك الصـبا
وـاهـجرـكم ما دـام مـذـلـ وـنـازـعـ
وـأـسـلـمـ وـجـهـيـ لـلـأـنـامـ^(١٦) وـمـنـطـقـيـ^(١٧)

وقد أوضح ابن الأثير، أن هذا النص ذكره ابن شاهين^(١٨)، عن ابن إسحاق^(١٩)، وأنه نقله من خط الأشيري^(٢٠)، الأندلسى الإمام الفاضل^(٢١). وهذا النص هو الوحيدة فيما نعلم الذي يذكر إسلام حكيم بن أمية السلمي، ووقوفه منذ البداية إلى جانب الرسول الكريم، ونهى قومه عن معاداته، وهجره إياهم ما دامت هذه العداوة والمنازعة.

- الأزرقي: أما المصدر الآخر الذي تحدث عن حكيم بن أمية السلمي

(١٦) كذا في الأصل، وربما الأصح «لـلـإـلـهـ»

(١٧) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٩/٢

(١٨) ابن شاهين: هو عمر بن أحمد بن عثمان، أبو حفص (ت ٤٣٨هـ)، صاحب نسب، له نصانيف في التفسير والحديث والتاريخ والزهد. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٦ - ٤٣٥

(١٩) لم ترد أبيات من الشعر لحكيم بن أمية السلمي في السيرة العالية لابن هشام، وربما وجدت في أصل سيرة ابن إسحاق الكاملة.

(٢٠) الأشيري: هو عبد الله بن محمد الصنهاجي (ت ٥٦١هـ)، كان إماماً في الحديث، وله علم في الحزو واللغة. سير أعلام النبلاء ٤٦٦/٢٠ - ٤٦٧

(٢١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٩/٢

في مكة، فهو كتاب «أخبار مكة» للأزرقي (ت حوالى ٢٤٥هـ)^(٢٢)، المعاصر لابن حبيب البغدادي. فقد ذكر الأزرقي أن «فريشاً كانت قد أمرت حكيم بن أمية السلمي على سفهائها»^(٢٣)، وهو الذي يقول فيه الحارث بن أمية الأصفهاني:

أقرر^(٢٤) بالباطح كل يوم مخافة أن يشردني حكيم^(٢٥)
ويضيف أن حكيمًا هذا كان يقيم في دار عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في مكة^(٢٦). وهنا يحدد لنا الأزرقي قائلًا بيت الشعر، ومكان إقامة حكيم بن أمية السلمي في مكة، وهو أمر مهم في تأكيد محالفته لبني أمية.

- البلاذري: ويلقي البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، مزيداً من الفضوء على محتبس مكة قبل الإسلام، وذلك في أثناء حديثه عن نسببني سليم بن منصور بن عكرمة. إذ يقول: «ومنهم حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال، حليف بني أمية، وقال غير الكلبي حليف بنى عبد مناف بن قصي. وكان حكيم محتبساً في العاھلية، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤدب الفساق، ويحبهم، وينفيهم. وفيه يقول الشاعر، ويقال إنه عثمان:

أطوف في الباطح كل يوم مخافة أن يشردني حكيم^(٢٧)
واضح من نص البلاذري أنه اقتبس جوهره عن ابن الكلبي، إلا أنه أضاف إلى النص أشياء منها:

(٢٢) انظر: رشدي الصالح ملحس، مقدمة ل تحقيق أخبار مكة ١٥.

(٢٣) في الأصل «سفهائها»، وهو تصحيف، وال الصحيح ما أثبتناه.

(٢٤) أقرر: أقيم واستقر، لسان العرب فرق.

(٢٥) الأزرقي: أخبار مكة ٢٤٢/٢

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) البلاذري: أنس الأشراف ١٢، ١١٩٤، ١١٩٥

١ - أن غير الكلبي من النسابين والإخباريين والرواة، يقول إن حارثة بن الأوقص السلمي كان حليف بني عبد مناف، إلا أنه لم يذكر اسم أحد من هؤلاء.

٢ - أضاف عبارة «يأمر بالمعروف»، إلى نص ابن الكلبي الذي اقتصر على عبارة «ينهى عن المنكر» وربما كان البلاذري في ذلك متأثراً بالمفهوم الإسلامي للمحتسب.

٣ - أوضح اختصاصات حكيم المحتسب، بتأديب الفساق، وحبسهم، ونفيهم، مما يعني أن محتسب قريش قبل الإسلام كان لديه في مكة مكان ياحتجز فيه الفساق.

٤ - أن ابن الكلبي وحده، هو الذي ذهب إلى محالفة حارثة بن الأوقص السلمي لبني أمية. في حين أشار إلى ذلك كل من ابن حبيب، والبلاذري، والفاكهـي برواية ابن حجر، وابن الأثير كما أشرنا.

محالفة حارثة السلمي لقريش :

ومن ذهب إلى محالفة حارثة بن الأوقص لبني عبد مناف، مصعب الربيري في كتابه «نسب قريش»^(٢٨). أما ابن حزم، فإنه أغفل ذكر شيء عن هذه المحالفة^(٢٩). لكننا نرجع روایات المصادر عن محالفته بني أمية، لأن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي، كان متزوجاً من أمية بنت عبد شمس. ابن عبد مناف، اخت أمية الأكبر الجد الأعلى للأسرة الأموية. وأمية هذه والدة حكيم محتسب قريش. وقد يكون هذا الزواج أو المصاهرة جاءت نتيجة لمحالفة جده لبني أمية، وليس من المستبعد أيضاً أن يكون حارثة السلمي سمي ابنه أمية نتيجة لتلك المحالفة. كما أن مرداوس بن أبي عامر السلمي، حالف حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبا العاص بن أمية بن عبد

(٢٨) مصعب الربيري : نسب قريش ٩٧

(٢٩) ابن حزم : جمهرة أساپ العرب ٢٦٣

شمس. وقال مرداس في حلقاته من بنى أمية^(٣٠):
 لهم نسب وحالفهم أبونا بعكة حيث تختلف الزجاج^(٣١)
 وقال أيضاً:

إني أخذت بنى حرب وأخوتة
 إني أقسم قبل الأمر حجته
 كيما يقالولي الامر مرداس

كذلك فإن إشارة الأزرقى إلى أن حكيم بن أمية كان يقيم في دار عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، أخي أمية بن عبد شمس، لها دلالتها في تأكيد تلك المحالفة. وإنما كان الأمر، فإن المصادر التي أشارت إلى محالفة حارثة السلمي لبني عبد مناف، لم تذهب بعيداً، إذ إن عبد شمس نفسه هو من بنى عبد مناف، كما أن عممة حارثة بن الأوقص جد حكيم، وهي عاتكة بنت مرة بن هلال السلمي، تزوجت عبد مناف نفسه، وهي أم هاشم وعبد شمس والمطلوب من أبنائه^(٣٢).

وليست محالفة بني سليم لقريش، إلا واحدة من محالفات عدة عقدتها قبائل مختلفة مع قريش، لمكانتها الدينية والتجارية^(٣٣). وكانت بني سليم تتعدّد من القبائل الهمامة في العجاز، كما كان كثير من رجالها على صلات وثيقة بقرיש. وقد تحالف معهم أشراف مكة وكبارها، لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة^(٣٤).

(٣٠) ابن حبيب البغدادي: المتنق في أخبار قريش ٣٣١، ٣٣٠.

(٣١) الزجاج: جمع زج الرمح، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ليركل في الأرض، ناج العروس وزجاجه. وقد يذهب المعنى هنا إلى الرماح ذاتها.

(٣٢) جمهرة أنساب العرب ٢٦٣

(٣٣) المتنق في أخبار قريش ٢٨٠ - ٣٠٠.

(٣٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٥١٨، ٥١٩، وانظر أيضاً:

حول قائل الشعر: وعلى الرغم من أن الأزرقي أكد أن الحارث بن أمية الأصغر هو قائل بيت الشعر المذكور، إلا أننا نلاحظ اختلافاً في بعض المصادر حول قائل هذا الشعر، الذي كان يتهده حكيم بن أمية السلمي محتبس قريش بالتنفي والشريد، لأنه كان من سفهاء قريش، كما ذكر كل من ابن حبيب البغدادي، وابن حزم. فابن الكلبي والبلاذري يشكان في قائله، بعبارةهما «ويقال إنه عثمان بن عفان»، في حين يخالفهما ابن حبيب، وينسب البيت إما إلى عدي بن الربيع بن عبد مناف بن عبد شمس، أحد فتيان قريش، أو إلى الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس. أما ابن حزم فإنه يتتجنب تحديد القائل، وينسب بيت الشعر المذكور إلى أحد سفهاء قريش.

ومما يؤسف له، أن معلوماتنا شحيحة عن سيرة القرشيين وغيرهم من العرب قبل الإسلام، لأن أصحاب التراجم إنما ركزوا اهتمامهم منذ البداية على رجالات صدر الإسلام ومن جاء بعدهم من الصحابة والتابعين ورواة الحديث. ويفرد المحب الطبرى بذكر إشارة موجزة عن حبة عثمان بن عفان قبل الإسلام، وذلك عندما حدث عثمان ابنه عمروأ عن نفسه فقال: «كنت رجلاً مستهراً بالنساء»^(٣٥)، وأنه حسد عتبة بن أبي لهب على زواجه من رقية بنت الرسول الكريم، التي كانت ذات جمال رائع، وتحسر لأنه لم يسبقها إلى زواجهما^(٣٦). والاستهان في اللغة الولع بالشيء، وعدم التحدث بغيره، واستهان الرجل بفلانة وأهتر بها، أي أنه أصبح لا يبالى بما قبل فيه لأجلها^(٣٧). ويفهم من النص في ضوء هذا المعنى، أن عثمان كان مولعاً بالنساء الجميلات، ويتمنى الزواج منها. ولم يرد في أي مصدر أو مرجع أن عثمان بن عفان كان يتعرض للنساء وبضايقهن قبل الإسلام، مما يستوجب

(٣٥) المحب الطبرى: الرياض النضرة في مناقب العترة ٧/٣.

(٣٦) المحب الطبرى: الرياض النضرة في مناقب العترة ٨/٣.

(٣٧) لسان العرب، تاج العروس «هتر».

من محتسب قريش أن يشرده وينفيه من مكة.

أما عدي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، فكان كما يقول ابن حبيب من فتى قريش. وفي بيان قريش هم أبناء الأغنياء والجاه، وكان هؤلاء كما يقول جواد علي: «جماعة من أبناء الأسر، يعيشون عيشة شباب وعث، تلهمو وتشرب، وتتفق وتعطى، وتغبث، وتسابق، وتقتل وقتها في اللذة والاستمتاع، وفي الإنفاق على الجسد... حتى إن أحدهم سرق من خزانة الكعبة، لينفق مما سرقه على شربه وقيانه»^(٣٨). ويضيف أن شباب القرى والمدن، ولا سيما أهل الجمال منهم، كانوا يتسلكون في الأسواق، وفي مواضع التجمع حتى في المعابد، ليعبثوا في كلامهم مع الفتيات ولি�تحدثوا إليهن. وقد اضطر آباء بعض هؤلاء الشباب وأقرباؤهم إلى تغريتهم على ذلك، حتى منع البعض من الشباب الجميل، من النائق في الملبس حتى لا يلفتوا إليهم أنظار الفتيات^(٣٩).

ومثل هؤلاء الفتى كانوا دون شك، كما يفهم من المصادر السابقة، موضع تعقب المحتسب حكيم بن أمية السلمي، ومعاقبتهم بالردع، أو التأديب بالسجن، أو بالشريد، أو بالنفي. ولذلك فإن الباحث يرجع أن يكون قاتل بيت الشعر هو الحارث بن أمية الأصغر، أحد أولئك الفتى، وهو ما ذكره صراحة الأزرقي المكي، وقد يُفهم قيل «أهل مكة أدرى بشعابها». كذلك فإن الحارث ينتهي إلى عبد شمس الذي نافس عبد المطلب وألهاشم على التجارة، فحصل على ثراء طائل، حتى غدا مع رجال من نسله من أغنى رجال مكة^(٤٠)، وكان من عقب هؤلاء الحارث بن أمية الأصغر، وهو من ورث الثراء والترف. وقد سبق واستبعدنا أن يكون القاتل عثمان،

(٣٨) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٦٦٢ - ٦٦٤

(٣٩) ابن حبيب البغدادي: المعيير ٢٣٢، ٢٣٣، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

٦٦٢/٤

(٤٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٨٣

بالرغم من أنه ورث بين الصبا والشباب ثروة كبيرة ومالاً ناماً عن أبيه عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الذي كان تاجراً واسع التجارة، وتوفي في إحدى رحلاته التجارية إلى بلاد الشام^(١)، إضافة إلى ما نعاه هو من أموال وثروة قدرت عند وفاته بمائة وخمسين ألف دينار، وألف ألف درهم نقداً، عدا عن مائة وخمسين ألف دينار أخرى، قيمة ضياعه بوادي القرى وحنين، فضلاً عما خلفه من خيل كثير وإبل^(٢)، ناهيك عما أنفقه وتصدق به في حياته المديدة. ومهما قيل في قائل البيت المذكور، فإنه يمكن الاستنتاج من مفهوم السفهاء، وما قيل عن الفتى، أن حكيم بن أمية السلمي كان يشرف على الآداب العامة في المجتمع القرشي قبل الإسلام، ويحافظ على تقاليده وأعرافه، وهذا جزء مهم من واجبات المحتبب الإسلامي.

تساؤلات: هنا يحق لنا التساؤل عما إذا كانت مهمة حكيم السلمي، قد أطلق عليها اسم المحتبب فعلًا في المجتمع القرشي قبل الإسلام؟ أم أن هذا الاسم أطلقه عليه أصحاب المصادر الإسلامية، بعد أن عرفوا منصب المحتبب في مجتمعاتهم؟ وأخيراً هل كانت مهمة محتبب مكة قبل الإسلام دائمة أم مؤقتة؟

ابتداءً، لا بد من الرجوع إلى معاجم اللغة، التي تفيد بأن «محتبب» فلان على فلان، انكر عليه قبيح عمله^(٣)، ومنه جاءت كلمة المحتبب^(٤). وهذا ما يجعلنا لا نستبعد أن تكون قريش ربما هي التي أطلقت على حكيم بن أمية السلمي اسم المحتبب، لأنه كان ينكر على سفهاء قريش وفتياها قبيح أعمالهم، ويعتبرون منها ويؤذبون عليها. لكن مما

(١) عباس محمد العقاد: ذو التوربين، عثمان بن عفان ٦١، ط. حسين: الفتن الكبرى

٥١/١

(٢)Ansoudi: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٣٢/٢

(٣) لسان العرب، ناج المر eos «حسب».

(٤) ناج المر eos «حسب».

بضعف هذا الاعتقاد أننا لا نجد استعمالاً لهذه الكلمة بهذا المعنى قبل حكيم ولا بعده قبل الإسلام. يضاف إلى ذلك أنه بالرغم من أن ابن الكلبي والبلاذري وابن حزم هم الذين أشاروا إلى تعيين حكيم بن أمية السلمي محتسباً في مكة قبل الإسلام، فإن الأزرقي، وابن حبيب، والفاكهبي في رواية ابن حجر، اكتفوا بالقول إن قريشاً استعملته، أو أمرته على سفهائها، مما يرجع القول إن اسم المحتسب الحق بحكيم بن أمية السلمي بعد ظهور منصب المحتسب في وقت لاحق. يعزز ذلك مسألة جوهرية، وهي أن اسم المحتسب، لا يظهر في المصادر الإسلامية، إلا ابتداء من مطلع القرن الثاني للهجرة فيما نعلم. ويعتبر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، في حدود مطالعاتنا، أول من أورد منصب ولادة الحسبة في أوائل ذلك القرن، وذلك خلال ترجمته للقاضي المشهور إيساس بن معاوية المزنبي (ت ١٢١هـ). فقد ذكر البلاذري رواية في هذا الخصوص قال فيها: «وحدثني عبد الله بن صالح المقربي، عن ابن كناسة^(٤٥)، قال: لما ولّي عمر بن هبيرة العراق، أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ)، دعا إيساساً إلى ولادة القضاة فلابن عليه، فضربه أسوطاً وأجبره على ولادة الحسبة بواسطه^(٤٦)». وكرر البلاذري الخبر في أثناء حديثه عن أبيان بن الوليد البجلي، صاحب شرطة خالد بن عبد الله القسري، الذي ولّي العراق بعد عمر بن هبيرة، فقال نقلأً عن المدائني: «كان أبيان كاتباً لإيساس بن معاوية بن فرة المزنبي. وكان إيساس يلي سوق واسط والحسبة، أجبره ابن هبيرة على أن ولّاه ذلك، فضربه أربعين سوطاً حتى

(٤٥) ابن كناسة: هو محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي، أبو يحيى الكوفي (ت ٢٠٧هـ)، كان له علم بالمرتبة والشعر وأيام الناس، وروى بعض الحديث وعده ابن حبان في الفتاوى. وهو ابن أخت الزاهد إبراهيم بن أدهم، وله كتاب «معاني الشعر»، وكتاب «سرقات الكمب من القرآن»، وكتاب «الأنواع». انظر: ابن قبۃ: «ال المعارف»، ٥٤٣، الدیم الوراق: المهرست ٧٧، الأعماق ١٣/٣٣٨، تهذیب التهذیب ٩/٢٥٩.

C H. Pellat, Ibn Kunasa, E 1², Vol III, p 843

(٤٦) أنساب الأشراف ٨/٨٠٩، أنساب الأشراف - الخزانة الملكية بالرباط ٤/١٦٦

تقليده، فكان أبان يحمل الدواة والقرطاس لإيساس، فلما قدم خالد ولأهـ شرطه^(٤٧)، ويتبين من هذا النص أيضاً أن المحتسب كان له كاتب في ذلك الوقت، مما يشير إلى بداية ظهور أعون للمحتسب، عرفوا فيما بعد، إثر نظام الحسبة الإسلامي.

وكثرت بعد ذلك الإشارات إلى المحتسب في العصر العباسـيـ، ابتداءـ من عاصم بن سليمان الأحـوـلـ (تـ ١٤٢ـهـ)، الذي «كان بالكوفـةـ علىـ الحـبـةـ فيـ المـكـاـيـلـ وـالـأـوـزـانـ»^(٤٨)، فيـ أوـاـئـلـ عـهـدـ الـدـوـلـةـ الـعـبـاسـيـةـ فـيـماـ يـدـوـ.ـ كماـ ذـكـرـ الطـبـرـيـ أـنـ يـحـنـيـ بـنـ عـبـدـ اللهـ، أـبـاـ زـكـرـيـاـ كـانـ عـلـىـ حـبـةـ بـغـدـادـ وـالـأـسـوـاقـ سـنـةـ ١٥٧ـهـ، فـيـ خـلـافـةـ الـمـنـصـورـ»^(٤٩)، وكـذـلـكـ عـبـدـ الـجـبـارـ الـمـحـسـبـ فـيـ عـهـدـ الـمـهـدـيـ»^(٥٠)، وـنـافـعـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ أـبـيـ نـعـيمـ إـمامـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ الـقـرـاءـةـ، الـذـيـ كـانـ مـحـتـسـبـ تـوـفـيـ فـيـ عـهـدـ الـمـهـدـيـ أـيـضاـ عـامـ ١٦٩ـهـ»^(٥١). وليس من هـدـفـ هـذـاـ الـبـحـثـ تـبـعـ نـشـأـةـ الـحـبـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ، وـإـنـماـ التـدـلـيلـ عـلـىـ اـسـتـمـارـ مـنـصـبـ الـمـحـسـبـ مـنـذـ أوـاـئـلـ الـقـرـنـ الـثـانـيـ الـهـجـرـيـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ.

لكنـ المـهمـ، أـنـاـ نـجـدـ أـنـفـسـنـاـ أـمـامـ فـجـوةـ زـمـنـيةـ تـقـدـرـ بـقـرنـ هـجـرـيـ، لـاـ نـعـثرـ فـيـ مـصـادـرـهـ فـيـ حدـودـ مـطـالـعـاتـنـاـ، عـلـىـ أيـ إـشـارـةـ إـلـىـ مـنـصـبـ الـمـحـسـبـ.ـ وـنـوـاجـهـ عـوـضـاـ عـنـ ذـكـرـ، مـنـذـ صـدـرـ الـإـسـلـامـ حـتـىـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ الـأـوـلـ الـهـجـرـيـ،ـ مـصـطـلـعـ «ـعـاـمـ الـسـوقـ»ـ بـدـيـلـاـ لـمـنـصـبـ الـمـحـسـبـ.ـ وـهـذـاـ مـاـ يـجـعـلـنـاـ نـرـجـعـ

(٤٧) أنساب الأشراف ٨/٢٩٠.

(٤٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٣١٩، تهذيب التهذيب ٥/٤٣، إلا أن وكيح الفاضي، والذهبي يذكران أن عاصم الأحـوـلـ كانـ مـحـتـسـبـاـ فـيـ الـمـدـائـنـ، أـخـبـارـ الـفـضـاءـ ٣٠٤/٣، سير أعلام البلاء ٦/١٣.

(٤٩) تاريخ الطبرـيـ ٧/٦٥٣.

(٥٠) المصدر نفسه ٨/١٤٨.

(٥١) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ٢/١٢.

أن يكون إخباريو القرنين الثاني والثالث للهجرة ومؤرخوهما ونسابوهما، قد أطلقوا اسم المحتسب على حكيم بن أمية السلمي، في المجتمع القرشي قبل الإسلام، وذلك عندما وجدوا - فيما يبدو - تشابه مهمته بعض الاختصاصات التي كان المحتسب يتولاها في المجتمعات الإسلامية، ومن أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الآداب العامة، وعلى تقاليد المجتمع وأعرافه، وهو ما كان حكيم السلمي يقوم به. يضاف إلى ذلك أن النظام القبلي عند العرب، عرف إجراة قريباً مما كان يقوم به حكيم السلمي، وهو التهديد بالخلع لكل من أجرم أو عمل عملاً يتنافي مع شرفه أو شرف قبيلته، كاسراً أعراف آله وقبيلته، حيث يهيم من يصر على فعل ذلك طريداً منفياً، يلتمس جوار رجل من عشيرة أو قبيلة أخرى (٥٢).

وسواء كان يُطلق على حكيم بن أمية السلمي اسم المحتسبحقيقة، أو أن الإسلاميين اللاحقين أطلقوا عليه، فإن جوهر مهمته كامر بالمعروف، وناء عن المنكر، وحافظ للأداب العامة، وتقاليد المجتمع القرشي قبل الإسلام، يجعله مؤهلاً لمهام منصب المحتسب أو بعضها. وهذه ظاهرة ليست غريبة على التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده، فقد أقر القرآن الكريم والسنة المطهرة، العديد من أحكام المجتمع العربي بعامة، والمجتمع القرشي بخاصة، وذلك بعد تعديلها وتنتقiableها وتفرضيتها.

ومن بين هذه الأحكام بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي كان يضطلع به حكيم بن أمية السلمي، نذكر حج البيت، وأداء العمرة، والطواف بالبيت، ومسح الحجر الأسود، والسعى بين الصفا والمروءة، والتلبية، والوقوف بعرفة بأسثناء قريش، ورمي الجمار، وعدم نكح الرجل لأبنته، وأمه، وأخته، وخالته، وعمته، وحفيدته، وابنة أخيه،

(٥٢) المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤١٠ / ٤

وابنة أخيه، وكرامة الجمع بين الأخرين، وخلف الرجل على امرأة أبيه، والطلاق ثلاثة، وقطع يد السارق اليمني، وصلب قاطع الطريق، وعدم أكل الميتة، والقسامة، والوفاء بالعهود. فضلاً عن المضمضة، والاستنشاق، والسواد، والختان، وحلق العانة، وتنف الإبطين، وتقليم الأظافر، والاستنجاء والغسل من الجنابة، وغسل الميت، ون夔ينه، والصلة عليه، وحمله على سريره.^(٥٣)

والمعلوم أن قصي بن كلاب هو الذي بنى المشعر في مزدلفة، فكان يسرج عليه ليهتدى به أهل عرفات إذا أتوا مزدلفة، فأباقه الله مشعرًا، وأمر بالوقوف عنده^(٥٤). كما حكم عامر بن الظرب العدواني في الخنزى، حكماً جرى حكم الإسلام به، وانتهت هذا الحكم ذرث بن حوط الطائي، فقال فيه ادhem بن أبي الزعراط الطائي :

منا الذي حكم الحكم فوافتـ في الجاهلية سنة الإسلام
وورث عامر بن جشم اليشكري، ذو المجاسد، لولده للذكر مثل حظ الآثنين، فوافق حكم الإسلام^(٥٥). كما عدد محمد بن حبيب خمساً وعشرين شخصاً من قريش وغيرها من العرب، كانوا يحرمون على أنفسهم الخمر والسكر والأذلام^(٥٦).

وليس هذا التوافق بالأمر المستغرب، إذ عرف العرب قبل الإسلام دين الحنيفة، الذي جاء به إبراهيم عليه السلام، وأنى الإسلام ليحييه ويكمله. وفي ذلك يقول تعالى : «وَمِنْ أَحْسَنُ دِيَنَّا مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُخْسِنٌ وَأَتْبَعَ مِلْهَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا»^(٥٧). وقال في محكم تنزيله : «فَلَمَّا أَتَيْتَ

(٥٣) ابن حبيب: المعير - ٢١٠ - ٣٣٧، المفصل ٥٢٨/٥ - ٥٣٠ - ٥٥٠.

(٥٤) المعير ٣١٩

(٥٥) المصدر نفسه ٢٣٦ - ٢٣٧

(٥٦) المعير ٢٣٧ - ٢٤٠، المتن ٥٣١ - ٥٣٢

(٥٧) سورة النساء آية ١٢٥

هذا يرثي إلى صراط مُستَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلْئًا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا^(٥٨)، كما قال: «مِلْئًا إِبْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَائِمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ»^(٥٩). ومن هنا فإننا نرجع أن تكون هذه الأحكام والسنن، التي كانت تمارس قبل الإسلام، إنما كانت من بقايا تعاليم الحنيفة ومبادئها. كما لا تستبعد أيضًا أن يأتي بعضها مما قبله الفطرة وتهتدي إليه، والإسلام كما نعلم هو دين الفطرة السليمة.

كذلك فإن وجود نظام شبه بالحسبة في المجتمع القرشي قبل الإسلام، يعتبر أمراً طبيعياً في مجتمع عرف الكثير من المؤسسات والنظم والتقاليد الحضارية، ومن بينها دار الندوة، والملا، والسفاقية، والحجابة، والسدانة، والإيلاف، وحلف الفضول، الذي تحالف فيه بعض زعماء قريش على «الا يدعوا أحداً يظلم بمكة أحداً، إلا نصروا المظلوم على الطالم وأخذوا له بحقه»^(٦٠). فجاء من يقوم بهممة المحاسب في مكة، ليضيف إلى هذه المعالم الحضارية، مظهراً حضارياً آخر في المجتمع القرشي قبل الإسلام.

أخيراً، فإننا نميل إلى الظن أن مهمة القائم على سفهاء قريش، لم تكن مهمة دائمة، وإنما كانت تظهر كلما دعت الحاجة إلى ذلك، نتيجة لشروع فساد أولئك السفهاء، وتذمر المجتمع القرشي من هذا الفساد، كما حدث قبل الإسلام نتيجة طبيعية لازدياد الشرورات في ذلك المجتمع التجاري، وإقبال أبناء التجار الأغنياء على حياة اللهو والترف والفساد.

ولعل ما نقدم يضيف إلى الحسبة الإسلامية أصالة وجذوراً، كانت في المجتمع القرشي العربي في مكة قبل الإسلام، مما يعزز حجة أصحاب الرأي القائل، إن الحسبة الإسلامية نظام أصيل نابع من البيئة العربية

(٥٨) سورة الأنعام آية ١٦١

(٥٩) سورة الحج آية ٧٨

(٦٠) المحرر ١٦٧

الإسلامية (٦١)، وزاده أصالة ما كان له من جذور في المجتمع القرشي قبل الإسلام.

خلاصة البحث:

نخلص من هذا البحث أن المجتمع المكي القرشي، واجه قبيل الإسلام أوضاعاً اجتماعية، كثُر فيها سفهٌ فتىٰن قريش، وخروجهم على اعراف المجتمع القرشي وتقاليده، وذلك نتيجة للازدحام التجاري في مكة، وكثرة الثروات فيها، وإقبال هؤلاء الفتياٰن السفهاء على الإيفال في حياة الترف والبذخ، والإسامة إلى قيم المجتمع وتقاليده، مما جعل زعماء القبائل والأسر القرشية، تتفق على ضرورة تولية شخصية مرموقة مهمة تتبع أعمال هؤلاء السفهاء، وردعهم، وتاديهم، وجهم، ونفيهم، وتشريدهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم من السفهاء، ويوضع ذلك حدأً لهذه الظاهرة، أو التقليل منها ما أمكن.

وقد وقع اختيار زعماء قريش على حكيم بن أمية السلمي، حلِيف بني أمية، الذي كان ينتهي إلى قبيلة تربطها بقريش روابط دينية وتجارية، وكان هو نفسه متديناً متبعاً مثل جده حارثة بن الأوقص السلمي، مما أكسبه احتراماً وتقديراً وطاعة في مكة، ومكنته من القيام بهذه المهمة خير قيام، حتى هابه سفهاء قريش، وأخذوا يتوارون عن أنظاره في أعلى مكة وضواحيها.

وبينا كذلك أن مهمَّة حكيم السلمي، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان لها صدى في التعاليم الإسلامية، على الرغم من اختلاف القيم والمبادئ التي كان ينطلق منها حكيم، عن تلك التي أفرها الإسلام ودعا إليها.

(٦١) انظر على سبيل المثال: إسحاق موسى العبيسي: «الحبة في الإسلام»، مجلة «المسلمون» العددان ٢ ، ٤ / ١٩٦٤ .

محمد المبارك الدولة ونظام الحبة عند ابن تيمية ٧٧

رشاد معنوق: نظام الحبة في العراق في عصر العامون ٦٩ - ٧٦

ونوهنا في ختام البحث، بأن ظهور نظام شبيه بالحسبة الإسلامية في المجتمع القرشي قبل الإسلام، يؤكد ما يدعوه إليه كثير من الباحثين إلى أن نظام الحسبة نظام أصيل، نابع من البيئة العربية الإسلامية ومجتمعاتها، وليس من الضرورة أن يكون مقتبساً عن النظم الأجنبية التي شهدتها المنطقة العربية.

المصادر والمراجع

مصادر مخطوطة :

البلاذري احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)
«أنساب الأشراف»، مصور نسخة دار الكتب
المصرية، القاهرة، رقم ١١٠٣ تاريخ
«أنساب الأشراف»، مصور نسخة الخزانة الملكية
في الرباط.

ابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)
«جمهرة النسب» بخط محمود فردوس العظم، دار
اليقظة العربية، دمشق.

مصادر مطبوعة :

ابن الأثير علي بن محمد، أبو الحسن عز الدين (ت ٦٣٠ هـ)
«أسد الغابة في معرفة الصحابة»، دار إحياء التراث
العربي، بيروت (ب ت)

الأزرقى محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الوليد (ت
حوالي ٢٤٥ هـ)
«أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، دار الثقافة مكة،
ط ١٩٦٥/٢.

ابن حبيب البغدادي : محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥ هـ)

كتاب المحبّر، حيدر أباد الدكن ١٩٤٢
كتاب المنق في أخبار قريش، حيدر أباد
 الدكن ١٩٦٤

- ابن حزم
 علي بن أحمد بن سعيد، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ)
«جمهرة أنساب العرب»، دار المعارف بمصر ١٩٦٢
- ابن حجر
 أحمد بن علي، أبو الفضل العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)
«الإصابة في تمييز الصحابة»، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- «تهذيب التهذيب»، حيدر أباد الدكن ١٣٢٥ هـ
- الذهبي
 محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ)
- ط ١٩٨٨
«سير أعلام النبلاء»، مؤسسة الرسالة، بيروت
- الزبيدي
 محمد بن محمد، أبو الفيض، مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ)
- الزبيسي
 ناج العروس من جواهر القاموس، الكويت ١٩٦٥
 مصعب بن عبد الله، أبو عبد الله (ت ٢٣٦ هـ)
«نسب قريش»، دار المعارف بمصر ١٩٥٣
- ابن سعد
 محمد بن سعد بن منيع الزهري، أبو عبد الله (ت ٢٣٠ هـ)
- الطبرى
«الطبقات الكبرى»، دار بيروت ١٩٦٠
 محمد بن جرير، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ)
«تاريخ الرسل والملوك»، دار المعارف بمصر ١٩٦٠

أبو الفدا إسماعيل بن علي بن محمود، عماد الدين، الملك المؤيد (ت ٧٣٢ هـ) «المختصر في أخبار البشر»، دار المعرفة، بيروت (ب ت)	أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٥٦ هـ) «الأغاني»، دار الثقافة، بيروت ط ١٩٦٢/٣
فستيفل، فيربيناد : «أخبار مكة المشرفة»، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٤ عبد الله بن مسلم، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) «المعارف»، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٩/٢	ابن قتيبة
المحب الطبرى احمد بن عبد الله، أبو العباس محب الدين (ت ٦٩٤ هـ)	«الرياض النصرة في مناقب العشرة»، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤
المسعودي علي بن الحسين، أبو الحسن (ت ٣٤٦ هـ) «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥	«الطباطبائى ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١ هـ)
النديم الوراق محمد بن إسحاق، أبو الفرج (ت ٣٨٥ هـ) «الفهرست للنديم»، طهران ١٩٧١	«السان العرب»، مصور طبعة بولاق، القاهرة (ب ت)
نظام الملك الحسن بن علي، أبو علي الطوسي (ت ٤٨٥ هـ)	

سياسة نامة أو سير الملوك، ترجمة يوسف حسين
بكاري، دار الثقافة، الدوحة (قطر) ط ٢/١٩٨٧.

محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)
«أخبار القضاة»، عالم الكتب، بيروت (ب ت)

ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)
«معجم البلدان» دار صادر، دار بيروت ١٩٥٥

وكيع القاضي

ياقوت الحموي

المراجع :

جواد علي

«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»
دار العلم للملائين بيروت، مكتبة النهضة
بغداد ١٩٦٨

رشاد عباس معترق : «نظام الحبة في العراق حتى عصر المأمون»
دار البلاد، جدة ١٩٨٢

طه حسين

«الفتنة الكبرى» ج ١ عثمان
دار المعارف بمصر ط ٧/١٩٦٨
عاتق بن غيث البلادي : «معالم مكة التاريخية والأثرية»
دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،
ط ١/١٩٨٠

عباس محمود العقاد : «ذو النورين - عثمان بن عفان»

مكتبة دار العروبة، القاهرة (ب ت)

«الدولة ونظام الحبة عند ابن تيمية»

محمد المبارك

دار الفكر، دمشق ط ١/١٩٦٧

«المعجم المفهرس للفاظ الحديث النبوى»

ونست. أ. ي

مكتبة بريل، ليدن ١٩٣٦

Encyclopaedia of Islam, (First Edition - Photomechanical Reprint) 1987
- Encyclopaedia of Islam, (New Edition) 1990.

Rivista Degli Studi Orientali, Roma, Vol XXVIII, 1953.

نظارات في كتاب «من غاب عنه المطرب»

المؤلف : أبو مصطفى العسالى
الحقق : الأستاذ عبد المعين الملوحي
الدكتور عبد الله بن هاد
مصدر

الأستاذ الجليل عبد المعين الملوحي لا يزال يغنى المكتبة العربية باعماله الفكرية، تأليفاً وتحقيقاً وترجمة، وقد ظهر له حتى الآن أكثر من سبعين أثراً ما عدا المقالات الكثيرة، ولا يزال الكثير من الآثار لديه يتضرر بالحرق. ومن آثاره في ميدان التحقيق : (كتاب الأزهية في علم الحروف) لعلي بن محمد التحوي الهروي، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق مررتين، كانت الأولى عام ١٩٧١ والثانية عام ١٩٨٢. كما حقق (الحماسة الشجرية) مع السيدة أسماء الحمصي، ونشرتها وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٧٠ وحقق (مجموعة المعاني) لمؤلف مجهول ونشرتها دار طلاس بدمشق عام ١٩٨٨ وكان مما ظهر له من الآثار بآخرة تحقيقه لكتاب «من غاب عنه المطرب» لابي منصور الشعالي. ولما قرأته دونت عليه بعض التعليقات وقدمنتها إليه لاستفاد منها في طبعة لاحقة، لكنه - حفظه الله - أبى إلا أن ادفعها للنشر أولاً ليعم بها الانتفاع، فاضطررتني رغبته النبيلة هذه إلى إعادة النظر في الكتاب، وإلى

مقارنته بالأصل الذي نشر عنه، وهو طبعة بيروت عام ١٣٠٩ هـ «بمعرفة محمد بن سليم البابايدى» وقد قدم لي نسخة من هذه الطبعة مشكوراً الاخ الفاضل الاستاذ الدكتور محمد رضوان الداية، وقدم معها نسخة من نشرة الاستاذ الملوي للكتاب نفسه، وعليها ملاحظات دونت على نحو سريع، أخذت منها وسائل إليها في مواضعها من هذا المقال.

ويعد إعداد المقال علمت بأن طبعة أخرى لهذا الكتاب كانت قد صدرت قبل طبعة الاستاذ الملوي بتحقيق الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان عن مؤسسة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٨٤م، وأعاني امر الحصول عليها حتى كانت المصادفة الجميلة في حدث لي مع الاخ الفاضل الاستاذ الدكتور مسعود بوبيو، فعلمت أن لديه نسخة من هذه الطبعة فقدمها لي مشكوراً.

وقد قدم المحقق الدكتور النبوى لهذه الطبعة بسبعين وخمسين صفحة تحدث فيها عن المؤلف وعن عصره وعن مؤلفاته واستوفى الكتاب مع فهرسه ٢٥٦ صفحة. وألزم المحقق نفسه أن يترجم لاعلام الكتاب، واعتمد في تحقيقه على طبعة الجواب وعلى مخطوطه للكتاب محفوظة في مكتبة الأزهر. ولم بلغ تحقيق الدكتور النبوى مشروعية مقالتنا لأن مخطوطته الأزهرية أصابها ما يصيب كثيراً من المخطوطات عادة من تحريف ونقص، ولأن بعض مراجع التخريج التي فاتت الاستاذ الملوي قد فاتته أيضاً. ولأن بعض المواضع التي تتطلب اجتهاداً في القراءة قد جاءت في المطبوعتين باجتهادين مختلفين، كما يجب أن نذكر أن الاستاذ الملوي وفق في التعليق على مواضع فاتت الدكتور النبوى، كما أن الدكتور النبوى وفق إلى تعليقات فاتت الاستاذ الملوي. ومن المأخذ التي سجلتها على طبعة الدكتور النبوى - مع أن مقالى عن نشرة الملوي - أنه بالغ في تهويل ما بذله من جهد في قراءة مخطوطته الأزهرية، مع أن ما أضافته تلك المخطوطة إلى

طبعة الجواب يعَد على الأصياع، وخطها واضح مقروه كما تدل النماذج الموضوعة في أول الكتاب. ومما يؤخذ عليه أنه كان كلما مرت به أبيات للخالدين أو للواواء الدمشقي ورجع إلى الديوانين بتحقيق المرحوم الدكتور سامي الدهان، أكد لنا أن الدكتور الدهان لم يطلع على مخطوطته الازهرية، وكرر هذا على نحو ملفت للنظر، انظر على سبيل المثال ص: ٩٧، ٩٨، ١٠٥، ١٧٢، وكان المرحوم الدهان كان ملزماً نفسه أو مدعياً أنه مطلع على كل مخطوطة ورد فيها بيت للخالدين أو للواواء، مع أنه كان يحقق دواوين لها أصل مخطوط ولا يقوم بجمعها، ولم يلزم نفسه وليس هناك منهج ما يلزم بالعودة إلى كل مخطوطة. وعلى كل حال فإن مقالنا هذا يجد مساحة الرئيس بأنه ينقد آخر طبعة صدرت لهذا الكتاب فيما نعلم، وهي طبعة واسعة الانتشار ولم يتع لمحققتها أن يطلع على تحقيق الدكتور البوبي، لذلك اقتضينا كثيراً من السوائح من طبعة البوبي وأضفناها إلى مقالنا مع نسبتها إلى أصحابها لتكون الفائدة أعم والتتعليق أشمل. ورأيت أن أجعل مقالتي هذا في ثلاثة أقسام:

- الأول يتضمن الفروق بين الأصل (طبعة بيروت) وبين طبعة الاستاذ الملودي. ولم أحله من الإشارة في مواضع إلى طبعة البوبي.
- والثاني يشتمل على الاستدراكات والتصحيحات سواء من المراجع أو من طبعة النبوى.
- والثالث جعلناه للملاحظ العامة على التحقيق.

١ - المقارنة بالأصل :

وبدهي أننا سنذكر هنا المواضع التي لم يشر إليها الاستاذ المحقق وسنهمل ما هو من أغلاط الطباعة.

- ورد في مقدمة المؤلف قوله: «... وصدر البزة الشهب» وقد علق الدكتور الداية في هذا الموضع : وصدور. وهكذا وردت في طبعة

النبي . وهو ما يقتضيه السياق ، لأن التعبير كله كان بالجمع . ومثل هذا ما ورد في آخر مقدمة الشعالي : « وهذا خبر ساقية الأبواب » وصححها الدكتور الدايمى إلى : ساقية الأبواب ، ووردت كذلك في طبعة النبي . وقبل هذه العبارة ورد قول الشعالي : « وترجمته بكتاب : من غاب عنه المطرب ، ومن خير ما فيه أن يسري مسرى الخيال ، وينمى على الأحوال نمى الهلال » وقد أثبتها النبي : « ينمى على الإخوان » والصواب ما أثبته الاستاذ الملوحي لأن الهلال يزيد على الأحوال لا على الإخوان .

- في فصل الخطأ ص ٢٥ ورد : « وقد أحسن ابن المعتز وأطرف حيث قال يصف خط أبي القاسم بن عبد الله ». قلت : في الأصل ص ٧ : ابن عبيد الله . وهو الصحيح . وكذلك أثبتها النبي .

- في ص ٢٦ ذكر أبو محمد الكاتب البروجردي - بالذال المعجمة - وكذلك وردت في الأصل ص ٨ وفي طبعة النبي . وقد ورد هذا الاسم في (بيتيمة الدهر) ٤: ٣٩٤ ط محمد محبي الدين عبد الحميد : البروجردي - بالدال المهملة - .

- في ص ٢٨ ورد ... ومن الماء سلاسته ، ومن سحر نفثته وفى الأصل ص ١٠ : « ومن السحر ... » وفي الموضع نفسه ورد « بعد نزح السهر » وفي الأصل « نزح » والصواب ما أثبته الاستاذ الملوحي . وفي الصفحة نفسها ورد : « كنسم وعد الصباء » والصواب ما ورد في الأصل ص ١١ « كنسم الصباء وعد الصباء » وكذلك وردت العبارة في ط النبي ص ١١ .

- في ص ٣٠ ورد « وقلت لأبي عبيد الله محمد بن حامد الحامدي » وفي الأصل ص ١٢ : « لأبي عبد الله ». وكذلك في ط النبي .

- في ص ٣٢ ورد : « يكرر طوراً » وفي الأصل ص ١٤ : طولاً . وما أثبته الاستاذ الملوحي هو الصواب .

- في ص ٤٠ ورد «بانفاس الاحبة نعما» وفي الأصل ص ١٨ منعما. ولعل الأستاذ المحقق آثر رواية (ديوان البحري) فأثبت ما فيه.

- في ص ٤١ ذكر الشاعري أبياتاً للصنوبرى في تفضيل الربع على سائر الفصول، وقد سقط من طبعة الأستاذ الملوحي البيت الثالث الوارد في الأصل ص ١٩ وهو:

وإن يكن في الشتاء الغيث متصلًا فالأرض محصورة والجو مأسور
وفي هذه القصيدة ورد في البيت الذي قبل الأخير عبارة «تفترز فقائه»
وفي الأصل ص ١٩ : فقائسه. ورواية الديوان ٤٢ ، ٤٣ : فقائسه. وفيه:
والجو محصور.

- وفي ص ٤١ أيضاً ورد «و قال مؤلف الكتاب في شتقان» وجاء في الأصل ص ١٩ : بشتقان. والصواب : بشتقان كما ورد في (معجم البلدان) ٤٢٥ وهي إحدى قرى نيسابور.

- وفي ص ٤٢ وردد «يجاريه في حلقه مزهـ له» وفي الأصل ص ٢٠ : «في حلقه» بالكاف المثلثة. قلت: وكذلك وردت بالكاف في ديوان الشاعر المنتشر في مجلة (المورد).

- وفي ص ٢٣ ورد ... جر النسيم على الأرض أزرء، وحل عن جيب الطيب أزرء؛ وجاء في الأصل ص ٢١ : عن جيب الطيب زرء.

- وفي ص ٤٤ ورد قول ابن المعتز «مفتضع البدر عليل النسيم» وفي الأصل : علته النسيم.

- وفي ص ٤٦ ورد «روضة رقت حواشيها وتأنق» وفي الأصل ص ٢٢ وتأنق واشتها. وجاءت في طبعة د. النبوى على أصلها. وفي الصفحة نفسها وردت عبارة: «وكستها ببرودتها» والصواب ما ورد في الأصل : وكستها ببرودها. وهكذا وردت على الصواب في طبعة النبوى.

- وفي ص ٤٧ ورد قول ابن طباطبا:
ويكاد يندرى الدمع نرجسها إذا أضحي ويقطر من شفائقها الدم
قلت: في الأصل ص ٢٤: أضحي يقطر.
- وفي ص ٥٣ ورد قول الخالدي: «كانه أنا مقياساً بمقاييس»، وورد
في الأصل: كانه وأنا. ورواية الديوان ص ١٣٥: كانه أنا.
- في ص ٥٥ ورد: بسْرَ يُفْضِي، وفي الأصل ص ٣٠: يقضي.
والصواب كما أثبته الاستاذ الملوجي.
- وفي ص ٥٥ ورد قول السري: «وثروة تحكم في الأعدام» وجاء
في الأصل ص ٣١: الأعراם. وما أثبته الاستاذ الملوجي موافق لما في
الديوان ٢: ٧٠٢ ق ٤٧٦ ب ٥.
- وفي ص ٥٧ ورد قول السري: «كأنما القلب قلب ذي رعب»، وفي
الأصل ص ٣٢: كأنما البرق، وهذا هو الصواب، وعلىه أنت رواية الديوان
في طبعته، في ص ٢٦ ط القدسي وفي ج ١ ص : ٣٥١ ق ٣٩ ب ٣ ط
العراق.
- في ص ٥٩ ورد قول ابن المعتز: «والسوسن الآزر منشور الحلن»
وفي الأصل ص ٣٣: والسوسن الآزار، وفي ط النبوi: الآزاد. وقد وردت
في ديوانه ط دار صادر ٤٧٤: لازر، وفسرها بمعنى الأبيض.
- في ص ٦٢ ورد «ومن أحسن ما قبل في الشراب..»، وفي
الأصل: وما أحسن ما قبل.
- في ص ٦٣ ورد اسم أبي المعاسن الرئيس أبي سعيد الحوالى.
وفي الأصل ص ٣٨: ابن أبي سعد.
- في ص ٦٦ ورد قول البادي الأصفهانى: «من المتقارب»

صفا الماء فيه وطاب الهرى يحيلهما نسيم ربيع عطر
وفي الأصل: يحيلهما نسم. وبهذه الرواية يستقيم الوزن. وسيرد
الكلام على هذا النص في القسم الثاني من هذا المقال.

- في ص ٦٧ ورد قول جحظة البرمكي: «واشرب فقي الشرب للأحزان تحليل»، وورد في الأصل ص ٤١: للإخوان تخليل، وهكذا ورد في ط النبوى:

- في ص ٧٤ ذكر الشاعري أبياتاً للصنوبري، وقد سقط منها في طبعة الاستاذ الملوحي البيت الثالث مع أنه ورد في الأصل، والبيت:
أَنْظَرْنَ ذَا وَرْدًا وَذَا ثِلْجًا عَلَى الْأَغْصَانِ يَنْفَعُ
- في ص ٧٥ ورد «في هذا المكان» وفي الأصل: بهذا.

پا لبلة ما كان اطبيبا سوي فصر القاء

وقد قيد الأستاذ الملوحي روبي الآيات فجاءت من مجزوء الكامل والمذيل والتنزيل: زيادة حرف ساكن على وتد مجموعه، ووردت الآيات في الأصل مضبوطة بالكسر فتكون عندئذ من مجزوء الكامل المرفق والترفيلي زيادة سبب خفيف على وتد مجموعه. وقد ذكرت هذه الآيات على المجزوء المرفق في (سرور النفس) للتيقاشي ص ٧٥.

- في ص ٨٨ ورد قول السري «وغال شهر الصوم مفتال» وفي الأصل ص ٧٥ «شهر الصيام»

- في ص ٨٩ ورد «من أحسن ما أنشد فيه». وفي الأصل ص ٥٨:
أنشدته ومتا، ذلك ورد في ص ٩٨ ويعادلها في الأصل ص ٦٧.

- في ص ٩٠ ورد قول أحد البلغاء: «فرفع يديه وقال» وفي الأصل ص ٥٩: «فرفع الله يديه وقال».
- في ص ٩٥ ورد قول ابن الرومي: «يومها للنديم يوم سرور» وفي الأصل ص ٦٣: يومنا للنديم.
- وفي الموضع السابق وردت عبارة «قد غبت» وفي الأصل: غيم.
- في ص ١٠٣ ورد «إلا أن تتناوله يمينك» وفي الأصل: ٧٢ تتناولها.
- في ص ١٠٧ ورد «إذ طير سعدي جواري» وفي الأصل ٧٥ جوار.
- في ص ١١١ ورد قول جرير ٤٠٠٠ حتى لاحراك به» وفي الأصل ص ٧٥: له.
- في ص ١٢٠ ورد: «ولامي نواس أربع تشبيهات» وفي الأصل ص ٨٢: ولامي نواس في أربع تشبيهات.
- في ص ١٢٢ ورد قول ابن الرومي «ودر زانه حسن اتساق» وفي الأصل ص ٨٣: اتساق.
- وفي ص ١٣٢ ورد «قول أبي الفتح كشاجم» وفي الأصل ص ٩١: أبي الفتح محمود كشاجم.
- وفي ص ١٤٦ ورد قول ابن المعتر: «فكان حمرة لونها في خده» وفي الأصل ص ٩٩: من خده.
- في ص ١٤٦ ورد قول الخالدي «منا قلوب وأبصارً وتنهواه» وفي الأصل ص ١٠٠: ونهواه.
- في ص ١٦٤ وردت عبارة «فبرد اللفظ» وفي الأصل ١١٠: فبرد اللفظ

٢ - الاستدراكات والتصحيحات :

اعتمد الأستاذ الملوحي في تحقيقه الكتاب على نسخة واحدة مطبوعة كما ذكرنا، وتبني معظم الشرح القليلة التي ذكرت في حواشى تلك الطبعة، فكان عمله الأساسي وهو بصدق تحقيق كتاب من كتب المختارات أن يقارن تلك المختارات بأصولها، سواء في دواوين الشعراء أو في كتب آخر. لذلك كان جل عمله متوجهاً إلى تحرير الآيات وضبطها، ومن هنا كان اتجاهها إلى تحرير ما لم يخرج، لأن بعض الكتب والدواوين لم تكن بين يدي الأستاذ المحقق، كما أضفنا مزيداً من التحرير لبعض ما خرجه الأستاذ، وقد أعدت تحرير شعر السري الرفاء والبحترى اعتماداً على الطبعتين المحققتين، وخرجت شعر كشاجم معتمداً على ديوانه الذي حفظه الأستاذة خيرية محمد محفوظ وطبع في بغداد سنة ١٩٧٠، كما استفادت في مواضع من طبعة الدكتور النبوi .

- ورد في ص ٢٦ : «ووصف يوسف بن أحمد» قلت: والصواب
أحمد بن يوسف كما ورد في طبعة النبوi . وانظر معجم الأدباء ٥: ١٦١.

- ورد في ص ٢٦ وعلى هذه الصورة: «وقول أبي القاسم: مولاي مليح الحظ والخط، فذاك النمل في العاج، وذاك الدرّ في السمط» قلت:
أرى أن الصواب أن يكون النص على هذا النحو كما أشار الدكتور الداية:
وقوله - أبي قول الصاحب - :

أبو القاسم مولاي مليح الحظ والخط
فذاك النمل في العاج وذاك الدرّ في السمط
وقلت: وورد أيضاً في ديوان الصاحب والرواية فيه عن البيتية

- أبو نصر بن بكران ملبح الحظ والخط
فهذا النمل في العاج وذاك الدر في السمت
- في ص ٢٧ ذكر الشعالي بين لكشاجم، وذكر الأستاذ المحقق
أنهما في (نفح الأزهار) للبلتوني دون عزو. قلت: البيان في (ديوان
كشاجم) ص ٦٠ ق ٤٥، وأحالت محققة الديوان إلى (ديوان المعاني)
٢: ٨٤ وإلى (أحسن ما سمعت) للشعالي ١٠٢. أما الدكتور النبوi فهو
يحيل إلى نسخة مخطوطة لديوان كشاجم، ولن أشير إلى هذا مرة أخرى.
- في ص ٢٩ ورد بيان لإبراهيم بن سياه الأصفهاني ولم يخرجهما
المحقق. قلت: والبيان في كتاب (الحمدون من الشعرا) للفقطي ص
٦٤، ٦٥ ط المجمع بدمشق.
- وفي ص ٣٠ ذكر المؤلف الشعالي ثلاثة أبيات من شعره أولها:
سبحان ربِّي تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعمل
وذكر الأستاذ المحقق أن الآيات في (اليتيمة) ٣٥٦:٣. قلت:
الصواب ٤: ٣٥٦ وهي في (ديوان الشعالي) المنثور في مجلة (المورد)،
المجلد السادس العدد الأول نقلًا عن (اليتيمة) ٤: ٣٥٦ وعن (أحسن ما
سمعت) ٤٩: ٥٠.
- وفي ص ٣٠ ذكر المؤلف بين من شعره وجههما لأبي عبد الله
محمد بن حامد الحامدي وأولهما:
إني ارى الفاظك الغرّا عطلت الكافور والدرّا
ولم يخرجهما المحقق. قلت: مما في (بيتة الدهر) ٤: ٣٥٦ وفي
ديوانه ق ٧٤ نقلًا عن اليتيمة.
- في ص ٣١ وردت عبارة الخوارزمي: «والزهر جنيا، والماء مرثيا»
والآتي منها ما ورد في طبعة النبي: «والماء مرثيا».

- في ص ٣٢ ذكر المؤلف بياناً للمربي ولم يخرجه المحقق ولم أعتبر عليه، وقد وقعت في أثناء البحث على تعريف بالمربي في كتاب بهجة المجالس: ١٧٥٤ قال: المربي وهو القاسم بن يحيى من ولد أبي مريم السُّلْميِّ صاحب النبي عليه السلام، وذكر له صاحب بهجة المجالس شعرًا يخاطب به أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب الذي كتب لأبي الجبيش بن طولون صاحب مصر من سنة ٢٧٠ هـ إلى سنة ٢٨٢ هـ. وانظر أيضًا كتاب المصنف لابن وكيع ١٨٧ بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية.

- في ص ٣٣ ورد قول الصابي في شعر أبي عثمان الحالدي: «يختلط بأجزاء النفس...» وورد في ط النبوi: «شعر يختلط بأجزاء...» وفي الموضع نفسه ورد قول الصاحب في شعر عضد الدولة: «قرأت الآيات أسف عنها...» وفي ط النبوi: التي أسف عنها. كما وردت في الموضع نفسه عبارة: يتكسر الزهر وفي ط النبوi: ينكسر.

- في ص ٣٤ ورد قول ابن نباتة:

خذها إذا انشدت في القوم من طرب
صدورها، علمت فيها قوافيها
وورد في ط النبوi ص ٢٠: علمت منها. وما جاء في طبعة الملوحي
موافق لما في البيبمة ٢: ٣٧٩.

- في ص ٣٧ ورد قول المأمون: «اغلظ الناس طبعاً من لم يكن ذا صبوة» وتنمية الكلام في ط النبوi ص ٢٣: «وارتياح للربيع»، قلت: وهو الأصح لأن الفصل معقود لما قبل في وصف الربيع.

- وفي ص ٣٧ ورد «وقال آخر: تبلغ [الربيع] عن وجہ بھج، وخلق غنج، وروض ارج، وطیر مزدوج»، قلت: كلمة الربيع ساقطة من طبعة

الملوحي . وورد في الطبعتين : « طير مزدوج »، وربما كان الاصح أن يقال : طير هرج .

- في ص ٣٩ ذكر الثعالبي أبياتاً لسعيد بن حميد ، وخرجها المحقق ،
وعكن أن تزيد في تخرير البيت الرابع :
فcri الساء إذا أسف ربابها فكأنها كست جناح غراب
قلت : هذا البيت في سرور النفس ص ٢٦٠ وفي كتاب التشبيهات لابن
أبي عون ١٦٣ . وذكر حرق سرور النفس أن البيت في عموم شعر سعيد بن
حميد ص ١٥٤ . ولم يتبه الدكتور النبوى إلى ما نبه إليه الأستاذ الملوحي من
الخلاف في نسبة الأبيات .

- في ص ٣٩ وردت أبيات البحترى المشهورة في وصف الربيع وأوها
« أناك الربيع الطلق يختال ضاحكاً ». قلت : هذه الأبيات في (ديوان البحترى)
بتتحقق الأستاذ الصيرفي ٤ : ٢٠٩٠ ق ٧٩١ ب ٢٥ وما بعده . وهناك فروق
طفيفة في رواية بعض الأبيات في مواضع منها .

- في ص ٤٠ ذكر الثعالبي بينن لابن العتز أوهما :
اما نرى الأرض قد أعطتك زهرتها مخضرة واكتسى بالثبور عاريها
وخرجها الأستاذ المحقق من الديوان . قلت : وما في (سرور النفس)
ص ٢٢٠ ونسبها التيفاشي للبسامي . وذكر حرق الكتاب أن البيتين في حلبة
الكمبـت ٢٤٠ .

- في ص ٤٠ ذكر الثعالبي بينن لمحمد بن سليمان المخزوبي هما :
نيسان وقت مسراة الإنسان وأوان طيب الراح والريحان
شهر له بنسمه ونعمته صفة تحاكي جنة الرضوان

ولم يعثر عليهما الاستاذ المحقق في مصدر آخر. قلت: والبيتان في (سرور النفس) ٢٣٥ غير منسوبين، وهما في مدحه أيلول :
‘أيلول وقت مسحة الإنسان . . .
فصل بنسيمه . . .

- في ص ٤١ ذكر المؤلف بيتهن من شعره في أيام الصبا وأوتها:
أظن ربيع العام قد جاء تاجراً ففي الشمس بزراً وفي الريح عصر
تضيف إلى ما ذكره المحقق أنها في ديوانه ق ٧٧ نقلًا عن (حصر
الخاص) ص ٧٧ [وفي ط لبنان ٢٣٣] وعن (المبهج في الربيع) ٤٦ و (أحسن ما
سمعت) ٦٦.

- في ص ٤١ ، ٤٢ ذكر المؤلف أبياتاً من شعره في وصف وبشتقها
قلت والآيات في (ديوان الشاعري) ق ٢٠١ نقلًا عن (خاص الخاص) [وفي
ط لبنان ٢٣٤] والبيت الأخير في كتابنا:
تنزه سمعي ما أراد وناظري وقلبي مع الإخوان لا يتنزه
وفي ديوانه: «مع الأحزان لا يتنزه» وربما كانت هذه الرواية أبق بالمراد.

- في ص ٤٤ ذكر المؤلف بيتهن للبحيري وأحال إلى ديوانه ص ٤٨ .
قلت: وما في ديوانه بتحقيق الصيرفي ٣: ١٧٣٦ ق ٦٧٣ ب ٨٠٧ .

- في ص ٤٤ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لابن المعتز أوها:
يا رب ليل سحر كله مفتضح البدر عليل النسب
قلت: والبيت الأول والثاني في (المحب والمحبوب) ٣: ٨٠ وأحال محققه
إلى كتب عديدة منها (الأوراق) للصوفي ٣: ٢٠٣ و (ديوان المعان) ١: ٣٥٩
و (الخمسة الشجرية) ٢: ٧٤١ و (قطب السرور) ٦٨٤ و (معاضرات
الأدباء) ٢: ٢٥٤

- في ص ٤٤ - ٤ ذكر الشاعري بيتهن للسرى الرفاء أو هما:

وحدثني يسبيك وشى برودها حق تشبهها سبائك عصر وخرجهما المحقق من الديوان ١٠٩ ط القدسى ومن (البيتية) ٢: ١٦٨ . قلت: والرواية في الديوان «سبائب عصر» وهذا هو الألائق بالسياق، لأن السبائب هي الطرائف . والبيان من قصيدة له في ديوانه ط بغداد تبلغ ٥٥ بيتاً انظر الديوان ٢: ١٦٤ ق ١٨٢ ب ١١ ، ١٢ .

- في ص ٤٥ ذكر الشاعري قول السرى الرفاء:

وبساط ريحان كماء زبرجد عبث بصفحته النجوم فأرعدا بشتاقه الشرب الكرام فكلما مرض النسيم سعوا إليه عودا

قال المحقق: لم أجدهما في ديوانه، وهما له في (البيتية) ٢: ١٧٨ و (نهاية الأربع) ١١: ٢٥٢ وفي (نمار القلوب) ٩٠، ٩١ . قلت: القصيدة التي منها البيان وردت في طبعة القدسى في ١٦ بيتاً، أما في طبعة بغداد فإنها استوفيت في ٣٥ بيتاً ومنها البيان المذكوران هنا. انظر الديوان ٢: ١٢٩ ق ١٦٣ ب ٢٠٠، ١٩ .

- في ص ٤٧ وردت أبيات للصنوبري منها قوله:

وكأن خرمها البديع إذا بدا عرف الطواويس قد مددن نقابها
قلت: ورواية الديوان ٤٥٢ :

وكأن خرمه البديع وقد بدا روس الطواويس إذ تدبر رقاها
ولا شك أن الرقاب أليق في سياق البيت من النقاب. وقد أثبت الدكتور النبوi رواية: رقاها. وورد البيت الذي بعده ص ٤٨: «ونساب باقلاء»
والصواب ما ورد في الديوان: ونبات باقلاء .

- في ص ٤٨ ورد بيتان لأبي العلاء السروي، ونضيف إلى تخرجهما أنها في (المحب والمحبوب) ٢: ٧١ برقم ١٠٠ و (خاص الخاص) ١٦٠ ط لبنان و (المرقصات والمطربات) ٥٩. وأيضاً فإن أبيات الكاتب البكتمري في الموضع نفسه وردت في المرقصات ٥٨.

- في ص ٥٠ ذكر الشاعلي أبياتاً لبعض المتأخرين، وووجدها المحقق في (اليتيمة) ٢١١: ٢ معزوة إلى الخباز البلدي، وفي (قطب السرور) ٦٠٤ معزوة إلى ابن المعتر. قلت: والبيتان الأول والثاني في (المرقصات) ٥٩ ونسبهما للخباز البلدي.

- في ص ٥١ ورد بيتان للبحترى أو لها وورق تداعى للبكاء بعشن لي كبير أسى بين الحشا والحيازم قلت: والبيتان في ديوانه المحقق ٣: ١٩٧٠ ق ٧٥٩ ب ١٢، ١١ مع خلاف في رواية بعض الكلمات.

- في ص ٥٢ ورد بيتان لابن المعتر، وسيردان مع أبيات آخر ص ٦٧، وسنذكرهما في موضعهما لذكر زيادة من مراجع التخريج.

- في ص ٥٣ ورد بيتان لأبي عثمان الخالدي. وقد سقط بعدهما ثلاثة أبيات من أصل الأستاذ الملوحي، وذكرها الدكتور النبوi اعتماداً على أصله. والنص بتمامه:

ومن خصائص السري ولطائفه قوله:

هذا طرباً في أوان الطرب فأنجح أقداحه بالنخب
وغنى ارتياحاً إلى عارض يغنى وعبرته تنكب
غبوم تمسّك أفق السماء وبرق يكتبه بالذهب
والأبيات في (ديوان السري) ط القدسي ص ٤٠ وفي ديوانه ط العراق

١: ٣٠١ ق ٢٤ ب ١، ٣٠٢ وروي عجز البيت الثاني فيه: وعبرته من جوئي
تسكتب وانظر (البيتيمة) ٢: ١٦٩.

- في ص ٥٣ ورد قول الخالدي:

كخلبي موافق للذى بهوى فيكى جهراً ويضحك سرًا
والبيت من الخفيف، ويجب أن يكتب مدورة لإظهار استقامة الوزن في
كل شطر، وقد روي في ديوان الخالديين على هذا النحو:
كخلبي منافق للذى بهوا ، بيكي جهراً ويضحك سرًا
وعلى هذا النحو يستقيم المعنى والوزن. وقد أثبت الدكتور النبوى هذه
الرواية.

- في ص ٥٣ ذكر الشاعري بينن للقاضي أبي الحسن بن عبد العزيز
أوهما:

من أين للعارض الساري نلهمه أم كيف طبق وجه الأرض صبّه
ولم يخرجها الأستاذ المحقق. قلت: البيتان في (خاص الخاص) ط لبنان
١٨٧ برواية فيها خلاف مع أربعة أبيات آخر.

- وفي ص ٥٤ قال الشاعري: فليتنتظم عقد الندماء، إذا انقطع
ساريات الغمام. قلت: ورد في ط النبوى: شربان الغمام.
وفي النص نفسه ورد: قد استumar السحاب أكتَ الجِواد، وجفون
العشاق. وما ورد في ط النبوى أليق، وفيه: أكتَ الأجواد.

- وفي ص ٥٤ أيضاً ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لعبيد الله بن عبد الله بن
طاهر أوهما:

أما ترى اليوم قد رقت حواشيه وقد دعاك إلى اللذات داعيه

ولم يخرج الاستاذ الملوحي هذه الآيات . وخرجها الدكتور الشوبي ص ٤٨ فقال : الآيات ذكرت في (نثر النظم) ١٥٦ منسوبة إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر . وجاء البيتان الأول والثاني في (الأمامي) ١ : ١٨٠ منسوبين إلى عبد الله ابن عبد الله بن ظاهر .

قلت : ورد البيت الأول من هذه الآيات في (سرور النفس) ٢٨٥ وبعدة بيتان آخران غير اللذين ذكرهما الشعالي . ونسب التيفاشي الآيات لمحمد بن أمية .

- في ص ٥٤ - ٥٥ ذكر الشعالي سبعة آيات من الرجز المشطور لكشاجم . قلت : والأرجوزة بتمامها في (ديوان كشاجم) ٣٠٧ برقم ٢٩٤ وهي في ثمانية عشر بيتاً . ذكر منها الشعالي الآيات ١ ، ٩ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ١٠ .

- في ص ٥٥ ذكر الشعالي أرجوزة للسري الرفاء . والأرجوزة في ديوانه المحقق ٢: ٧٠٢ برقم ٤٧٦ ، وقد وردت أبياتها متالية على نحو أفضل مما ذكره الشعالي .

- في ص ٥٥ ورد قول ابن المعتز في وصف السحاب والمطر :
ترى مواقعه في الأرض لائحة مثل الدرارم تبدو ثم تستتر
قلت : في طبعة النبي : مثل الدراري . . . وفي ديوانه ط دار صادر ص ٢٥٦ : ترى مواقعها [أي مواقع المزنة] أما الشطر الثاني فقد ورد كما ورد في كتابنا أبي برواية : مثل الدرارم . . .

- في ص ٥٦ ورد بيان لابن مقلة الوزير أو هما :
لا يكن للكلبس يوم الغيم في كفك لبْت
وخرجها المحقق من (البيتيمة) ١: ٩٤ على أنها لأحمد بن كيغلغ . قلت :

انظر (اليتيمة) ١٠٩: ط محمد محبي الدين عبد الحميد. وهم في (سرور النفس) ص ٢٨٤ لابن مقلة.

- وفي ص ٥٧ وردت أبيات للسري الرفاء فهذا:

قم وانتصف من صروف الدهر والتوب
واجمع بكأسك شمل اللهر والطرب
قلت: الآيات في ديوانه المحقق ١: ٣٥٠ ق ٣٩

- وفي ص ٥٧ وردت مقطوعة لأبي العشائر أوصها:

الخمر شمسٌ في غلالة لاذ تجري ومطلعها من الخردادي
وذكر المحقق نقلًا عن الأصل أن اللاذ معناها المستتر. قلت: لا معنى
لهذا في هذا السياق. والصواب أن اللاذ ثياب حرير تنبع بالصين واحدتها
لادة. أما الخردادي فهي الخمر، وضبطها «أدي شير» في اللافاظ الفارسية
بفتح الخاء، وسكون الراء: الخردادي. وقال: إنها معرّبة عن «خوردادي» وهي
الخمر.

- في ص ٥٨ ورد قول الثعالبي: ومن أحسن ما أحفظ في عامة
الرياحين.

زاد في ط النبي ص ٥٤: والأزهار.

- في ص ٥٩ ورد قول ابن طباطبا:

زفرات هنّك قد أصابت فرصة فخرجن لما أن شمنا الترجسا
قلت: والصواب: شمن. وعلى الصواب جاءت الرواية في طبعة
النبي.

- في ص ٦٠ ورد: وقول أبي سعيد الأصفهاني وفي ط النبي: أبي
سعد.

أصحاب . . . قلت: وفي (البيهقي) : ٣٠٤ أبو سعيد الرستمي من أبناء

- في ص ٦١ ورد بيان نسبهما الثعالبي إلى ابن المعز وأولهما سفيان لارض إذا سأنت تبنيي بعد اهدر بها صوت النواقيس
 قلت: وخرجهما الحقن على أنها لابن المعز في (نهاية الارب)
 ٢٧٥: ٢٧٦ وللأخيطل الأهزازي في (المستطرف) ٢: ١٩٥ وكذلك في
 (ثمار القلوب) ٧٦ للأخيطل . وقال بأنه لم يجد لها في ديوان ابن المعز . أما
 الدكتور التبوى فلم يخرج الآيات واكتفى بالقول بأنه لم يجد لها في ديوان ابن
 المعز . ونضيف بأن البيتين وردتا في كتاب (التشبيهات) لابن أبي عون منسوبيين
 إلى الأخيطل الواسطي ص ١٩٦ .

- في ص ٦١ ورد قول أبي الفرج البيضاوي: أظرف الزهر جاء في أظرف الدهر سر فضل فيه أظرف الإخوان والأبيات في (البيضة) ١: ٢٨٠ ط عبد الحميد. وقد ذكرت هذا البيت لأنّه على أنّ الدكتور النبواني في طبعته ضبط فعل الأمر «فضل» من الوصل، بالتنوين على أنه اسم: «فضل»، وبهذا يفسد المعنى والوزن.

- في ص ٦١ وردت أبيات للخالدي أولاً:
يا شبيه البدر حسناً وضييـاءً ومثـلاً
وذكر في ط الملوحي أنها قبلت في تشبيه الورد. وكان الآلبي أن تكون في
التشبيه بالورد. وفي طبعة النبوi ذكر أنها في تشبيه البدر. والحق أنني لم أجده
للبلور مناسبة في هذه الأبيات، وقد راجعتها في مظانها: في (اليتيمة)،
و(الاعجاز والإيجاز) و(خاصر الخاـصـ). فلم أجده للبلور ذكرـاً.

- ف ص ٦٢ ورد قول ابن لئنك في الشراب على هذا النحو :

ضفت من دم القلوب فـ **بُصر إلا تعلقت بالقلوب**
والبيت من الخفيف، والصواب في كتابته :
... فماتـ بـ حـرـ إـلاـ ...

- في ص ٦٣ ورد قول الصنوبري :

حـذا يـوم أـحمد بـين رـوح وـمنـجـد
ورواية الديوان ٤٧٦ : بين روض منجد. وفي ط النبوى ، ص ٦٣ :
حـذا يـوم أـحمد - بالـجـيمـ المـعـجمـة - .

- في ص ٦٥ أورد المؤلف لنفسه أبياتاً، فقد ذكر بيتن أولها :
رب يـوم هـواـه يـتلـظـى فـيـحاـكـي فـؤـاد صـبـ مـتـبـ
قلت : والبيان في ديوانه نقلأ عن (احسن ما سمعت) ص ٧٤ وعن
(نهاية الأربع) ١٧٢ وعن كتاب (من غاب عنه المطلب).

وورد بعدهما بيان آخران للمؤلف الشعالي ، وهو في ديوانه ق ١٠٩ نقلأ
عن كتابنا هذا . وقد ورد البيت الثاني في ط الاستاذ الملودي :
فـإـنـ سـمعـتـ بـيرـدـ الوـصلـ فـيـكـ فـقـدـ سـلـلتـ نـصـورـ رـجـائـيـ منـ يـدـيـ يـاسـيـ
وورد في ط النبوى :

فـإـنـ سـمحـتـ بـيرـدـ الوـصلـ فـيـهـ فـقـدـ سـلـلتـ نـصـورـ رـجـائـيـ منـ يـدـيـ يـاسـيـ
- في ص ٦٦ وردت أبيات للبادي الأصفهاني لم يخرجها الاستاذ
الحقـقـ .

قلت : الأبيات في (سرور النفس) ٢٣٤ منسوبة إلى الباذانى مع خلاف في
الرواية . وسألـ وردـ رواية (سرور النفس) مع تعليقـ محققـهـ الدـكتـورـ إـحسـانـ عـباسـ
لـأنـاـ تـصـحـ رـوـاـيـةـ الشـعـالـيـ فيـ (مـنـ غـابـ عـنـهـ المـطـبـ) :

إذا ما انقضى عنك عاماً يكرّز
 فإن الخريف جيماً سحر
 يجلوهما نسمُّ ربيعٍ عطرٌ
 إذا ما رجا طبٍ وصلٍ هجزٌ
 وأحسبه من صدودٍ حجزٌ
 خحدود خجلن لوحبي النظر
 تكون ثماراً لتلك الشجر

قال الأستاذ الدكتور إحسان عباس :

«البيت الأول في (محاضرات الراغب) ٢٥٣: ٢ . والبازاني : نسبة لم
 يوردها السمعاني أو ابن الأثير، وأقرب الصور إليها : البازني ، وإليها ينسب أبو
 عبد الله البازني التيسابوري ، شاعر ضرير بمود ، كان يمدح البلعمي وغيره»

- في ص ٦٧ : وردت أبيات لابن المعتز أواها :

مات كأس الصبح في أيلول بزد الطبل في الضحى والأصيل

ونضيف إلى مراجع التخريج : (سرور النفس) ٢٣٤ وعنه [ديوان ابن
 المعتز ٣: ٢٩٨ تـ لوبن ، إسطنبول . و ٢١٢: ٢ ط السامراني ، و (الأوراق)
 ٢٠٠ و (نهاية الأربع) ١: ٩٧ ، ١٧٤ و (ديوان المعانى) ٢: ٤٦].

- في ص ٦٧ وردت ثلاثة لحظة البرمكي . ونضيف بأن الآيات في
 (سرور النفس) ٢٣٥ لحظة أيضاً .

- في ص ٦٨ وردت أربعة أبيات لكشاجم ، وذكر المحقق أنها في
 (نهاية الأربع) ١١: ١١٣ . قلت : والصواب ١١: ١٨٣ وهي في (ديوان
 كشاجم) ص ٣٨٨ ق ٣٨٢ مع خلاف في روایة بعض الألفاظ .

- في ص ٦٨ قال التعالي : وللإمام في وصف الأنرز :

واسعدك الله بالمهرجان
 ولا زلت في عيشة كالخريف
 نرى الماء فيه وذاك الهواء
 وأنرجه عائشة مدنف
 ولون سفرجله حائل
 وتفاحه فوق أغصانه
 وما كنت أحسب أن الخدود

جسم بُخينٍ قميصه ذهبٌ مركبٌ في بديع تركيبٍ
فبه لمن شمه وأبصره لودٌ عبَّ وريخٌ محبوبٌ
قال المحقق معلقاً على قول الشعالي: «وللإمام»: أظنه ابن الرومي كما
لقبه الشعالي مراتٍ، ولم أجده في بيته في ديوانه.

قلت: إن الشعالي في كتابه هذا لقب ابن الجهم بالإمام ص ٩٥ ولقب
الصولي بالإمام ص ٨٠ وكذلك لقب أبي تمام ص ١٠٦ فليس هناك ما يرجع
ظن الأستاذ المحقق. أما البيتان فقد وردتا في (نهاية الأربع) ١١: ١٨٢ منسوبتين
إلى ابن دريد، ورواية عجز البيت الأول: «رُزْ على لعنة من الطِّبِّ» وهما
في (ديوان ابن دريد) ص ٤٠ نقلًا عن (محاضرات الراغب) ٢٥٧: ٢
و(نهاية الأربع).

ومثل هذه العبارة: «وللإمام في . . . ، ترد عادة في طبعة النبوى هكذا:
«والإمام في وصف الآتىج منْ قال: . . . » ص ٧٠

- في ص ٦٩ وردت ثلاثة أبيات للشعالي. قلت: هي في ديوانه ق
٣٧ نقلًا عن هذا الكتاب.

- في ص ٧١: وقال منْ حكى مقالة جالينوس في التفاح:
قال جالينوس في حكمته لك في التفاح فكرٌ وعجبٌ
وبعده بيتان. قلت: الآيات في (نهاية الأربع) ١١: ١٦٦ بلا عزو.
وكذلك وردت أبيات بعدها ص ٧٢، ٧١ للشعالي، وهي مما ورد في ديوانه ق
٢٠٢ نقلًا عن هذا الكتاب.

- في ص ٧٣ وردت ثلاثة أبيات لابن المعز أوهما:
جاد الزمان بشمائلٍ وصبا يلقاهمما المقرور بالضد
قال المحقق: لم أجدها في ديوانه. قلت: الآيات في (سرور النفس)
٢٤٦، ٢٤٥ برواية فيها خلاف. وأحال محققته إلى (ديوان ابن المعز) ٤: ٧١

- في ص ٧٣، ٧٤ وردت ثلاثة أبيات للصنوبري وأولها:
ذهب كزوسك يا غلا م فإنه يوم مفاضض
وخرجها المحقق من (ديوان الصنوبري). قلت: والآيات وردت في
(سرور النفس) ٢٩٥ متنسوبة إلى ابن المعتر، وخرجها الدكتور إحسان عباس
على هذا النحو: [ملحق ديوان ابن المعتر: ٣١٥] ونسب له في قطب
السرور ٦٣٥ ووردت للصنوبري في ديوانه ٢٥٥ ونشر النظم ١٤١ وزهر
الآداب ٨٧٠ ومن غاب عنه المطربي] قلت: وانظر (المحب والمحوب)
٤: ٢٢٩ وفيه زيادة في التخريج.

- في ص ٧٤ وردت أبيات لكتشاجم أولها:
الشلنج يسقط أم لجيئ يُسبك أم ذا حصى الكافور ظل يعمر
قلت: والآيات في ديوانه ص ٣٧٧ ق ٣٦٩ واختار منها الشعائلي
الآيات: ٤، ٢٠، ٢١، ٨، ٥، ٣٠، ٢٠، مع تقديم وتأخير وانظر (المحب والمحوب) ٤:
٢٣٢ برقم ٥٠٠ و (زهر الآداب) ٤: ١٨ ط د. زكي مبارك والآيات في
(سرور النفس) ٢٩٣.

- في ص ٨٠ وردت مقطوعة لابن المعتر آخرها:
بالليلة سرقتها من عمري
وقد ورد في ط د. النبوi بيت آخر بعد السابق، وأصبحت الرواية
مكذا:

بالليلة سرقتها من دهري ما كنت إلا غرّة من عمري
وعلى هذا وردت الرواية في ديوانه ط دار صادر ص ٢٣٤

- في ص ٨١ وردت أبيات لابن المعتر أولها:
بالليلة ما كان أطيبها سوى قصر البقاء

قال المحقق: لم أجدها في ديوانه، قلت: الآيات في (سرور النفس) ص ٧٥ منسوبة إلى ابن المعتر، وأحال الدكتور إحسان عباس إلى (ديوان ابن المعتر) ٤ : ٥٠ .

- في ص ٨١ ورد بيتان لابن المعتر أولهما:
لا تلْقِيَ الْأَبْلِيلَ مِنْ تِوَاصِلِهِ فَالشَّمْسُ نَمَامَةُ وَالْبَدْرُ قَوَادُ

قلت: قال السري الرفاء في (المحب والمحبوب) ٣ : ١٨٣ بعد أن ذكر هذا البيت، وروايته فيه: «والليل قواد»: وأخذه ابن المعتر من قول العرب: هو أئمَّ من صبحٍ، وأقود من ليلٍ . ويقولون: الليل أخفى للوبيل. وانظر (سرور النفس) ٤١ وأحال محققته إلى (الأوراق) ٣ : ٢٢٥ و(بشار الأزهار) ٢٩ .

- في ص ٨١، ٨٢ ورد بيت واحد لابي فراس الحمداني:
يا ليلة لست انسى طيها ابداً كان كل سرور حاضر فيها
وقد زادت طبعة د. النبوi ص ٨٩ بيتين بعد هذا البيت هما:
باتت ويت وبات الرزق ثالثنا حتى الصباح تسقيني واسقيها
كان سود عناقيد بلمتها اهدت سلافتها صرفاً إلى فيها

- في ص ٨٢ وردت آيات للسري أولها:
كنت الشبيبة ريعانها وأهadt لك الراح ريحانها
قلت: والآيات في ديوانه المحقق ٢ : ٧٣٢ برقم ٤٩٢ ووردت
القصيدة في ١٤ بينما اختار منها الشعالي الآيات ١، ٢، ١٣، ١٤ .

- في ص ٨٣ ذكر الشعالي بيته له أولهما:
يا ليلة كالمسك مخبرها كذلك في التشبيه منظراها

قلت: والبيتان في ديوانه برقم ٧٣ نقلًا عن [خاص الخاص) ١٨٥ [ص ٢٣٧ ط لبنان] وعن كتابنا هذا. وذكر أيضًا بعد ذلك ثلاثة أبيات لنفسه أولها:

هذه ليلة لها بهجة الطاوس حسناً واللون لونُ الغداف

والأبيات في ديوانه ق ١٢٩ نقلًا عن [خاص الخاص ١٨٤ ط ٢٣٦] ١٩٩ لبنان، وأحسن ما سمعت ٨٦، الباب التاسع. ودمية القصر لوحة ومعاهد التنصيص ٢: ٩١ نقلًا عن دمية القصر].

- في ص ٨٤ ذكر المؤلف بينين لخالد الكاتب أولهما:
رقدت فلم ترث للسامر وليل المحب بلا آخر
ونصيف إلى تخريجات الأستاذ المحقق أن البيتين في ديوان خالد
الكاتب ص ٤٨٤ ق ٥٦٤ ب ١، ٢ وبعدهما في الديوان بيتان آخران.
والبيت الأول في (المرقصات والمطربات) ٤٩.

- في ص ٨٥ ورد بيتان لسيدوك الواسطي، نصيف إلى تخريجهما
انهما في (المرقصات) ٥٩.

- في ص ٨٥ وردت أبيات للشعاليي أولها:
با لبلة هي طولاً كمثل شوفي ووجدي
والأبيات في ديوانه ق ٦٤ نقلًا عن [خاص الخاص ١٨٤ ط ٢٣٦]
لبنان] وعن كتابنا هذا مع خلاف في الرواية.

- في ص ٨٦ ثلاثة أبيات للقاضي التنخي. ونصيف إلى تخريج
المحقق أن الأول والثاني في (سرور النفس) ٢٩ ونسبهما إلى التنخي أيضًا.

- في ص ٨٧، ٨٦ ذكر المؤلف بينين للواواء الدمشقي. ونصيف

إلى تخریج المحقق أن الپیتین مع ثالث لهما في (سرور النفس) ١٦٤
ونسبت فيه إلى أبي بكر الخوارزمي.

- في ص ٨٧ قال الشعالي: ومن مطربات العجاج... قلت:
والصواب: ابن العجاج كما في (البيتة) ٣: ٦٥ و (خاص الخاص) ١٦٩
ط لبنان.

- في ص ٨٧ قال الشعالي: ومن أحسن ما قبل في الثريا قول أبي
عثمان الخالدي، وقيل: هو ابن أخيه، وينسب إلى المهلبي
خليلي إني للثريا لحساً وإنني على ريب الزمان لواحدٌ
أجمع منها شملها وهي سبعة وأفرد منْ أحبتها وهو واحدٌ

وأحال الأستاذ المحقق إلى ديوان الخالديين ٤٤ ط مجمع دمشق.
قلت: قال الدكتور سامي الدهان محقق ديوان الخالديين ص ٤٣: نفردت
بروايتها (بيتة الدهر) ٢، ١٦٩، وقد هما الشعالي بقوله: وهو مما ينسب
أيضاً إلى المهلبي الوزير. قال الدكتور الدهان: وهذا ينساب كذلك إلى ابن
طباطبا في (المغرب) لابن سعيد ص: ٢٠٢.

قلت: لم أجدهما في المغرب لابن سعيد بتحقيق الأستاذ الدكتور
شوفقي ضيف. ومن الملاحظ أن الدكتور الدهان لم يذكر كتاب (المغرب)
في مراجع التحقيق مع أنه ذكره في حاشيته المشار إليها. وقد ورد الپیتین مع
ثالث لهما في (بيتة الدهر) ١: ٤٢٩ ط محمد محی الدين عبد الحميد.
ونسبها الشعالي إلى ابن طباطبا، وثالث الآيات:-

كذلك منْ لم تخترمه منيَّةٌ يرى عجباً فيما يرى ويشاهدُ
وورد الپیتین الأول والثاني في (سرور النفس) ١٣٢ بلا عزوه وكذلك
في (شرح المفصل) لابن يعيش ٤١: ١.

- في ص ٨٨ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لكتشاجم وأولها:
أهلاً وسهلاً بالهلا لـ بدا العين المبصر
قلت: الأبيات في (**المحب والمحبوب**) ٢: ٢٤٨، برقم ٤٤ وصدر
البيت الأول فيه: «انظر إلى نور الهلا»، وذكرها ديوان كتشاجم ص ٢٤١ نفلاً
عن (**المحب والمحبوب**) وعن (**نثار الأزهار**) ٤٩ وعن (**أحسن ما سمعت**)
. ٨١

- في ص ٨٨ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات للسري أولها:
قد جاء شهر السرور شوال وغال شهر الصوم مفتاح
قلت: الأبيات في ديوانه المحقق ٢: ٥٨٤ نفلاً عن (**نسمة السحر**)
١: ٣٢٣ والبيت الأول والثالث في (**أسرار البلاغة**) ٢٦٨ برقم ٣٤٠ ط ريت.
والأبيات أيضاً في (**سرور النفس**) ٦٨ غير معروفة.

- في ص ٩١ ذكر المؤلف بيتن للسري، ونضيف إلى ما ذكره
المحقق أنهما في ديوان السري ط العراق ١: ٣٦٩ ق ٤٩. والبيان في
(**سرور النفس**) ٨٧.

- في ص ٩٢ ورد في وصف الشمس أنها «ذهبت إلى أطراف
الجدران» والصواب ما ورد في طبعة النبوى ص ١٠٦ «وذهبت أطراف
الجدران».

- في ص ٩٣ ذكر المؤلف بيتن لنفسه. قلت: وهو في ديوانه ق
١٥٣ نفلاً عن كتاب (**منْ غاب عنه المطرب**).

- في ص ٩٤ ذكر المؤلف أربعة أبيات لابن المعتر أولها:
يَوْمَ كَانَ سَمَاءُ حجبت بأجنحة الفواخر

قال المحقق: لم أجدها في ديوانه. قلت: ولم أجدها أيضاً في ديوانه ط دار صادر. والبيت الأول هنا مع آخر قبله في (سرور النفس) ٢٥٩. ونسبهما إلى ابن المعتز. وأحال الدكتور إحسان عباس إلى ديوان ابن المعتز ١٨٨ و (محاضرات الراغب) ٢: ٢٤٨. وقال الدكتور النبوi: البيت الأول ثالث أربعة أبيات في الديوان ٢: ٢٢٣. أما الثلاثة الباقية فهي غير المذكورة هنا.

- في ص ٩٦، ٩٧ ذكر المؤلف خمسة أبيات للسري الرفاء وأولها: يوم خلعت به عذاري وعربيت من حلل الوقار ونضيف إلى ما ذكره الاستاذ الملوي أن الأبيات في ديوانه ط العراق ٢١٧ ق ٢٠٥ نقلأ عن [خاص الخاص ١٢١ وعيون التوارييخ ورقة ٤١ ومعاهد التنصيص ٢٥٢ ٣/ والإعجاز والإعجاز] قلت: والأبيات في (المحب والمحوب) ٤: ٢٢٨ ونسبها السري إلى الصنوبرى، وليست في (ديوان الصنوبرى)، وإنما فيه قصيدة مشابهة أولها:

ما في من خلع العذار ومن التجنب للوقار ولعلم نسبة أبيات السري إلى الصنوبرى في كتاب من تأليف السري إنما هو من عمل أحد النساخ.

- في ص ٩٩ وردت أبيات للشعالي، وهي في ديوانه ق ٣٦ نقلأ عن كتابنا هذا، وقد وقع خطأ مطبعي في كتابنا في ضبط الشطر الثاني من هذا البيت:

والورد در نابت احسن بدر نابت
والصواب: أحسن بدر. وورد على الصواب في الضبط في طبعة النبوi إلا أن البيت الثاني ورد على هذا النحو في طبعة النبوi:

لكن في عيني قذئٌ من نور شبٍ نابت
فتكررت كلمة «نابت» ووقع الشاعر في الإيهام. وما وقع في طبعة
الأستاذ الملودي أجود وفيها: «من نور شبٍ سابت» والسابت: الشعر
المرسل.

- في ص ١٠١ - ١٠٠ ذكر المؤلف خمسة أبيات للسري أولها:
الست ترى ركب الغمام يساقُ وادمعه بين الرياض ترافق
ونضيف إلى ما ذكره المحقق أن الآيات من قصيدة في ديوانه ط
العراق ٢: ٤٧٥ برقم ٣٦٠ والقصيدة بتمامها خمسة عشر بيتاً، ذكر منها
الشعالي الآيات ١، ٢، ٣، ٤، ١٤ وأحال محقق الديوان وجامعه إلى (شعار
القلوب) ٦٩ و(نهاية الأرب) ٤: ١١٩ و(ديوان المعاني) ١: ٣٢٢.

- في ص ١٠٣ ذكر الشعالي أربعة أبيات للسري أولها:
نفسى فداوك كيف تصر ساعةٌ عن فبيه مثل البدور صباح
ونضيف أنها في ديوانه ٢: ٤١ برقم ٨٢٠.

- في ص ١٠٤ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات من نظمه. قلت: هي في
ديوانه ق ١٩٦ نقلأً عن (خاص الخاص) ص ٣٣ [ص ٤٣ ط لبنان] وعن
كتابنا هذا.

- في ص ١٠٥ وردت عبارة الشعالي أو غيره: إذ ظهرت لنا أشجار
وفي ط النبوى ١٢٢: «أشعاره بالسين المهملة وهو الصواب.

- في ص ١٠٦ قال الشعالي: من مطربات ذلك قول بعض
الحجازيين:

سقى الله أساميلنا لشن رجعاً وسبقاً لعصر العامرة من عصر
ليالي أعطيتُ البطالة مفرودي تمزّ الليالي والشهرُ ولا ادرى

ولم يخرجهما الأستاذ المحقق . قلت : البيتان مع تخرجهما في
(ديوان مجذون ليلي) ص ١٥٨ من قصيدة طويلة . والديوان بتحقيق الأستاذ
الدكتور حسين نصار .

- في ص ١٠٦ ذكر المؤلف بيّن لأبي تمام أولهما :
الياً ماماً ما كنْتِ إلَّا موهاباً وكنت بإسعاف الحبيب حائنا
وقد خرّجها المحقق من طبعة قديمة من طبعات ديوان أبي تمام .
ونصيف أنها في ديوانه بشرح البريزي وتحقيق محمد عبده عزام ج ١ ص
١٣٨ ق ١٠ ب ٢ ، ط دار المعارف .

- في ص ١٠٧ ذكر المؤلف خمسة أبيات من شعره أولها :
سقِيَا لدْهُر سروري والعيش بين السرارى
قلت : هي في ديوانه ق ٩٣ نقلًا عن [كتاب أبي نصر ٦٦ وعن كتابنا
هذا وعن دمية القصر ط الطباطباع ١٨٥ ومعاهد التنصيص ٩٢: ٢] .

- وورد في ص ١٠٧ بيان آخران للشاعري أولهما :
سقِيَا ل أيام الصبا إذ أنا في طلب اللذات عفريت
قلت : مما في ديوانه ق ٣٣ نقلًا عن [ثمار القلوب ٤٩١ وعن كتابنا
هذا] .

- في ص ١١١ قال المؤلف : وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر :
أغزل بيت قول الموصلي :
إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذبون فتأتيكم فتعذر
ونصيف إلى ما قاله المحقق فنقول : قال الشعالي في (خاص
الخاص) ١١٥ ط لبنان : المؤمل بن أميل المحاربي له هذا البيت السائر

النادر ولا غاية لظرفه . . ثم أنشد البيت المذكور ومعه آخر . وانظر ديوان المعاني ١: ١٦٠ .

- في ص ١١٢ ذكر المؤلف بيتين للعباس بن الأحنف كان البحري بهما معجبًا، وهما:

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنى ذبالة نصبت تضيئ للناس وهي تحترق
ونزيد في تخربيجها أنها في كتاب (الكامل) للمبرد ص ١٠٥٣
بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي . وفي (المحب والمحوب) ٢: ١٣٨؛
برقم ٢٣٢ و (طبقات الشعراء) لابن المعتر ٢٥٥ و (التشبيهات) ٣٨٠
و (ديوان المعاني) ١: ٢٦٣ و (الزهرة) ٤٦ . ونسبهما التوحيدى في (الإمتناع
والمؤانسة) ٢: ٥٨ إلى خالد الكاتب، وليس في ديوانه .

- في ص ١١٣ ذكر المؤلف خمسة أبيات للسري الرفاء، ونصف إلى ما ذكره المحقق أنها في ديوانه ٢: ١٢١ ، برقم ١٥٩ ، ووردت القصيدة في عشرين بيتاً، ذكر التعالى الآيات الخمسة الأولى منها، وورد عنده ثانية الآيات بهذه الرواية :

ورحت في الحب أشكالاً مقصمة بين الجفون وبين الفصن والعقد
قلت: ورواية البيت في (ديوان السري) في طبعته: ورحت في
الحسن . وهذا الآليق بالتقسيم اللاحق .

- في ص ١١٣ ذكر التعالى ثلاثة أبيات من شعره . قلت: هي في ديوانه ق ١٩٧ نقلًا عن (خاص الخاص) ١٧٩ ، ٢٢٩ ط لبنان و (بيتيمة الدهن) ٣: ٣٩٨ ورواية البيت الأول في البيتيمة:
قلبي وجداً مشتعل على الهموم مشتمل

ورواية الآيات فيها خلاف في بعض الألفاظ ما بين طبعة الملوحي
و(بيتة الدهن) وطبعة النبوi و(خاص الخاص).

- في ص ١١٤ قال الثعالبي : من أحسن ما قيل في الشُّعر قول بكر
ابن النطاح :

بضاء تسبح من قيام فرعها وتضلّ فيه وهو جمل اسحمر
وكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلّم
ونضيف إلى ما ذكره الأستاذ المحقق أن البيتين في (أمالى الزجاجي)
١٠١ لأبي حيّة ، وانظر الخلاف في نسبتهما في «شعر أبي حيّة» ونسبهما أبو
الفرج في (الأغاني) ١٧: ٢٢ للمستهمل بن الكعبي . وفي (الحماسة
الشجرية) ٢: ٩٤٨ لأبي دواد . وانظر (التشبيهات) ١٠٢ و (أمالى القالى)
١: ٢٢٤ وشرح المرزوقى للحماسة ٣: ١٢٨٥ و (المحب والمحبوب)
١: ١٦ و (الحماسة البصرية) ٢: ١٨١ وفي هذه المراجع إحالات أخرى .

- في ص ١١٦ ورد بيتان لعدى بن الرفاع العاملى أولهما :
وكأنها بين النساء أغارها عينيه أحمر من جاذر جاسم
ونضيف إلى تحريرهما أنهما في ديوانه: ١٢٢ ق ٩ ب ٨ .

- في ص ١١٦ قال الثعالبي : وأحسن ذو الرمة حيث يقول:
لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لاهراء ولا نزر
توهنتها الوى بأجفانها الكرى كرى النوم أو مالت باعطافها الخمر
قال المحقق : إنه وجد البيت الأول في ديوان ذي الرمة ١: ٥٧٧ ولم
يجد فيه البيت الثاني . قلت : وجاء النص في طبعة الدكتور النبوi على
الصواب ومسنونه تماماً :

وأحسن ذو الرمة حيث قال :

لها بشرٌ مثل العرير ومنطق
وعينان قال الله : كونا ، فكانتا
فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

وأطرب البحتري بقوله :

وسم شئت للوداع وسلمت
بعينين موصول بأجفانها السحر
كرى النوم أو مالت بأعطاها الخمر
فالنص في طبعة الاستاذ الملوحي ورد ملقاً من نصين كما هو واضح .

قلت : وبيتا ذي الرمة في ديوانه ١: ٥٧٧، ٥٧٨ ق ١٥ ب: ٢٦، ٢٥
وبيتا البحتري في ديوانه ٢: ٨٤٤ ق ٣٣٩ ب: ١٠، ٩ ورواية عجز البيت
الأول فيه :

بعينين موصول بلحظهما السحر

- في ص ١١٦ ، ١١٧ ورد بيتان لكشاجم . قلت : مما مطلع
قصيدة له في ديوانه ص ٩٣ ق ١٠١ وعنـه أنهما وردا في (أحسن ما سمعت)
. ٩٥

- في ص ١١٧ ذكر المؤلف بيتين للسري الرفاء . ونضيف إلى
تخرجهما أن البيتين مع ثالث في ديوانه ٢: ٦٨٦ . وقد قدم لأبياته بقوله :
وقال في غلام كان يهواه . وانظر (خاص الخاص) ١٥١ ، ١٥٢ و (المحب
والمحبوب) ٢٥: ٢ و (النجوم الزاهرة) ٤: ٦٧ و (الإعجاز والإيجاز) ٢٢١
وفي حواشي (المحب والمحبوب) حالات آخر .

- في ص ١١٨ ذكر المؤلف ستة أبيات من الرجز المشطور
لكشاجم .

قلت : والأبيات في (ديوان كشاجم) : ١٩! ق ١٠٦ ، ويحسن أن
نذكرها على ترتيبها الذي وردت عليه في الديوان لأنـه أجود وأتم من ترتيب
كتابنا :

واحربا من اوجي ملاح
ومن ثغور تشبه الاقاحي
هن اللواتي أفتت صلاحى
وتركت ليلى بلا صباح.

- في ص ١١٨ قال الثعالبي : فصل في الثغر. من مطربات هذا الفصل قول المخزومي :

وقبّلت أفواهأ عذاباً كانها بنايع خمر حُصبت لزلزال البحر
قال المحقق : هو لابن الرومي في محاضرات الأدباء ٣٠٠

قلت : البيت ثانٍ بيّن لابن الرومي وردًا في ديوانه ٩١٢:٣ ق ٦٨٣
ب ٢٠ وهو ما بروأة الديوان :

الا ربما سوت الغبور وساماني وبات كلانا من احبه على وحير
وقبّلت أفواهأ عذاباً كانها بنايع خمر حُصبت لزلزال البحر
والآيات في (جمع الجوامر) ٢٢٠ وفي (كتاب الصناعتين) ٤٥١ .

- وفي ص ١١٩ ورد بيان لكتابي. ونصيف إلى ما ذكره المحقق
أنهما في ديوانه ٢٤٢ برقم ٢٢٤ . وانظر (ديوان المعاني) ١: ٢٤٠ .

- في ص ١١٩ ورد بيان للمؤلف. قلت : وهو في ديوانه ق ١٤٠
نقلاً عن (احسن ما سمعت) ١٠٩ وعن كتابنا هذا .

- في ص ١٢٠ ، ١٢١ ذكر الثعالبي بيّن أبي نواس المعروفين
وأونهما :

يا قمراً ابصرت في مائة يندب شجراً بين أتراب
ونصيف إلى ما ذكره المحقق أن البيتين في ديوانه طبعة الاستاذ احمد
عبد المجيد الغزالى ٣٦٦ وفي (المحب والمحبوب) ١: ٢٣٣ و (ديوان

المعاني) ١: ٢٥٤، و(التشبيهات) ١١٧ و(شرح الشريسي) على الحريري
١: ١٥٨ و(نهاية الأرب) ٢: ٨٨ وغيرها.

- وفي ص ١٢٢ ذكر الثعالبي بين ابن أبي السبط. قلت: وهذا
في (كتاب التشبيهات) ١١٥ لعبد الله بن أبي السبط بن مروان.

- في ص ١٢٢ ورد بيان ابن الرومي. ونضيف إلى مراجع
التخريج أنهما في (كتاب التشبيهات) ١١٥ و(المحب والمحبوب) ١: ٢٥٢
برقم ٤٥٠ وفيه إحالات كثيرة.

- في ص ١٢٢، ١٢٣ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لابن مهدي أولها:
خلتها في المعصفرات القوانين وردة في شفائق النعمان
قلت: الأبيات في (التشبيهات) ٣٩٥ مع بيت رابع لإبراهيم بن
المهدي.

- في ص ١٢٥ وردت العبارات التالية:
العيون تأكله، والقلب يشربه. والأنسب منها ما ورد في طبعة النبي
ص ١٤٥ : والقلوب تشربه.
وورد: غزلات طرفه تحت ظرفه. والأنسب ما في طبعة النبي ص
١٤٥ : غمزات طرفه، تخبر عن ظرفه.

وورد: كأنما خادم الولدان.. وفي طبعة النبي: كأنما خاًصم.
- في ص ١٢٦ بيان نسبهما المؤلف إلى ابن لتكث. قلت: وهذا في
(البييمة) ٢: ٣٦٦ للخبز أرزي نصر بن أحمد.

وفي الصفحة نفسها ورد بيان للصنوبري في غلام يصلّى. قلت: وقد
وردا في تتمة ديوان الصنوبري برقم ٢٤ ص ٤٣ نقلًا عن (الرؤضيات)
للطباخ نقلًا عن كتابنا هذا.

- في ص ١٢٧ ورد قول الشعالي: وفي غلام حاج قول أبي محمد بن عبد الباقي. وورد في طبعة النبي: قول أبي محمد الباقي [بياء موحّدة وفاء]. وهي نسبة إلى قرية من قرى خوارزم. ولم يخرج الأستاذ الملوحي البيتين. قلت: هما في (البيتية) ١٢٧: ٣ ونسا فيها إلى الشاعر أبي محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي. وما أثبته الدكتور النبي هو الصحيح، بدليل أن اسم الشاعر ورد في (طبقات الشافية) دائرة «الباقي» بياء موحّدة وفاء، نسبة إلى باف. انظر (طبقات الفقه)، لأبي إسحاق الشيرازي ص ١٢٣ تج د. إحسان عباس و (طبقات الشافية الكبير) للسبكي ٢٢٣: ٢ ط الحسينية، و (طبقات الشافية) لبلاتسي ١٩١: ١. كما ذكره ياقوت في (معجم البلدان) لدن ذكره لمدينة «باف» وذكر مختارات من شعره، وقال: إنه توفي ببغداد سنة ٣٩٨ هـ. وانظر (تاريخ بغداد) ١٣٦: ١٠.

- في ص ١٢٧ أيضاً ورد قول ابن المعتر في غلام يدور في الماء: يا هلاً يدور في فلك الما وزد، رفقاً بأعين نظاره وفي ديوان ابن المعتر ١: ٣٦١ طبعة محمد بدبيع شريف بدار المعارف بمصر ورد البيت:

يا هلاً يدور في فلك النا ورد رفقاً بأعين النظاره

وقد رجعت إلى كتاب أدي شير «الالفاظ الفارسية المعرفة» فلم أجده ذكراً للماورد وإنما وجدت: الناورد ص ١٥١. وهو بمعنى القتال وجولات الخيل في الميدان. وانظر (شفاء الغليل) للشهاب الخفاجي.

أما الدكتور النبي فقد أثبت في طبعته ص ١٤٩ كلمة «الناورد» وعلق عليها بما يلي: سألهُ الأستاذة الدكتورة عفاف زيدان . . . ففضلت مشكورة ب ساعطي التوضيح التالي: نازوذ: المرأة التي يشبه صدرها الرمان. نارورد:

الحرب والجدال والمعركة. وأدت أيضاً بمعنى السلوك، وبارود: اسم بلدة في خراسان. أما ماورد فلا وجود لها.

قلت: لعل الصواب أن تكون الكلمة: التاورد كما وردت في الديوان من دون شرح أو تعليق، وذلك لأن معناها هو الملائم لسياق الوصف في البيت.

- ورد أيضاً في ص ١٢٧: قول أبي البغل. قلت: الصواب ابن أبي البغل. انظر تعليقات هـ. ريتز في (*أسرار البلاغة*) ص ١٢٣ نقلأً عن (*تجارب الأمم*) ١: ٢١، ٨٤، ٤٢، ٢٢، و(*تاريخ الوزراء*) ١٦٧، ١٦٥، ٤٤، ٢٦٢، ٣٦٨، ٢٧٢.

- في ص ١٢٨ ورد قول الصاحب في غلام عاشق:
بدالنا والشمس في شروقة

قلت: رواية البيت في الديوان ٢٥٦ وفي (*اليتيمة*) ٣: ٢٦٠:
... والبدر في شروقة

- في ص ١٢٨ وردت ثلاثة أبيات للحسين بن الصحاك. قلت:
وقد وردت الأبيات في (*المحب والمحبوب*) ١: ٦٩ برقم ١٠١ واشتملت
حوashi التحقيق على حالات كثيرة.

- في ص ١٢٨ ورد بيان في غلام يبيع الفراني، وذكر المحقق أنهما لشموسيه البصري كما في (*اليتيمة*). وفي (*معاهد النصيص*):
شموسيه المصري.

قلت: والبيان في (*معجم الأدباء*) لياقوت ١١: ٢٧١ ونسبهما إلى أبي الحبيب الملقب بالطاهر الجزري، شداد بن إبراهيم بن حسن. وهو من شعراء عضد الدولة، توفي سنة ٤٠١ هـ. وانظر *أسرار البلاغة* لعبد القاهر ص

٧ ط ريتز وفيه حاشية طويلة في تخریجهما . وانظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر
٣٥٣ ط الدكتور الدایة .

- في ص ١٢٩ وردت ثلاثة أبيات للص XB RI . قلت : هي في ترجمة
ديوانه برقم ٤٨ ص ٦٠ نقلًا عن (الروضيات) للطباخ ٥٤ وعن كتابنا هذا .

- في ص ١٢٩ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لأبي سعيد بن خلف .
قلت : وهي في (خاص الخاص) ٢١١ ط لبنان . وبداية البيت الثاني فيه
«هلا كمثل ناظرك» .

- في ص ١٣٠ ورد بيان للمؤلف وهو ما في ديوانه ف ٧٠ نقلًا عن
(خاص الخاص) ١٨٠ ٢٣٠ ط لبنان ، وعن كتابنا هذا وعن (أحسن ما
سمعت) ١٣٠ .

- في ص ١٣١ ورد العنوان : فصل في الصدغ والشارب والعذار
واللحظ وفي طبعة النبوi ورد : والخط بدلاً من اللحظ . وأراء الصواب
لансجامه مع مضمون الفصل .

- في ص ١٣١ ورد بيان لابن المعتز أولهما :
ظبي بيته بحسن صورته عبّث الدلال بلحظ مقتله
ونضيف إلى مصادر التخريج : (المحب والمحوب) ١: ٢٩ وعنه
(ديوان ابن المعتز) ١: ٧٠ و (الأوراق) ٣: ٢٢٢ و (التشبيهات) ٢٥١ و
(مروج الذهب) ٤: ٢٢٥ وبلا عزو في (المستطرف) ٢: ١٣٠ . ونبأ البيت
الثاني إلى الناشئ في (معجم الأدباء) ١٣: ٢٩٥ .

- في ص ١٣١ وبعد بيته ابن المعتز السابقين سقط من طبعة
الأستاذ الملودي بيت السري التالي الذي أثبته الدكتور النبوi ص ١٥٦
على النحو التالي : «وقول السري :

في خدّه وردَ حما ٌ عن القطاف بعقربٍ
قلت: وانظر البيت في ديوانه: ٦٠ ط القدسي وديوانه ١: ٤٠٩ ق ٦٢
ب ٢ ط العراق.

- وأيضاً في ص ١٣١ ذكر المؤلف ثلاثة أبيات لابن المعتز أولها:
قد صاد قلبي فـَسْرُ سحر منه النظر
قلت: الأبيات هذه ثلاثة من سبعة وردت في (المحب والمحبوب)
١: ٨٤ و (الأوراق) ٣: ٢٣١. وجاءت الرواية في (المحب والمحبوب) على
نحو أفضل مما وردت عليه في رواية الشاعري.

- في ص ١٣١ ورد بيان للسري الرفاء. قلت: هما في ديوانه
٢: ٢٤٤ ق ٢١٧. وهي في ١٤ بياناً، اختار منها الشاعري الأبيات ٩، ٧

- في ص ١٣٢ ورد بيان لكشاجم. قلت: هما في ديوانه ٢: ٣٥٢ ق
٣٣٧ من أبيات ذكر الشاعري منها البيتين الأول والسابع. وانظر (الديارات)
للثابتي: ١٦٨.

- في ص ١٣٢ ورد بعد بيتي كشاجم المشار إليهما سابقاً بيان
للصاحب بن عباد، وسقط بعدهما بيت مفرد من طبعة الاستاذ الملوحي
وأبنته طبعة النبوى والنصّ:
[وأحسن منه قول الآخر :

كتاب من الحسن توقيعه من الله في خدّه قد نزل]
قلت: وهذا البيت ورد في (المحب والمحبوب) للخبز أرزي ١: ٤٦
وبقائه:
وَحَسْنٌ يُنْسِمُ ذاك العذاز كثار مسك عليه غرزاً

وجاء في (البصائر والذخائر) للسوحبي ١: ٥٦ ط د. إبراهيم الكيلاني : ولمحمد بن يعقوب :

وَشَفَرْ تَظَرُّفَ لِلْمَاشِقِينَ
سَوَادٌ إِلَى حُمْرَةٍ فِي بِيَاضٍ
كَتَابُ الْمُلُوكِ الْحَرَنْ تَوْقِيعُه

- في ص ١٣٦ ورد: ... راحاً أرقَ من الصبا، وعهد المص،
وأذْ من الشمانة بالأعداء والآليق هنَا ما ورد في طبعة النبوى ١٦١ : بالعدا.
لتتفق الفوائل في الوزن.

- في ص ١٣٨ ذكر الشاعري بيتن لأبي محمد الحمامي . قلت :
هـما في (خاص الخاص) : ١٤٥ ط لبنان ، وورداً منسوبين إلى أبي محمد
الفياض كاتب سيف الدولة . وفي (المرقصات والمطربات) : ٥٨ نسباً إلى
أبي الفياض كاتب سيف الدولة .

- في ص ١٣٨ ذكر المؤلف بيّن لأبي عثمان الناجم . قلت : هنا في التشبيهات ١٢٤ ونهاية الارب ٥: ١١٧ .

- في ص ١٤٠ ذكر المزلف بيتبين لابي نواس هما:
 أما ترى الأرض ما تفني عجائبها والدهر يخلط ميسوراً بمعسورة
 ولبس للهم لا كل صافية كأنها دمعة في عين مهجور
 ولم يجد هما الاستاذ المحقق في الديوان. قلت: ورد البيت الثاني في
 كتاب (التشبيهات) ١٧٥ معزواً إلى أبي نواس. وقد أخذ هذا التشبيه
 الصنويري في قوله: (ديوانه ص ٧٩ ق ١٧٩)

من عُقَارِ الدُّنْيَا نَكِهَةُ الْوَرَى
وَأَصْفَى مِنْ دَمْعَةِ الْمَهْجُورِ

- في ص ١٤١ ورد بيان لابن المعتز أولهما:

وندمان سقني الراح صرفاً وافق الليل مندل السجوف
نضيف إلى تخرجهما أنهما في (المحب والمحوب) ٤: ١٨٢ برقم
٣٨١ وذكر محققه أن البيتين وردان في (حلبة الكميّت) معززين إلى أبي نواس
. ١٠٨

- في ص ١٤١ ذكر المؤلف بيّن من شعره. وهو في ديوانه ق ٨٣
نقلأً عن (خاص الخاص) ١٨١ ٢٣٢ ط لبنان، وذكر أنه من المعاني التي لم
يسبق إليها.

- في ص ١٤١ ورد بيان للسري. قلت: مما في ديوانه ٢: ١٣٤
برقم ١٦٦ وذكر محقق الديوان كثيراً من الإحالات.

- في ص ١٤٢ ورد بيت أبي الحسن الجوهرى الجرجانى:
صهباء لو مررت بها فمرية اذكى عليك بريقها مصباحا
قلت: وجاء البيت على رواية أخرى في (البيتيمة) ٤: ٤٣
صهباء لو طافت بها فمرية اذكت عليها ريشها مصباحا
اما الرواية التي أثبّتها الدكتور النبوى ١٦٩ فهي:
اذكت عليك بريقها مصباحا

- في ص ١٤٣ وردت ثلاثة أبيات للسري. قلت: هي في ديوانه
٢: ٦٩٧ برقم ٤٧٢. والمقطوعة في الديوان استوفت خمسة أبيات، اختار
منها الشاعر الأبيات: ٥٠٤١.

- في ص ١٤٥ وردت أبيات للبحترى. قلت: هي في ديوانه
٤: ٢٢٤٣ ق ٨٤٠. اختار الشاعر من البيت الخامس حتى العاشر.

- في ص ١٤٦ ورد بيان لابن المعتز، نزيد في تخرجهما أنهما
في (المحب والمحوب) لابن المعتز ٤: ٢٥٩ برقم ٥٥٤ برواية فيها

خلاف، وعنه: [ديوانه ٢: ٤٤ ونهاية الارب ٤: ١٣٠ ومحاضرات الراغب ١: ٣٣٥، وفصول التماثيل ٩] وفي (فصول التماثيل) ط مجمع دمشق ص: ٣٨ وفي الآيات خلاف في رواية بعض الالفاظ.

- في ص ١٥٢ وردت ثلاثة أبيات لابي تمام اولها: ذو الود مني ذو القربي بمنزلة واحوني أسوة عندي واحوني قلت: والآيات في ديوانه بشرح التبريزي ٣: ٣٣٤ ق ١٦٨ ب ١٤٠، ١٥٠ من قصيدة مدح بها سليمان بن وهب.

- في ص ١٥٢ ورد بيان عبد الله بن طاهر، وزادت طبعة الدكتور النبوى ص ١٨١ بياناً ثالثاً هو: وإن الفتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق

- في ص ١٥٥ وردت ثلاثة أبيات لمنصور الفقيه. قلت: هما في ملحق شعره في مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد ٢ ص ١٧٦ نقلأ عن كتابنا هذا.

- في ص ١٥٧ ورد قول الشعالي: وأحسن ما سمعت في عتاب الملعون قول أبي الحسن الشاشي: إذا أنا عاتبت الملعون كأني أخطأ باقلامي على الماء أحروا وفهه ارعوى بعد الملام ألم يكن توడ طبعاً فصار تكلفا

وقد تعقب الاستاذ الملودي الشعالي بقوله: «هو أبو الحسين الناشيء الأصغر في (بيتيمة الدهر) ١: ٢٣٢ [١: ٢٤٨ ط عبد الحميد] ولعل ما ورد في المطبوعة خطأ مطبعي. والبيت الأول دون عزو في (نهاية الارب) ١: ٢٨٠، وكذلك في (الإعجاز والإيجاز) ٢١٧»

قلت: يفهم من عبارة الاستاذ المحقق الأخيرة أن البيت الأول ورد فقط دون عزو في (الإعجاز والإيجاز). ورواية الأبيات في الإعجاز وردت على هذا النحو:

أبو الحسين الناشئ، الأصغر: ولم أسمع في ذم الملوك أحسن من قوله: إذا أنا عاتبت الملوك... إلخ.

وهذه الرواية «الملوك» هي التي ذكرها الدكتور النبوi ص ١٨٦ وهي التي ذكرت في (البيتية). وارى أن رواية «الملوك» أجود، لأن للملوك لا يدخلون ضمن علاقات العتاب وما إليها. ثم إن البيت الثاني يشتمل على ضمير المفرد مما ينسجم مع رواية «الملوك».

- في ص ١٥٨ وردت ثلاثة أبيات لكتشاجم. قلت: وهي في ديوانه ص ٣٢٧ ق ٣٠٧.

- في ص ١٥٨ ورد بيتان للشعالي. قلت: هما في ديوانه ق ١٩٢ نقلًا عن «تنمية البيتية»: ١٩١٨ في ترجمة أبي القاسم علي بن محمد البهدي الإيلي.

- في ص ١٦١ ورد بيتان لابن الرومي. وخرجهما الاستاذ المحقق من ديوان ابن الرومي ج ٣ - هكذا - قلت: والبيتان في ديوانه ٤: ١٤١٧ ق ١٠٧٨ ورواية البيت الأول في الديوان:

فصرُك الشيب فاقضِ ما أنت قاضِ من هوى البيضِ، قبل حين البياضِ

- في ص ١٦٢ وردت ثلاثة أبيات لابن طباطبا بهمنا منها الأول والثاني:

أنقول وقد أوقفتُ من بستة الهوى بهجْر يحاكي لوعة الصدَّ والهُجْرِ
دعوني وحكم اللهو في نيلي المني ولا توقظوني بالملامة والهُجْرِ

وقد وردت الآيات في طبعة د. النبوi ١٩١ مع تغيير في بعض الألفاظ. فعجز البيت الأول ورد أولاً : بعْذل يحاكي . والعدل هنا هو الآتيق بسياق البيت ، إلا إذا قرأنا ما ورد في طبعة الأستاذ الملوحي بضم الهاء أي : بهُجَر فعندئذ يستقيم المعنى . وورد البيت الثاني في طبعة النبوi : «دعوني وحلم اللهو» وكلمة «الحلم» آليق من الحكم هنا ، لأن الحلم يرتبط بليل المني وبالاستيقاظ . وقد ضبط الدكتور النبوi كلمة «الهجر» في عجز البيت الثاني بفتح الهاء ، والصواب ضمها كما ضبطها الأستاذ الملوحي ، وذلك لمحاجة الإيطة .

- في ص ١٦٥ ورد قول الخزاعي :

يَلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ وَهُلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ أَنْ لَا يَفِيضاً
وَأَحَالَ الْمَحْقُوقَ إِلَى (ديوان دعل) ٢٠٧ .

قلت: لقد رجمت إلى (ديوان دعل) في طبعته الثانية في مجمع دمشق ١٩٨٣ فوجدت أستاذنا المحقق الدكتور عبد الكريم الأشتر قد وضع هذا البيت في القسم الثالث من الديوان: ٣٩٨ وهو القسم المنسوب إلى دعل وإلى غيره . وذكر أن هذا البيت نسب في (عيون الأخبار) ٤: ٥ و (العقد الفريد) ٣: ٤ إلى أبي يعقوب الخريمي . وكذلك هو منسوب إلى الخريمي في (خاص الخاص) ط لبنان وكذلك في (الإعجاز والإيجاز) ١٧٢ . وتحصف اسم الخريمي في (الإعجاز والإيجاز) إلى أبي يعقوب الجرمي وفي (خاص الخاص) إلى العزيسي .

وعن هذه الكتب نقل محققا ديوان الخريمي هذا البيت ووضعاه في قسم «الشعر المنسوب للخريمي ولغيره والخريمي أولى به» وقد رجع الدكتور عبد الكريم الأشتر أن يكون البيت للخريمي .

- في ص ١٦٦ ورد بيت المتنبي :

ليس التعجب من موهب ماله بل من سلامتها إلى عاداتها والصواب: إلى أوقاتها كما ورد في ديوان المتنبي ١: ٣٥٣ ط البرقوقي . لأن «عاداتها» سترد في البيت التالي حسب رواية الديوان، ووردت في بيت سابق حسب (من غاب عنه المطرب) وليس المتنبي ممن يقعون في الإيطاء . وقد أثبت الدكتور النبوى الرواية الصحيحة .

- في ص ١٦٧ ذكر المؤلف بينك لشاجم . قلت: هما في ديوانه ص ١٧٣ ق ١٥٨ في وصف طبيب . والقصيدة بتمامها وردت في ٢٠ بيتاً ذكر منها الشعالي البيتين ١٠ ، ١٢ ، ١٤ .

- وبعد أبيات كشاجم في ص ١٦٧ وردت ثلاثة أبيات للسرى الرفاء .

قلت: هي في ديوانه ٢: ٦٧٩ برقم ٤٦١ وهي من مقطوعة في أربعة أبيات ، اختار منها الشعالي الآبيات ٤ ، ٣ ، ١ .

- في ص ١٦٨ ذكر المؤلف بينك من شعره في وصف منجم . قلت: البيان في ديوانه ق ١٤٧ نقلأ عن «احسن ما سمعت ١٦٢ ، ١٦١ وخاص الخاص ١٨٩ [٢٤٢ ط لبنان] وثمار القلوب ٦٧٨ ، ٦٧٩ . وهذا الكتاب وتحفة الوزراء لوحة ٣ ب ولوحة ٤ وفيها روايات مختلفة .

- في ص ١٦٩ ذكر المؤلف بينك للصاحب بن عباد في وصف الشمع مما :

ورائق القد مستحب يجمع اوصاف كل جب
صفرة لون سخن دمع وذوب جسم وحرق قلب
والبيان في (سرور النفس) ٣٨١ برواية أخرى :

ورائق اللون مستحب يجمع اوصاف كل جب
سهد ليل دمع عين ولون جب وحرق قلب

- في ص ١٧١ ذكر المؤلف بيّنا واحداً للسري، قلت: هو في
ديوانه ٢٥١٢ برقم ٣٨٢ والبيت:
حِيَا بَكَ اللَّهُ عَاصِبِكَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ رِيحَانَةً لِمَنْ عَشَّ

وقد استفاض محقق الديوان في التعليق على هذا البيت.
- وفي ص ١٧١ ذكر الشعالي بيّن لأبي المطاع ذي القرنين. قلت
هذا في (خاص الخاص) ١٤٥ ط لبنان. والبيت الأخير فيه :

فَلَا مُشْرِكٌ مِّنْ وَشَنِيْعٍ عَنِ الدُّوَوِيْنِ

وفي ط الملوحي : من وشنى عنك العدو. والصواب: عند.

هذه مجمل الاستدراكات والتصحيحات التي دونها. وقد ضربنا
صفحاً عن ذكر كثير من الجزئيات، ولم نذكر إلا التذر من خلافات الرواية،
لأن مثل هذا العمل موضعه حواشي الكتاب عندما يعاد نشره محققاً في طبعة
ثانية.

٣ - الملاحظ العامة :

- كأنّا نؤدّي لو أن المحقق قارن أصله (المطبوع) بنسخ خطية، وعلى
الأقل بنسخة الظاهرية بدمشق ذات الرّقم ٧٨٦١ وهي منسخة سنة ١١٦٣ هـ
على يد حسين القرافي ، فربما كانت مفيدة.

- تبنّى الأستاذ المحقق مقدمة الناشر للأصل وشروحه، وكان في
حلٍ من ذلك ولا سيما أن دراسات عديدة ظهرت عن الشعالي فيما بين عامي
١٣٠٩ هـ سنة ظهور الكتاب وسنة ١٤٠٨ هـ سنة ظهور طبعة الأستاذ
الملوحي . وكان بإمكان المحقق أن يقدم مقدمة وشروحأً على نحو أدق
وأفضل مما كان عليه الأمر في طبعة ١٣٠٩ هـ.

- لم يُشر الأستاذ المحقق إلا نادراً إلى اختلاف روایة الشعر في
المصادر والمراجع المختلفة، وأرى أن النص على خلافات الروایات أمر

ضروري جداً في كتاب قائم على مبدأ الاختيار لكتاب الشعالي هذا . وبحذا
لو أن الأستاذ المحقق ترجم لمن ذكرهم الشعالي كما فعل الدكتور النبوi .

- ذكر الأستاذ المحقق مراجع التحقيق ولم يذكر بجانها أسماء
مؤلفيها ولا محققيها ولا تاريخ الطبع ولا مكان النشر . فهو يذكر مثلاً : (ديوان
ابن المعتن) بدون أي إضافة مع العلم أن (ديوان ابن المعتن) طبع في لبنان ومصر
ولاستانبول والعراق وتعاقب عليه عدد من المحققين ، فللى أي طبعة كان
يبحيلنا الأستاذ الملوحي ؟ ! وقل مثل ذلك في سائر المراجع . ودمج الأستاذ
أسماء مراجعه بأسماء الكتب التي وردت في متن الكتاب وكان يجب الفصل
بينهما ، كما أنه تصرف في أسماء بعض الكتب ، فقد ذكر في حرف الشين
كتاب : (شواهد التشخيص) وحق هذا الكتاب أن يكون في الميم لأن اسمه
«معاهد التشخيص في شرح شواهد التشخيص» لعبد الرحيم العباسى .

هذه جملة الملاحظ التي نرجو أن تكون قد وفتنا إليها ، على أنها
والحق يقال لا تنتقص من عمل الأستاذ المحقق الذي أحيا الكتاب وأبرزه
للناس في حلقة قضية فيها من الجهد الدؤوب ما فيها . وحسبي أن يكون هذا
البحث تحية لجهوده وتقديرأ لعمله .

مراجع البحث

- أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تتح هـ. ريتز. دار المسيرة -
ببيروت ١٩٧٩.
- الإعجاز والإيجاز. أبو منصور الثعالبي. شرحه إسكندر آصف. مصر
١٨٩٧.
- الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني. دار الكتب المصرية.
- أمالي الزجاجي. أبو القاسم الزجاجي. تتح عبد السلام هارون - القاهرة
١٣٨٢هـ.
- أمالي القالي. أبو علي القالي. بإشراف محمد عبد الجود الأصمسي.
دار الكتب المصرية.
- الامتناع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي. تتح أحمد أمين وأحمد الزين -
القاهرة ١٩٥٣.
- البصائر والذخائر. أبو حيان التوحيدي. تتح د. إبراهيم الكيلاني - دار
أطلس - دمشق ١٩٦٤.
- بهجة المجالس. ابن عبد البر القرطبي. تتح محمد مرسي الخولي -
القاهرة.
- التشبيهات. ابن أبي عون. تتح محمد عبد المعيد خان. كمبردج ١٩٥٠.
- الحمامة البصرية. البصري. تتح د. مختار الدين أحمد - عالم الكتب -
ببيروت.
- خاص الخاص. أبو منصور الثعالبي. دار مكتبة الحياة. ببيروت.

- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. تتح د. محمد رضوان الداية
ود. فايز الداية. دار قتبة - دمشق ١٩٨٣
- الديارات. الشابستي. تتح. كوركيس عواد. بغداد ١٩٦٦.
- ديوان ابن دريد. ابن دريد. تتح السيد محمد بدر الدين العلوى. لجنة
التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٤٦.
- ديوان ابن الرومي. ابن الرومي. تتح د. حسين نصار. القاهرة.
١٩٧٣
- ديوان ابن المعز. ابن المعز. دار صادر - بيروت.
- ديوان أبي تمام. أبو تمام. بشرح التبريزى وتح محمد عبده عزام. دار
المعارف بمصر ١٩٦٤.
- ديوان أبي نواس. أبو نواس. تتح أحمد عبد المجيد الغزالى - القاهرة
١٩٥٣.
- ديوان البحتري. البحتري. تتح حسن كامل الصيرفي. دار المعارف
بمصر.
- ديوان الثعالبي. جمعه وحقق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. مجلة
المرور، المجلد السادس ١٩٧٧.
- ديوان خالد الكاتب. خالد الكاتب. تتح يونس أحمد السامرائي - بغداد
١٩٨١.
- ديوان الخالديين. الخالديان. تتح د. سامي الدهان. ط مجمع اللغة
العربية بدمشق.
- ديوان الخريمي. أبو يعقوب الخريمي. تتح علي جواد الطاهر. ومحمد
جبار المعید. بيروت ١٩٧١.

- ديوان دعمل. دعمل. تتح د. عبد الكريم الأشتر. مجمع اللغة العربية
بدمشق ١٩٨٣.
- ديوان السري الرفاء. السري. تتح حبيب حسن الحسيني - بغداد
١٩٨١.
- ديوان الصنوبيري. الصنوبيري تتح د. إحسان عباس. دار الثقافة - بيروت
١٩٧٠.
- ديوان عدي بن الرقاع. عدي. تتح د. نوري حمودي القبيسي ود. حاتم
صالح الصامن. المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧
- ديوان كثاجم. كثاجم. تتح خيرية محمد محفوظ - بغداد ١٩٧٠ .
- ديوان المتني. المتني. شرح عبد الرحمن البرقوقي. المكتبة التجارية
الكبرى - القاهرة.
- ديوان المعاني: أبو هلال العسكري. مكتبة الأندلس - بغداد . مصور
عن طبعة القدسى ١٣٥٢ هـ
- زهر الآداب: أبو إسحاق الحصري. تتح د. زكي مبارك . المكتبة
التجارية - القاهرة.
- الزهرة: داود. تتح نيكل - بيروت ١٩٣٢
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. التيفاشي . هذبه ابن منظور.
تح د. إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ .
- شرح حماسة أبي تمام. المرزوقي. تتح أحمد أمين وعبد السلام
هارون. القاهرة ١٩٦٨
- شرح المفصل. ابن يعيش الحلبي . دار الطباعة المنيرية.
- شرح مقامات الحريري. الشريشي . بولاق. القاهرة ١٣٠٠ هـ

- شعر أبي حية. أبو حية. تتح د. يحيى الجبوري. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٥.
- طبقات الشافعية. الإسنوي. تتح عبد الله الجبوري. وزارة الأوقاف - بغداد ١٣٩١ هـ
- طبقات الشافعية الكبرى. السبكي. المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ
- طبقات الشعراء. ابن المعتر. تتح عبد الستار فراج. دار المعارف بمصر ١٩٥٦
- طبقات الفقهاء. أبو إسحاق الشيرازي. تتح د. إحسان عباس. دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨١.
- فصول التماثيل. ابن المعتر تتح د. جورج قناع ود. فهد أبو خضره. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٩.
- قطب السرور في أوصاف الخمور. الرقيق النديم. تتح أحمد الجندي. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩.
- الكامل. أبو العباس المبرد. تتح د. محمد أحمد الدالي. الشركة المتحدة - دمشق ١٩٨٦
- مجلة المجمع العلمي الهندي. المجلد الثاني: شعر منصور الفقيه.
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب. السري الرفاء. ج ٢١ و ٢٢ بتحقيق مصباح غلانونجي. وج ٤ بتحقيق ماجد الذبي. ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ - ١٩٨٧
- المرقصات والمطربات: نور الدين علي بن الوزير أبي عمران. دار حمد ومحيو ١٩٧٣.

- معجم الأدباء. ياقوت الحموي. ط أحمد فريد الرفاعي.
- المنصف. ابن وكيع. تتح د. محمد رضوان الديانية. دار قتبة.
دمشق.
- نهاية الأرب. التوزيري. ط دار الكتب المصرية.
- يتيمة الدهر. الشعالي. تتح محمد محبي الدين عبد الحميد القاهرة
١٩٥٦.

حَرَكَةُ الْوَرَاقِينَ

فِي

الْحَصَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

الدُّكْتُورُ رَبِيعٌ مُصطفى عَلَيَّان
كُلِيَّةُ التَّرْبِيَّةِ - جَامِعَةُ الْجَمَارِينَ

المقدمة :

يشكل تاريخ الكتب والمنקبات في الإسلام جزءاً مهماً من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. والمعروف أن العرب لم يعرفوا الكتب قبل مجيء الإسلام. ولهذا فقد كان القرآن الكريم (كتاب الله) فتحاً جديداً، ليس في تاريخ العقيدة الإسلامية فحسب، بل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. ولقد كرم القرآن الكريم العلم والعلماء والكتاب والقلم. وجاء في محكم آياته «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^(١)، وجاء أيضاً «وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ»^(٢). كما أقسم سبحانه بالقلم في قوله : «وَالْقَلْمَنْ وَمَا يَسْطُرُونَ»^(٣). كذلك اهتم الإسلام بالكتابة، وقد نصت على ذلك الآية القرآنية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَيَّنْتُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ فَأَكْتُبُهُ وَلَيُكْتَبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ»^(٤).

(١) القرآن الكريم. سورة الزمر، الآية رقم ٩

(٢) القرآن الكريم. سورة الطور، الآية رقم ٢

(٣) القرآن الكريم. سورة القلم، الآية رقم ١

(٤) القرآن الكريم. سورة البقرة، الآية رقم ٢٨٢ .

وتعتبر المكتبات وخزائن الكتب الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي تفخر بها الحضارة العربية الإسلامية، حيث إنها قامت بدور كبير في نشر العلوم والمعارف بين المسلمين. ولقد تعدى تأثيرها المسلمين أنفسهم، وانتقلت آثارها المختلفة إلى أوروبا في عصورها المظلمة. أما الحركة التي قامت على أكتافها المكتبات وخزائن الكتب الإسلامية باعتبارها مظهراً من مظاهر الثقافة العربية الإسلامية فهي حركة الوراقين. ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الحركة ولم يهتموا بها، فإن فضل الوراقين لا يمكن إنكاره بأي حال، ذلك أن ملايين المخطوطات العربية التي ملأت مكتبات بغداد والبصرة ودمشق وقرطبة وبخارى والقاهرة وإسنبول وغيرها من المدن الإسلامية قبل اختراع الطباعة تشهد لهؤلاء الوراقين.

لقد كانت الرواية الشفوية أول محاولة لنقل المعرفة والعلوم عند جميع الشعوب والحضارات، ولكن الرواية في الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام ورواية الحديث بشكل خاص اقتربت منذ البداية بالحرص الشديد والدقة الكاملة والأمانة والصدق، لأن الدين الإسلامي يدعو إلى ذلك. ولأن كثيراً من نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة كانت شاهداً من شواهد التشريع وأية من آيات الفتوى، فقد التزم المسلمون الأمانة والحرص في روایتهم كلام الله ورسوله، وفي روایتهم أشعار الجاهليين وأيامهم ووقائعهم. ولقد كانت الكتابة شيئاً جديداً. فالعرب كانوا أميين ولم تنتشر الكتابة بينهم إلا بدعة الإسلام. «في أعقاب غزوة بدر كان من طرق مفادحة الأسرى المشركين أن يعلم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة. فكان زيد بن ثابت - كاتب رسول الله - أحد هؤلاء الذين علمهم الأسرى»^(٥).

(٥) المقريزي. إمتناع الأسماع. الجزء الأول، ص ١٠١.

ومع ظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء في الحضارة العربية الإسلامية، بدأ التأليف يتتجاوز حدوده التقليدية وأصبح العلماء المسلمين لا يلتزمون بموضوعات محددة، وإنما يتناولون أكثر من مجالات المعرفة والعلوم. وقد أدى انتشار مجالس الإملاء إلى ظهور كتب كثيرة تعرف باسم «الأمالي»، أفرد لها حاجي خليفة فصلاً خاصاً بها في كتابه المعروف «كشف الظنون»^(٦). وقد ازدهرت حركة التأليف ازدهاراً واضحاً وملمساً خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، يدفعها ويمدتها بأسباب الخصب والنمو انتشار صناعة الورق في بغداد ابتداءً من عصر الرشيد، وظهور طبقة جديدة تعرف بطبقة الوراقين التي تمارس صناعة الوراقة وهي كما يعرفها ابن خلدون «عملية الانتساح والتصحيف والتجليد وسائر الأمور الكتبية...»^(٧)، ولولا دخول صناعة الورق وانتشارها في الديار الإسلامية المختلفة وظهور حركة الوراقين، لرأينا حركة التدوين والتأليف والترجمة مقيدة الخطى، ولما انتشر الكتاب العربي الإسلامي بشكل واسع.

لقد كان الوراقون جنوداً مجهولين في الحضارة العربية الإسلامية. فقد أغفل المؤرخون أخبارهم ولم يهتموا بهم، ولهذا فإن أخبارهم نادرة وبمعثرة في بطون الكتب. ولم يعرهم الاهتمام الواضح سوى اثنين كانوا ورائين أيضاً وهما : ابن النديم وياقوت الحموي. فقد تعرض ابن النديم في كتابه «الفهرست»^(٨) لسيرة عدّ من الوراقين. أما ياقوت، فقد ترجم في «معجم الأدباء» لبعض الوراقين، وقال في مقدمة كتابه : «ووجمعت في هذا الكتاب ما وقع إلى من أخبار النحوين واللغويين والنسابين، والقراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين...»^(٩) وقد تعمّد

(٦) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٨) انظر الفهرست لابن النديم.

(٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٤٨.

ياقوت أن يترجم للوراقين لأنه ورافق مثلكم، حيث بلغ من ترجم لهم من الوراقين أو ذكرهم عرضاً في سياق تراجم غيرهم خمسون ورافقاً من مجموع التراجم البالغة ألفاً ومائة وأثنين وأربعين ترجمة.

لقد شهد القرن الثاني للهجرة بداية حركة التدوين التي تمثلت في جمع الحديث النبوي الشريف ومن بعده المغازي والسير. ثم تتابع التأليف في مختلف فروع المعرفة آنذاك. ولم يلبث العرب أن أحسوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم. فظهرت الكتب المختلفة متأنة في بداية الأمر بطريقة التأليف في الحديث. كذلك شهد هذا القرن (الثاني للهجرة) البدايات الأولى لحركة الترجمة نتيجة اتصال المسلمين بالحضارات الأخرى كالفارسية واليونانية. «ويعتبر عصر الرشيد والمأمون العصر الذهبي للترجمة. فقد كانت الترجمة عملاً رسمياً تتولاه الدولة وتنفق عليه بسخاء. كما أسس الرشيد أكاديمية تحوي قسماً للترجمة والتأليف ومكتبة وهي بيت الحكمة في بغداد»^(١٠)

بداية الحركة ونشأتها :

قبل الحديث عن حركة الوراقين فإن قصة التدوين وصناعة الورق في الحضارة العربية الإسلامية تستحقان وقفة قصيرة. لأنهما الأساس الذي استندت إليه الحركة. فمن المعروف أن المسلمين الأوائل كانوا يعتمدون على الذاكرة في استظهار آيات القرآن وحفظها، ولكن وجد في عهد الرسول الكريم بعض الصحابة الذين سجلوا أجزاء كثيرة متفرقة من القرآن الكريم على سعف النخيل أو رقاق الحجارة أو اللحاء العريضة أو ما شابهها من المواد. وقد توفي الرسول عليه السلام والأمر على ما ذكر، على الرغم من أن عدداً كبيراً من الصحابة كان يحفظ القرآن الكريم غياً، وعلى رأسهم شيخ

(١٠) ميري فتوحي، فهرسة الكتاب العربي، ص ١٣ .

القراء زيد بن ثابت. فلما استمر القتل في الصحابة، وبخاصة القراء منهم، أثناء حرب الردة في زمن أبي بكر رضي الله عنه، خاف أبو بكر على القرآن من الضياع، فاستشار الصحابة في جمع القرآن الكريم في طرس واحد، فوافقوا على ذلك، وشكلوا لجنة لهذا الغرض يرأسها زيد بن ثابت. فكتبوا القرآن في الرق لطول بقائه أو لأنه موجود عندهم حينئذ^(١١). ويؤيد ذلك الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» والسيوطى في كتابه «الإنقان في علوم القرآن»^{٠٠}.

وعندما جاء الخليفة عثمان بن عفان ورأى اختلاف الأمصار الإسلامية في قراءة القرآن الكريم، أمر باستنساخ نسخ رسمية للقرآن الكريم وتوزيعها على البلاد الإسلامية حتى لا يحدث اختلاف في القراءات، فنسخت خمسة مصاحف أرسلت إلى الكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة. وأبقى عثمان لنفسه مصحفاً عرف بالمصحف الإمام. ومنذ ذلك التاريخ حفظ النص الأصلي للقرآن الكريم مصداقاً لقوله سبحانه : «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(١٢). ويمكن القول إن الذين قاموا بنسخ المصاحف الخمسة هم الوراقون الأوائل في الحضارة العربية الإسلامية. كما يمكن القول إن حركة الوراقين بمفهومها الواسع قد بدأت منذ ذلك الزمان المبكر. يقول السجستاني في «كتاب المصاحف» : «حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن إسماعيل الأخمس وعلي بن أبي الخصيب قال : حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن أبي حكيمية العبدى قال : كنت أكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقوم فينظر فيعجبه خطنا

(١١) القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنثا، ج ٢، ص ٤٧٥.

* الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج ١، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

** السيوطى. الإنقان في علوم القرآن. ج ١، ص ٧٦ - ٧٧.

(١٢) القرآن الكريم. سورة الحجر، الآية رقم ٩.

ويقول: هكذا نوروا ما نور الله^(١٣). وقد روى المؤلف نفسه أن عبدالله بن عوف استكتب رجلاً من أهل الحيرة مصحفاً فاعطاه سبعين درهماً^(١٤).

وبعد تدوين القرآن الكريم في المصاحف، قل اعتماد المسلمين على الذاكرة وازداد اعتمادهم على الكلمة المكتوبة. وعندما احتكوا بالأمم والشعوب الأخرى المجاورة ورأوا ما عندهم من حضارة وثقافة، بدأت عملية التمازج الحضاري، وظهر عند المسلمين من المعارف والعلوم ما جعل الاعتماد على الذاكرة أمراً مستحيلاً، فبدأت حركة التدوين والنقل والتأليف بالانتشار، لتزدهر على أثرها الحضارة العربية الإسلامية بعمامة وحركة الوراقين بخاصة.

والجدير بالذكر أن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام قد كتبوا على مواد مختلفة كأكたاف الإبل واللخاف وهي «الحجارة الرقيقة البيضاء»، بالإضافة إلى الألواح الخشبية وعصب النخل. كما استخدم العرب وسائل أخرى للكتابة قبل الورق مثل الرقوق وهي تلك الجلود التي دبغت وصقلت بأسلوب معين يجعلها صالحة للكتابة. وقد جاء في القرآن الكريم : «وَالْطُّورِ وَكِتَابٌ مَسْطُورٌ فِي رَقٍ مَنْشُوزٍ»^(١٥) وهذا دليل على استخدام الرقوق في الكتابة. وتذكر المصادر أن الرقوق كانت تجلب من بلاد فارس^(١٦)، وأنها بقيت من أدوات الكتابة المستعملة لدى العلماء والأدباء حتى القرن السادس للهجرة^(١٧) كذلك استخدم العرب القراطيس وهي أوراق البردي وكان مصدرها الأول مصر، وكانت مظهراً من مظاهر

(١٣) السجستاني، كتاب المصاحف، ص ١٣١ - ١٣٢.

(١٤) المصدر نفسه ص ١٣٣

(١٥) القرآن الكريم، سورة الطور، الآية ١ - ٣.

(١٦) ناجي معروف. الورق البغدادي، ص ٤٠٧.

(١٧) محمد طه الحاجري، الورق والوراق في الحضارة الإسلامية، ص ٨٢.

الحياة المتحضرة حيث كتبت عليها المواثيق والمعاهد والكتب المقدسة . وقد ورد ذكر القراطيس في القرآن الكريم في قوله تعالى : «وَلَوْ نَرَنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ...»^(١٨) . أما المهاراق فهي نوع من أنواع الورق يدل استعماله على التقدم الحضاري والترف عند الأقوام التي تستخدمه . وهذا يعود إلى أنها تصنع من الحرير المعروف بغلاء ثمنه . وقد نطرق الجاحظ في كتابه الحيوان إلى المهاراق حيث يقول : «وَالْمَهَارَقُ لَيْسَ يَرَادُ بِهَا الصَّحْفُ وَالْكِتَابُ، وَلَا يَقُولُ لِلْكِتَابِ مَهَارَقٌ حَتَّى تَكُونَ كِتَابَ دِينٍ أَوْ كِتَابَ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ وَأَمَانٍ». وكانت المهاراق تصنع في بلاد فارس من الحرير^(١٩) . أما الصحف المستخدمة من الجلود فقد استعملها العرب في بداية عهد الإسلام . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : «إِنَّ هَذَا فِي الصُّحْفِ الْأُولَى، صُحْفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»^(٢٠) . وفي قوله سبحانه : «رَسُولٌ مِّنَ الْهُنْدِ يَتْلُو صُحْفًا مُطَهَّرًا»^(٢١) .

ومما ساعد على انتشار التأليف والنقل وازدهار الحركة العلمية على مقاييس لم يعهد من قبل ، دخول صناعة الورق وانتشاره في الجزء الشرقي من البلاد الإسلامية ، ابتداءً من عصر الرشيد والمأمون ومن آنئتي بعدهما ، ثم اتساع نطاق استعماله غرباً حتى الأندلس . ولقد كانت صناعة الورق معروفة منذ القديم في بلاد الصين والشرق الأقصى وكان يصنع من عجينة من الحرير والكتان وغيرها من المواد . ولما فتح المسلمون سرقسطة عام ٧١٢ نقلوا وجدوا فيها الكاغذ^(٢٢) . وعلى الرغم من أنهم لم يتبعوا أول الأمر

(١٨) القرآن الكريم ، سورة الأعنام ، الآية رقم ٧

(١٩) سامي معروف ، التورق السعدادي ، ص ٤٠٨

(٢٠) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية رقم ١٨ - ١٩

(٢١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية رقم ٢

(٢٢) الكاغذ هو الورق المصروع من الثني أو الخرق (قطع القماش البالبة) محمد ماهر حمادة المكتبات في الإسلام ، ص ٧٣ .

لأهمية واعتبروه أثيناً عادياً، إلا أنهم بعد فترة تعلموا صناعته ونقلوها إلى بغداد، حيث تأسس أول مصنع للورق فيها قبل نهاية القرن الثامن للميلاد (٧٩٤م). وقد تركزت صناعته في محلة كبيرة في بغداد اسمها دار الفرز. بعد ذلك انتشرت صناعة الورق في بقية الديار الإسلامية، فقد تأسس أول مصنع للورق في مصر عام ٨٠٠ للميلاد. كما اشتهرت الأندلس بصناعته وكان مركزه في مدينة شاطبة التي كانت تصدره إلى أوروبا. وقد تأسس أول مصنع للورق في الأندلس عام ٩٥٠ للميلاد. وكانت معامل الورق في الأندلس تنتج جميع أنواعه بما فيها الأبيض والملون^(٢٣). وقد تعلمت أوروبا صناعته عن طريق احتكاك الأوروبيين بال المسلمين في بلاد الشام وغيرها أثناء الحروب الصليبية وعن طريق الأندلس كذلك.

ويعود الفضل في إدخال الورق أو الكاغد في الدواوين ووضعه في الاستعمال إلى الخليفة الرشيد ووزيره جعفر. يقول المقريزي «وكانت كتابة الدواوين في صدر الإسلام، أن يجعل ما يكتب فيه صحفاً مدرجة، فلما انقضت أيام بنى أمية وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح، استوزر خالد بن برمك... فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلد وكتب فيها وترك الدروج إلى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الأمور أيام الرشيد، فاتخذ الكاغد وتداوله الناس بعده إلى اليوم»^(٢٤). ويتفق على هذا الأمر الفلقشندي حيث يذكر أن «الورق كثر زمن الرشيد وفشا عمله بين الناس، فامر الآية يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلد ونحوها تقبل المحرو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محى فسد وإن كشط ظهر كشهه.. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطها من قرب

(٢٣) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢٤) المقريزي، الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ١٦٣.

ومن بعد وأستمر الناس على ذلك إلى الآن»^(٢٥). كذلك يتفق ابن خلدون مع المقربي والمقلتشندي في أن الورق ظهر وفشا استعماله أيام الرشيد ولكنه يذكر أن الفضل بن يحيى هو الذي أشار بصناعته الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً «لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت»^(٢٦).

ويصف المقلتشندي أنواع الورق المعروفة في عهده فيقول: «الورق يفتح الراء ويسمى الكاغد.. وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاءه وقطعه وافر جداً ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة وربما استعمله كتاب الإنشاء في مكاتبات القافات ونحوها... دونه في المرتبة الشامي... دونهما في المرتبة الورق المصري... دون ذلك ورق أهل المغرب والفرنجة فهو رديء جداً سريع البلى قليل المكت ولهذا يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى طلباً لطول البقاء»^(٢٧).

وقد اشتهر سمرقند بصناعة الورق وأصبحت من المدن الكبيرة المتزلة في هذا المجال لمدة طويلة من الزمن لكن سمرقند بطبيعة الحال لا تكفي حاجة البلاد الإسلامية من الورق وللهذا قامت مصانع الورق في معظم المدن الإسلامية. فقد انتقلت صناعته أولاً إلى بغداد نتيجة للقرب الجغرافي وكذلك بسبب الدور الثقافي والحضاري لبغداد. ومن الطبيعي أن تنتقل صناعة الورق من بغداد إلى بلاد الشام. فقد كانت طرابلس الشام من عيون المدن التي فاقت سواها من البلدان في صناعة الورق. كما تميزت طبريا في فلسطين بكاغدتها الجيد منذ المائة الرابعة للهجرة. أما دمشق

(٢٥) المقلتشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنس، الجزء الثاني، ص ٤٧٥.

(٢٦) ابن خلدون، كتاب العبر، الجزء الأول من ٣٥٢.

(٢٧) المقلتشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنس، الجزء الثاني، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

فتعتبر من المراكز الحضارية التي اشتهرت بمعامل الورق اشتهاً بعيداً^(٢٨) وتذكر المصادر أن أوروبا كانت تتابع الورق الدمشقي^(٢٩) كما انتقلت صناعة الورق إلى الديار المصرية وقد وصف القلقشلندي الورق المصري بأنه في المرتبة الثالثة بعد البغدادي والدمشقي^(٣٠). وقد أسس أول مصنع للورق في مصر سنة ٨٠٠ للميلاد. بعد ذلك انتقلت صناعة الورق إلى فجرص وصفلية والمغرب والأندلس ومنها انتقلت وبعد مئات السنين إلى أوروبا.

لقد استدعي اختراع الورق من قبل الصينيين وانتشار صناعته واستعماله في الديار الإسلامية ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب وهؤلاء هم الوراقون، الذين لعبوا دوراً لا يمكن تجاهله في مجال نشر الثقافة العربية الإسلامية. ذلك أنهم كانوا آنذاك بمثابة دور النشر للكتب في أيامنا هذه، يقومون بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وعرضها في الحوانيت الخاصة بهم وبيعها في أسواق الكتب.

وقد بدأ ذكر الوراقين وحوانيتهم منذ عهد الرشيد، أي منذ بدء استعمال الورق في الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة. يدل على ذلك نصاصة التي يوردها ياقوت الحموي في معجمه، حيث يقول : «وحدث أبو مسحيل عبد الوهاب قال : كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأثرم وهو يومئذ ورافق وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها، فكتت أنا وجماعة من أصحابنا نصيراً إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب والورق

(٢٨) كوركيس عواد، الورق أو الكاغذ : صناعة في العصور الإسلامية، ص ٤١١.

(٢٩) محمد كرد علني مك، الإسلام والحضارة العربية، الجزء الأول، ص ١٢٥.

(٣٠) القلقشلندي، صبح الأعشى في صناعة الإشان، الجزء الثاني، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

الأيض من عنده وسألنا نسخه وتعجبه ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه، وكان الأثر يقرأ على أبي عبيدة...^(٣١). ويمكن اعتبار العصر العباسي العصر الذهبي لحركة الوراقين بسبب كثرة عددهم وانتشار حوانيتهم وأسواقهم.

المعروف أن العصر الأموي كان يمثل بداية الانطلاق للحضارة العربية الإسلامية. فلم تنتشر حركة الوراقين، ولم نسمع عن حوانيت الوراقين كما سمعنا عنها فيما بعد (في العصر العباسي). ولعل أهم سبب وراء ذلك هو ندرة الورق، الذي كان يصنع في مصر من نبات البردي بكميات محدودة، وكان الحصول عليه صعباً وثمنه غالياً. حتى إن عمر بن عبد العزيز أصدر أوامر بالاقتصاد في استعماله.^(٣٢) وقد شكا أبو نواس، حتى في العصر العباسي، عجزه عن اقتناه الورق عندما قال :

أريد قطعة قرطاس فتعجزني وجل صحي أصحاب القراطيس
لحاهم الله عن ود ومسرفة إن المبادر منهم كالفالس.^(٣٣)

وقد اتخد ملوكبني أمية غلماً وأجراء للنسخ، فقد روي أن عبيد بن شريعة الجرهمي وفدى إلى معاوية وقص عليه طرقاً من سير الأولين، فأمر معاوية ناسخيه بنسخها^(٣٤). كما كتب ابن النديم عن مجموعة نادرة لخطوط العلماء في العصر الأموي : «ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهايج وقد اشتغل أناس بالوراقة مقابل أجر في العصر الأموي هذا، كان منهم خالد بن أبي الهايج ومالك بن دينار^(٣٥).

(٣١) باقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء ، ١٥، ص ٧٧ - ٧٨.

(٣٢) ابن عبد الحكم. سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٦٤.

(٣٣) لطف الله فاري : الورقة والوراقون في التاريخ الإسلامي ص ١٧.

(٣٤) ابن النديم، المفردست، ص ١٠٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٩.

أما المتطلبات المادية الأساسية لمهنة الوراق فتلخص في توافر مادة مناسبة للكتابة وهي الورق غالباً، وتوافر أدوات للكتابة يمكن حصرها في المواد التالية :

أولاً : القلم، وهو معروف عند العرب بدليل قوله سبحانه وتعالى : « وَنَّ وَالْقَلْمَنِ وَمَا يَسْطُرُونَ »^(٣٦) وقد عُرف القلم عند الوراقين بأسماء كثيرة منها البراع والمزبر. وكانت الأقلام في بادي، الأمر تصنع من السعف أو القصب بعد أن يقلم. ومن ذلك كان اشتراق اسم القلم. ومن لوازم الأقلام عند الوراقين :

- المدية، وهي السكين التي تبرى فيها الأقلام. وكان الوراقون ينصحون بعدم استخدامها لغرض آخر سوى البري.
 - المقطر أو المعصمه، وهي قطعة صلبة من الحجارة أو الرخام يبرى عليها القلم لاستواء البري.
 - المقلمة، وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام.
 - المفرشة، وهي قطعة من خرق الكتان أو الصوف تفرش تحت الأقلام.
 - الممسحة، وكانت تتخذ من خرق متراكمة ذات وجهين ملونين من صدف أو حزير أو غير ذلك من نفيس القماش، يمسح بها القلم عند الفراغ من الكتابة، حتى لا يجف عليه الحبر فيفسده.
- ثانياً : المداد. وقد اشتقت اسمه من الفعل يمد، وهو ما تتمد به الدواة الوراق. ويسمى الحبر من الفعل يحبر. ويقال يحبر الشيء أي يترك عليه أثره. وكان المداد أو الحبر في أول الأمر يستورد، كما كان

(٣٦) القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية رقم ١.

يصنع في البلاد الإسلامية من العقص (٣٧) والزجاج (٣٨) والصمن أو من السناج (الدخان).

ثالثاً : الدواة أو المحرجة. وكانت تصنع في القرون الأولى للهجرة من الخشب وربما من الفخار. ومع تقدم الزمن، أصبحت تصنع من المعادن كالنحاس والحديد، وأحياناً من الزجاج. وإنما في زيادة تألقها كانت تصنع من الأبنوس المحلى بالذهب. وقد كانت مجالس الوراقين تزخر بالدوى. فقد أحصى بعض المؤرخين الدوى في أحد المجالس بأكثر من خمسة وعشرين دواة (٣٩).

ولم يكن باستطاعة أي إنسان أن يحترف مهنة الوراقه، إذ أن الشرط الأول والرئيس لهذه المهنة هو جودة الخط ووضوحه وصحته. وقد كان من الضروري أن يكون الوراق على حظ من الثقافة والمعرفة ليفهم ما ينسخ ولا يكرر نسخة آلياً، وأن يكون حاضر الذهن متتها (٤٠) ومن أهم صفات الوراق التي يجب أن يتحلى بها الأمانة فيما ينقل وينسخ، إذ يجب عليه أن ينقل الأصل وإلا فسد المعنى وضاعت الفائدة من المادة المنسوخة. وقد ورد في الفهرست عن أحد الوراقين (الكرمانى) بأنه شخص مضططع بعلم اللغة وانسحور، مليح الخط، صحيح النقل، يرغب الناس في خطه (٤١).

(٣٧) التمعص هو حمل شجر البنوط وهو مادة سوداء.

(٣٨) الزجاج هو كبريت الحديد.

(٣٩) شعاذ خبيرة، المخطوط العربي : دراسة في نشأته وسلامته المادية، ص ١٠٧ - ١١٧.

(٤٠) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٤١) نسر الدين، الفهرست، ص ١١٨.

مشاهير الوراقين :

لقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاءً ومؤلفون مرموقون حتى أصبحت مهنة راقية محترمة . ولهذا فقد انتشرت دكاكين الوراقين في طول البلاد الإسلامية وعرضها . فقد كان ابن النديم ورافقاً ، حيث يقول عنه ياقوت : «كتبه أبو الفرج . . . مصنف كتاب الفهرست . . . ولا استبعد أن يكون قد كان ورافقاً ببيع الكتب»^(٤٢) . كذلك كان ياقوت نفسه ورافقاً بيع الكتب ويسخنها ويتأجر بها^(٤٣) . أما ابن الهيثم (العالم الفيزيائي الشهير) فقد اشتغل بالنسخ فترة مهمة من حياته أثناء إقامته في القاهرة عند ذهابه إلى مصر . وكان له خط في غاية الصحة . وتذكر المصادر أنه كان ينسخ في مدة ثلاثة كتب ضمن اشتغاله وهي إقليدس ، والمتosteات ، والمجسطي^(٤٤) .

ولقد كانت الوراقة مهنة الفضلاء والصلحاء الذين يريدون أن يكسبوا رزقهم حلالاً وبكم يمينهم . فقد كان الحسن بن عبد الله المرزباني التحوي فاصياً زاهداً لم يأخذ على الحكم أجرأ ، وإنما كان يأكل مما تكتب يمينه . حيث كان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجورتها عشرة دراهم تكون بقدر مزونته ، ثم يخرج إلى مجلسه^(٤٥) . كذلك يذكر ابن خلkan أن أبو الفتوح أسعد بن أبي الفضائل ، ويصفه بأنه من الفقهاء الفضلاء ، الموصوفين بالعلم والزهد مشهور بالعبادة والنسك والقناعة ، لا يأكل إلا من كسب يده وكان يورق ويبيع ما ينتقى به^(٤٦) . وعندما يترجم مؤرخو العلم والأدب لبعض الوراقين نراهم يذكرون

(٤٢) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٨ ، ص ١٧ .

(٤٣) محمد منير حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص ٧٧ .

(٤٤) الفقفعي ، تاريخ الحكماء ، ص ١٦٧ .

(٤٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤٦) نس خلkan ، وفيات الأعيان ، الجزء الأول ص ١٨٨ .

أخبارهم بكل احترام وإجلال، ومن ذلك ما ذكره ابن التديم عن حارث بن علي الوراق : (من أهل الدين والورع والتقوى، رئيس من رؤساء النظر، قليل النظير في زمانه، وله تأليف محكم وكتب جياد مشهورة ونقوص لعدة كتب...).^(٤٧)

ويمكن القول إنه كان هناك ثلاثة أنواع من الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية : نوع ينسخ بالأجرة لمن يدفع له حسب كمية المنسوخ ومن هؤلاء، مالك بن دينار. ونوع يعمل عند الأغنياء والحكام والعلماء لكي ينسخ لهم مقابل أجر شهري أو سنوي ومن هؤلاء خالد بن أبي الهياج الذي يعتبر من أوائل الوراقين، وكان موصوفاً بحسن الخط. يقول عنه ابن التديم : وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي صلوات الله عليه بالذهب من (الشمس وضحاها إلى آخر القرآن) ويقال إن عمر بن عبد العزيز قال له : أريد أن تكتب لي مصحفاً على هذا المثال. فكتب له مصحفاً تتوافق فيه^(٤٨). ونوع ثالث يكون عبداً مملوكاً لا يحصل على مقابل لشفله. وقد كانت هناك طریقتان للنسخ : الطريقة الأولى وفيها ينسخ الوراق من المخطوط مباشرة بنفسه ودون مساعدة أحد، وبعد فراغه من نسخ الكتاب يراجعه غيره للتأكد من صحة ما نسخ وأنه لم يهمل ولم يفتر من على السطور. الطريقة الثانية وفيها يجلس عدد من الوراقين في أماكنهم ويملي عليهم شخص آخر من مخطوط أريد الحصول على عدة نسخ منه، وبعد الفراغ من عملية النسخ تجري المقابلة^(٤٩).

ويبدو أنه من الصعب جداً حصر مشاهير الوراقين، ذلك أن كتب

(٤٧) ابن التديم، الفهرست ص ٢١٨.

(٤٨) عبد السلام هارون. تحقيق النصوص ونشرها، ص ١٩.

(٤٩) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٧٥ - ١٧٦.

الترجم تحوي أسماء جملة من أولئك الوراقين الذين فرضوا أنفسهم على دنيا الثقافة العربية الإسلامية. ولو تحرينا كتب الترجم العربية لخرجنا بأسماء المئات من الوراقين المترجم لهم ولعل من مشاهير الوراقين على سبيل المثال لا الحصر : الإمام الجليل أحمد بن حنبل والقاضي أبو سعيد السيرافي وترجمته في الأعلام ، وابن النديم وترجمته في الأعلام أيضا . ومن مشاهيرهم أيضاً أبو حيان التوحيدي الأديب الفيلسوف وترجمته في الأعلام وأحمد بن عبد الدايم المقدسي ، أحد المحدثين الفقهاء الحنبليين وترجمته في الوفيات . ومن هؤلاء ابن القوطية العالم اللغوي والمؤرخ الفيلسوف وله ترجمة في الأعلام ، والخطاط بن مقلة وترجمته في معجم البلدان ، ومنهم أيضاً دلال الكتب سعد بن علي الأديب الشاعر وترجمته في تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، ومنهم الحجاج بن مطر وترجمته في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، وأحمد بن طيفور الأديب المؤرخ وترجمته في الأعلام ، ومالك بن دينار وترجمته في الأعلام والفهرست ، وعلان الشعوبي وترجمته في معجم الأديباء . ومن العلماء الوراقين أبو موسى العامض وأبو عبد الله الكرمانى . ومنهم يحيى بن عدي المنطفي النصراوى وهشام بن يوسف الراوى القاضى وأبو علي الحسن بن شهاب العكربى وياقوت الحموى وغيرهم كثير^(٥٠)

لقد كان عدد الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية كبيراً . فقد كان للماحظ أكثر من وراق ، منهم ذكرياً بن يحيى الذي ذكره الفالى في الامالي^(٥١) ومنهم أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى الذي ذكره الخطيب

(٥٠) نصف الله فارس . الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي ، ص ٧٢ - ٧٧ .

(٥١) الامالي ، التحرر الأول ص ١٤٨ .

في تاريخ بغداد^(٥٢)، والزبيدي في ناج العروس^(٥٣) وكان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ورافقون منهم ابن الزجاجي والسامي . أما القاضي أبو المطرف، قاضي الجماعة بقرطبة، فقد كان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا . ولم يخل هذا الميدان من عنصر المرأة، إذ نجد من أسمائهن (ثناء) الكاتبة، ذكرها ابن النديم من كتبوا الخطوط الأصلية الموزونة^(٥٤) .

أعمال الوراقين وواجباتهم :

يمكن القول إن أعمال الوراقين وواجباتهم كانت كثيرة وممتدة . وقد لخصها ابن خلدون عندما قال : « . . . فكثرت التاليف العلمية والدواوين وحرصن الناس على تناقلها في الآفاق والأماكن . . وجاءت صناعة الوراقين المعانين للاتساع والتصحیح والتجلید وسائل الامور الكتبية والدواوين . . . ». كما لخص حمادة واجبات الوراق على النحو التالي : يتخب الورق، وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت إشرافه، ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحریف ويجله ويبعده^(٥٥) . أما قاري فيلخصها على النحو التالي : الحصول على الورق بأرخص الأسعار، اختبار أشهر الكتب في أول صدورها، الإجاداة في تزویق الكتاب وزخرفته ليروج بعد التصحیح والضبط، ونشر الكتب من مكان لآخر بقصد استجلاب المنفعة^(٥٦) .

لقد لعب الوراقون دوراً رئيساً في تطوير مقتنيات المكتبة العربية الإسلامية من الكتب من خلال عملية النسخ باعتبارها أهم طرق الحصول

(٥٢) تاريخ بغداد، الجزء الخامس، ص ٥٦٩ .

(٥٣) ناج العروس، الجزء العاشر، ص ١٠٨ .

(٥٤) ابن النديم، المهرست، ص ١١ .

(٥٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٥٦) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٧٧ .

(٥٧) لطف الله قاري، الوراق ووراقون في التاريخ الإسلامي، ص ٥١ .

على الكتب في تلك الفترة. فقد كان لدى أغلب المكتبات العربية الإسلامية ورافقون يتناولون النسخ. ففي مكتبة بني عمار في طرابلس الشام كان هناك مائة وثمانون ورافقاً يتناولون العمل فيها ليل نهار. كما الحق بأغلب المكتبات العربية الإسلامية غرفة أو غرف أعدت لجلوس النساخ وممارسة أعمالهم. كما زُرِّدت تلك الغرف بمستلزمات النسخ من أدوات وتجهيزات ومحابير وأفلام وورق^(٥٨). لقد كان الوراقون بمثابة المطابع الحديثة^(٥٩). والفرق بين حوانين الوراقين ودور الطباعة والنشر هو الفرق بين المخطوط والمطبوع.

ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الوراقون هم الذين يصححون الكتب التي ينسخونها. روى الزرقاني محدثاً عن يحيى بن أكثم أن يهودياً دخل على المأمون فجالسه، فأعجب المأمون به، ورغبه في الإسلام فلم يرض. ثم مرت سنة جاء اليهودي بعدها فأسلم. فتعجب المأمون من ذلك، فأخبره اليهودي بأنه خرج من عنده فنسخ نسخة من التوراة حرفاً فيها وباعها فقبلت منه، ثم نسخ نسخة من الإنجيل وباعها محرفة قبلت منه، ثم نسخ نسخة من القرآن الكريم، فلما جاء بها إلى الوراقين، بصفتهم تجار كتب، راجعوا تلك النسخة وردوها إليه بعد اكتشاف التحريف^(٦٠). من هذا يتضح مدى عناية الوراقين بالكتب التي ينسخونها. ولكن يجدر بنا أن نعرف أن ذلك لم يكن قاعدة عامة عند الوراقين جميعاً. فلكل قاعدة شواذ كما يقولون. حيث وجد من بين الوراقين من زيف الكتب بقصد، ووجد فيهم من لا يدقق ما نسخه. فقد روي أن ورافقاً عند إسحق الموصلي يدعى سندي بن علي، اتفق وشريك له على وضع كتاب نسبة إلى إسحق الموصلي لكي يضمنا له الرواج^(٦١).

(٥٨) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٧٥.

(٥٩) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٤.

(٦٠) نعف الله فاري، الوراقون والوراقون في التاريخ الإسلامي، ص ٤٨.

(٦١) ياقوت الحموي. معجم الأدباء، الجزء ٦، ص ٥٧.

لقد كان العلماء والأدباء والمؤلفون شديدي الاتصال بالوراقين لا سيما المثقفين منهم. ولهذا نجد أن بعض العلماء من غير الوراقين اعتمدوا كثيراً على الوراقين كمساعدين لهم في بحوثهم. وقد كان للمعديد من هؤلاء العلماء ورافقون مخصصون ينسخون مؤلفاتهم وينشرونها، وينسخون لهم مؤلفات غيرهم لتضاف إلى مكتباتهم. إن دور الوراقين لم يقف عند النسخ لهؤلاء العلماء بل تعداه إلى مساعدتهم في البحث والتأليف ثم القيام بنشر هذه المؤلفات وهي وظيفة دور النشر حالياً. وتشير المصادر إلى أن حنين بن إسحق كان له وراق والجاحظ كذلك وابن سلام والمبرد والفراء والواقدي وغيرهم^(٦٢). وقد كان بعض الوراقين يتجاوزون مهنتهم الأصلية إلى صناعة التأليف^(٦٣).

ذلك لعب الوراقون دوراً في زخرفة المخطوط العربي وتذهيبه. أما الزخارف فقد كانت تقصد لتحليل المخطوط، وكانت في بداية الأمر مجرد خطوط بسيطة لم تثبت أن تطورت بعد ذلك إلى رسوم هندسية لها أصول وقواعد. وأحياناً كانت تتحذذ أشكالاً نباتية. وقد كانت المصاحف مجالاً خصباً لهذه الزخارف، لأن الوراقين تحرجوها من رسم أشكال آدمية أو حيوانية فتوسعوا في استعمال الأشكال الهندسية والنباتية. أما بالنسبة إلى التذهب فإنه أول ما وجد في المصاحف. فقد كتب الوراقون المصاحف بماء الذهب^(٦٤). حيث وجدت في خزانة العزيز بالله الفاطمي نسخ من القرآن الكريم بخطوط منسوبة (أي معروف كاتبها) زائدة الحسن محللة بذهب وفضة وغيرها^(٦٥). ولم يلبثوا أن نقلوا التذهب إلى الكتب الأخرى وأغرقوا

(٦٢) نصف الله فاري، الوراقة والوراقون، ص ٤١ - ٤٢.

(٦٣) عبد السلام هارود، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٢٣.

(٦٤) شعبان حلبي، المخطوط العربي: دراسة في شأنه وملامحه البيلبيغرافية، ص ١١٢، ١١٣.

(٦٥) المقرئي، الخطوط المقرئية، الجزء الثاني، ص ٢٥٣.

في استخدامه. ولم يقتصر عمل بعض الوراقين على تذهب صفحات المخطوط وإنما تعمد الأمر إلى تذهب الجلد أحياناً.

وفيما يتعلق بتجليد المخطوط فقد كان القرآن الكريم أول كتاب يجلد حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، لأنّه كان أول كتاب عربي يصنع على شكل كتاب. وبعد أن أخذ شكل المخطوط العربي شكل الكتاب، بعد أن ظلّ فترة طويلة على شكل لفافة، أخذ ميدان التجليد يتسع ويجدب اهتمام الناس. وقد ذكر ابن النديم أسماء سبعة من المجلدين في مكتبة بيت الحكمة في بغداد. ويقال إن العرب قد أخذوا فن التجليد عن الأحباش، ويقال عن أقباط مصر^(٦٦). وقد سيطر الذوق الجميل على تجليد الكتب. فقد اهتم الوراقون بالجلود كل الاهتمام. وقد اشتهر العراق بتجليده المتقن الجميل، كما اشتهرت مالقة في الأندلس بأنّها مركز صناعة الجلد الممتاز ومركز التجليد الفاخر. أما المكتبات العربية فقد كانت تحوي قسماً خاصاً للتجليد في بعض الأحيان وكانت ترسل الكتب لتجليدها بعد الفراغ من نسخها^(٦٧).

ويمكن تلخيص سلسلة الأعمال التي يقوم بها الوراقون على النحو التالي :

أولاً : اختيار الورق المناسب من حيث الحجم والنوع واللون وإعداده للنسخ.

ثانياً : اختيار الكتب المناسبة والمشهورة بعد صدورها.

ثالثاً : نسخ الكتب. وهنا إما أن يقوم الوراق بعملية النسخ أو يقوم النساخون بذلك تحت إشرافه.

(٦٦) شعبان حلبيقة، مصدر سابق. ص ١١٢ - ١١٣.

(٦٧) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ١٨٣.

رابعاً : تصحيح الأخطاء التي قد يرتكبها النساحون وضبط المنسوخ
وتدقيقه.

خامساً: زخرفة المخطوط وتحليله وتذهب به إن لزم الأمر.

سادساً: تجليد الكتب. وهنا إما أن يقوم الوراق بعملية التجليد أو يقوم
المجلدون بذلك تحت إشرافه.

سابعاً: بيع الكتب والمؤلفات وهي عملية التوزيع أو التسويق أو النشر
للعلماء والأدباء وال العامة وبخاصة أولئك الذين يرتدون دكاكين
الوراقين وأسواقهم. وهذا الدور كان له أثر كبير في نشر التراث
العربي المخطوط سواء داخل البلاد العربية الإسلامية أو خارجها.

حوانيت الوراقين وأسواقهم :

مع كثرة الورق وانتشار استعماله وازدياد عدد العاملين في مهنة الوراقة
فتحت دكاكين الوراقين وحوانيتهم في معظم المدن الإسلامية. لقد وجدت
دكاكين الوراقين في الدولة العباسية منذ أوائل أيامها. فقد كان «علان»
الشعبي ورافق زمن المأمون وكان له دكان يورق فيه^(٦٨). وبذكر
اليعقوبي^(٦٩) أن عدد حوانيت الوراقين في ربغض وضاح مولى أمير المؤمنين
من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مائة حانوت، وذلك في زمانه وهو أواخر
القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري). وقد كانت حوانيت الوراقين
وأسواقهم أماكن ثقافية يرتادها العلماء والأدباء والفضلاء، يتذاكرون فيها
الحوادث ويتناشدون الأشعار ويتجادلون ويتساجلون ويبحثون آخر الأخبار

(٦٨) فيليب حتى ، تاريخ العرب منذ أقدم العصور حتى الان ، ص ٤١٤ .

(٦٩) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٢٤٥ .

الأدبية. فقد اعتاد أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني التردد على سوق الوراقين في بغداد والجلوس في حانوت وراق بعينه^(٧٠).

وقد وصفت حوانيت الوراقين بأنها «من أبرز الأماكن التي ارست دعائم الحركة الثقافية وكانت مقصد طلاب العلم والمعرفة، فقد كانت هذه الحوانيت منبعاً غزيراً للثقافة، ومجالاً واسعاً للمناظرات الأدبية والحوارات العلمي، يؤمها المثقفون والأدباء، ويتحذنونها منتدى لهم ولملتقى لاجتماعاتهم، ومكاناً لعرض أبحاثهم، وإقامة مناظراتهم، ثم تحولت هذه الحوانيت رويداً رويداً إلى تنصير مقصدأً لكل من يبغى علماً أو يهوى أدباً، حتى إنهم ليذكروا أن الجاحظ «كان بيته للبحث والنظر»^(٧١). وقد وصفت أسواق الوراقين بالمعاهد العلمية^(٧٢).

ويمكن القول إن لكل حرفة في الحضارة العربية الإسلامية سوقاً معينة. فهناك سوق للبازارين وأخرى للعطارين وسوق للوراقين. وما قبل في مدح مجالس الوراقين وأسواقهم:

مجالسة السوق مذمومة
فلا تقربين غير سوق الجياد
فهماتك آلة أهل الوضى

وقد انتشرت أسواق الوراقين في كل مدينة كبرى من مدن العالم الإسلامي. وتذكر لنا المصادر المختلفة أخباراً عن كثير من أسواق الوراقين في تلك المدن. ويبدو أن سوق الوراقين الرئيس في بغداد زمان ابن النديم (أواخر القرن الرابع للهجرة) كانت في الجانب الشرقي. إذ أنه يقول في

(٧٠) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص ٨٠.

(٧١) أحمد حسن العمري، حوانيت الوراقين وفيمتها العلمية، ص ١٦.

(٧٢) عبد السلام هارون، تحقيق المصوص ونشرها، ص ٢٠.

(٧٣) نصف الله فاري، الوراقه والوراقون، ص ٢٢.

أخبار أحمد بن أبي طاهر إنه من أبناء خراسان... تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي^(٧٤).

ويبدو أنه كان في بغداد أكثر من سوق للوراقين. وفي البصرة كان هناك سوق للوراقين. وفي القاهرة بنيت سوق للوراقين حوالي سنة ٧٠٠ للهجرة وكانت مجمعاً للعلماء. وفي «فسطاط مصر» كان في زمان عهد الطولونيين والإخشيديين سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الكتب للبيع. وأحياناً تدور في دكاكينها المناظرات^(٧٥). ويدرك المقربيزي^(٧٦) سوق الوراقين في القاهرة في أكثر من موضع وفي أكثر من مناسبة. كما يذكر سوق الوراقين القديم التي أصبحت مكاناً لصياغة الجلود. ونجد ذكر أسواق الكتب والوراقين في سوريا^(٧٧)، وفي قرطبة كذلك، حيث كان عدد الوراقين من الكثرة بحيث نجد في كتاب علماء الأندلس لابن الفرضي ترجمة لأحد عشر ورافقاً قرطبياً. ومع الانتشار الواسع لحوانيت الوراقين وأسواقهم أصبحت لها أحياء خاصة بها تعرف باسمها^(٧٨).

ومن الأدلة على ازدحام الناس في حوانيت الوراقين وأسواقهم أن أحد زبائنه وهو عبد الله بن أحمد بن الخشاب كان إذا حضرها وأراد شراء كتاب، غافل الناس وقطع منه ورقة، وقال : إنه مقطوع، ليأخذه بشمن بخس^(٧٩).

نهاية حركة الوراقين :

يبدو أن مهنة الوراقة كانت من المهن المحتسبة. فقد روى ياقوت أن

(٧٤) ابن النديم، المهرست، ص ٢٠٩.

(٧٥) أحمد شلي، تاريخ التربية الإسلامية، ص ٤١.

(٧٦) المقربيزي، الخطط المقربيزية، العبر، الثاني، ص ١٩٥ - ١٩٧.

(٧٧) أحمد شلي، مصدر سابق، ص ٤١.

(٧٨) شعبان حلبي، مصدر سابق، ص ١٠٧ - ١١٦.

(٧٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الثاني، ص ٥١.

محمد بن أحمد الدفاق المعروف بابن الخاضبة المتوفى سنة ٤٨٩ للهجرة كان يورق للناس وينفق على أهله. وقد اضطر لإرهاق نفسه بالعمل المتواصل، إذ أنه نسخ في سنة واحدة صحيح مسلم سبع مرات. يقول ابن الخاضبة عن نفسه : «فلما كان ليلة من الليالي ، رأيت في المنام أن القيامة قد قامت ومناد ينادي ابن الخاضبة . فأحضرت ، فقيل لي : ادخل الجنة . فلما دخلت الباب وصرت في الداخل استلقيت على قفاهي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت : آه ، استرحت والله من النسخ»^(٨٠).

وقد وصف الشاعر أبو محمد عبد الله محمد البكري الأندلسي مهنة الوراقة والتنتائج التي تترتب على مهنتها عندما قال :

أما الوراقة فهي انكد حرفه أوراقيها ونمارها الحرمان
ثبتت صاحبها بصاحب إيره تكسو المرأة وجسمها عربان^(٨١)

وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من العلماء والفضلاء والصلحاء اشتغلوا بمهنة الوراقة، إلا أنه كان ينظر في بعض الأوقات إلى متحلها بشيء من الأذدرا . فهذا علان الشعوبى . وكان صاحب دكان في سوق الوراقين ، أحضر إلى دار أحد رجال الدولة العباسية ليكتب هناك وينسخ . فدخل الدار أحمد بن أبي خالد يوماً، فقام إليه جميع من فيها سوى علان الشعوبى فإنه لم يقم . فقال أحمد: «ما أسوأ أدب هذا الوراق . فسمعه علان فقال: كيف أنسب إلى سوء الأدب ومني تعلم الأدب وأنا معذنه . وقد حصل شيء من هذا القبيل لأبي حيان الترجيدى . فقد كان ينسخ ذات يوم في دار الصاحب ابن عباد، فرأه الصاحب . يقول أبو علان: فلما أبصرته قمت قائماً . فصاح

(٨٠) معجم الأدباء ، الجزء ١١ ، ص ١٨٤ ، الجزء ١٧ ، ص ٤٢٨ .

(٨١) ابن حذكش ، وبيات الأعيان ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

بحلق مشتوق : اقعد فالوراقون أحسن من أن يقوموا أنا^(٨٢)). وقد وصف أبو حيان التوحيدي ، وهو أحد الوراقين المشهورين ، حرفة الوراقه بأنها حرفة الشرم^(٨٣) . وكان الوراقون عموماً يشكون من هذه المهنة الشاقة . ومن هؤلاء ورافق من نيسابور يدعى أبا حاتم عمل في المهنة لمدة خمسين سنة وهو القائل :

إن الوراقه مهنة مذمومة محرومة عبشي بها زمن
إن عشت عشت ولبر لي أكل أو مت مت ولبر لي كفن^(٨٤)

بشكل عام ، يمكن القول إن حرفة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية قد مرّت بثلاث مراحل رئيسية على النحو التالي : المرحلة الأولى وتشمل العصر الراشدي والأموي ، وهي مرحلة الانطلاق للحركة ، وفيها تم تدوين القرآن الكريم وبعض الكتب وبخاصة في الموضوعات الدينية . ولم تنشر الحركة بشكل واسع خلال هذه الفترة لعدة عوامل أهمها نقص الورق . المرحلة الثانية وهي مرحلة التطور والازدهار وتشمل الفترة الواقعة ما بين القرن الثاني وبداية القرن السابع للهجرة . وتعتبر هذه المرحلة العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية بوجه عام ولحركة الوراقين بوجه خاص . فقد انتشرت صناعة الورق وازدهرت حركة التأليف والتدوين والترجمة وأسست المدارس والمعاهد وامتلاك الديار الإسلامية بالعلماء والفقهاء وطلاب العلم . أما المرحلة الثالثة فقد بدأت مع القرن السابع للهجرة ، عندما تعرضت الحضارة العربية الإسلامية ، نتيجة عوامل داخلية وخارجية

(٨٢) ياقوت الحموي . معجم الأداء ، ج ١٢ ، ص ١٩١ - ١٩٢ . ج ١٥ ، ص ٢٦ .

(٨٣) حبيب الرباط ، الوراقه والوراقون ، ص ٢٠ .

(٨٤) انظر بنيمة الدهر للشعالي .

متعددة، إلى الجمود والتقهقر والدخول في عصور الظلمة. ويمكن القول إن حركة الوراقين قد توقفت وانتهت عندما دخلت الطباعة إلى البلاد العربية والإسلامية.

وهكذا انتهت حركة الوراقين التي لعبت دوراً رئيساً في إنتاج المخطوط العربي، وساهمت في نشره وتسويقه داخل البلاد الإسلامية وخارجها. ولعل أبرز نتائج هذه الحركة ظهور المكتبات وانتشارها بأنواعها المختلفة في الحضارة العربية الإسلامية التي يمكن حصرها في الأنواع التالية : مكتبات المساجد والجوامع، المكتبات الخاصة، مكتبات الخلفاء، المكتبات الأكاديمية، والمكتبات العامة.

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - أحمد جمال العمري .
حوانيت الوراقين وقيمتها العلمية، المجلة العربية، السنة الثانية،
العدد السادس، ١٩٧٨، ص ١٦ .
- ٢ - أحمد شلبي .
تاريخ التربية الإسلامية، بيروت، دار الكشاف للنشر، ١٩٥٤ .
- ٣ - الحموي ياقوت .
معجم الأدباء، القاهرة، مطبعة الحلبي ، ١٩٣٦ .
- ٤ - ابن خلدون، عبد الرحمن .
كتاب العبر وديوان العبتدأ والخبر، القاهرة، دار الطباعة الخديوية،
١٢٨٤ هـ .
- ٥ - ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر .
وفيات الأعيان وأئمأة أبناء الزمان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،
١٩٤٨ م .
- ٦ - السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود .
كتاب المصاحف، تحقيق آثر جفري ، القاهرة، المطبعة الرحمانية،
(٤) .
- ٧ - شعبان عبد العزيز خليفة .
المخطوط العربي : دراسة في نشأته وملامحه البيلوبغرافية، مجلة
الفيصل ، العدد ٣٥ ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٧ - ١١٧ .

- ٨ - عبد السلام هارون .
تحقيق النصوص ونشرها ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، ١٩٦٥ .
- ٩ - فيليب حتى .
تاريخ العرب من أقدم العصور حتى الآن ، الطبعة السادسة ، لندن ، ماكميلان ، ١٩٥٦ .
- ١٠ - القرآن الكريم .
- ١١ - الفلقشنسدي ، أبو العباس أحمد بن علي .
صبح الأعشى في صناعة الإنسا ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٤ .
- ١٢ - كوركيس عواد .
الورق أو الكاغد . : صناعته في العصور الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، العدد ٢٣ ص .
- ١٣ - لطف الله قاري .
الوراق والوراقون في التاريخ الإسلامي ، الرياض ، دار الرفاعي ، ١٩٨٢ .
- ١٤ - محمد طه الحاجري .
الورق والوراقون في الحضارة الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٢ ، ١٩٦٥ .
- ١٥ - محمد فؤاد عبد الباقي .
المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٧ .

- ١٦- محمد كرد علي .
الإسلام والحضارة العربية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، لجنة التأليف
والترجمة ، ١٩٥٠ .
- ١٧- محمد ماهر حمادة .
المكتبات في الإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨ .
- ١٨- المقرizi ، تقي الدين أحمد بن علي .
الخطسط المقرizi ، الشياح ، مكتبة إحياء العلوم .
- ١٩- سيري عبودي ، فتوحى .
فهرسة المخطوط العربي ، بغداد وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠ .
- ٢٠- ناجي معروف .
الوزاف البغدادي ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، المجلد الثالث ،
١٩٧٠ - ١٩٦٩ .
- ٢١- ابن النديم ، محمد بن إسحق .
الفهرست ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٤٨ هـ .
- ٢٢- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب .
كتاب البلدان ، تحقيق دي غويبة ، ليدن ، إبريل ، ١٨٩٢ م .

ثانياً : مع الكتب

وقفات في مجلة مجتمع اللغة العربية الأردنية الدكتور إبراهيم الشامي

كان لي أن قرأت العدد المشار إليه من هذه «المجلة» الممتعة فكان لي وفقات قصيرة وقد نطول. تناولت هذه الوقفات دلالة الكلمة، ودخولها في المصطلح، وذهابها إلى المجاز والتلوّع، وموضعها في التركيب والجملة وسائل أخرى تتصل بنحو من هذا.

ولا أزيد من وفقاتي هذه أن تكون مواد «تصحيح» لغوي، وبيان «الخطأ والصواب»، و«التصحيح والأصح». بل أردت منها أن تكون مادة تاريخية تدرج في وثائق تطور العربية وصيرورتها اللسان الذي يمارس تفكيراً وسلوكاً في عصرنا، وهي التي أدعوها «العربية المعاصرة».

قلت: إن «وقفاتي» تدرج في وثائق تطور العربية، وذلك لأنني وجدت القول بالخطأ والصواب لا يقوم هذه العربية، وهي تقابل كل يوم جديداً تألفه على مضض وتضيق به كثيراً على ما فيها من وجودة السعة. إن وجودة السعة هذه تؤذن بقبول شيء جديد، وهي نفسها عرضت للعربية في عصورها المتقدمة.

ليس قبول العربية للألفاظ الإسلامية والمصطلح الإسلامي في ألوانه المختلفة هو شيء مما اشتغلت عليه هذه اللغة من وجودة السعة؟ وقل مثل

(١) العدد ٣٧ السنة الثالثة عشرة (ذو القعدة ١٤٠٩ - ربيع الثاني ١٤١٠ هـ).

هذا فيما جدُّ في العربية في عصوربني العباس حتى كان لنا أن نقول فيها إنها «لغة عباسية».

نم الـم يكن قبول المـعـرـبـ، على تراخيـ العـصـورـ، ثـيـنـاـ منـ هـذـهـ السـعـةـ؟

وأعود إلى باب «الخطأ والصواب» لأقول: لم يكن ما تـبـهـ عليهـ المعـنـيـونـ بهذهـ المسـائـلـ قدـ آتـيـ ثـمـرـتـهـ فيـ تـقـوـيمـ العـرـبـ، وـذـلـكـ لـأنـ أـغـلـبـ الـذـيـنـ سـلـكـواـ هـذـاـ السـبـيلـ لمـ يـحـسـنـواـ الـاسـتـفـراءـ، فـالـذـيـ نـبـهـ عـلـيـهـ الأـصـمـعـيـ وـابـنـ قـتـيـبـةـ مـثـلـاـ وـرـدـ فيـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ، نـمـ إـنـ مـاـ وـرـدـ فيـ «دـرـةـ الـفـرـاـصـ»ـ كـانـ مـادـةـ اـسـتـدـرـاكـ لـغـيرـ وـاحـدـ نـبـهـواـ عـلـىـ تـجـاـزـ الـحـرـيرـيـ فـيـ ضـبـطـهـ للـخـطـأـ وـالـصـوـابـ، وـمـنـ هـذـاـ مـاـ كـانـ مـنـ شـرـحـ الـخـفـاجـيـ «لـلـدـرـةـ»ـ وـمـاـ صـنـعـ الـأـلـوـسـيـ فـيـ «الـطـرـةـ»ـ وـغـيرـهـماـ.

نم نـجـيـءـ إـلـيـ أـهـلـ هـذـاـ عـصـرـ مـنـ الـيـازـجـيـ فـيـ «لـغـةـ الـجـرـائـدـ»ـ وـأـسـعـ خـلـيلـ دـاغـرـ فـيـ «تـذـكـرـتـهـ»ـ وـمـاـ نـشـرـهـ الـكـرـمـلـيـ فـيـ «لـغـةـ الـعـرـبـ»ـ، نـمـ مـاـ عـقـبـ بـهـ مـصـطـفـيـ جـوـادـ عـلـىـ جـمـعـ هـؤـلـاءـ فـيـ «قـلـ وـلـاـ نـقـلـ»ـ. وـلـمـ يـتـوقفـ هـذـاـ الدـأـبـ فـقـدـ جـدـ نـفـرـ آخـرـ لـمـ يـكـونـواـ أـهـلـ جـيـدـ، وـلـمـ يـسـقـرـواـ اـسـتـعـمـالـاتـ الـعـرـبـ، فـرـاحـواـ يـقـمـشـونـ مـاـ عـنـدـهـمـ مـاـ أـخـذـوـهـ مـنـ سـيـقـهـمـ، وـمـاـ بـدـاـ لـهـمـ أـنـ خـطـأـ وـفـيـ أـغـلـبـ الـأـحـيـانـ كـانـواـ هـمـ الـمـخـطـئـينـ.

أقول: هذا المنهج في التصحيح لم يؤت ثماره، ذلك أن في كثير مما نـبـهـ عـلـيـهـ هـؤـلـاءـ مـتـقـدـمـونـ وـمـتـأـخـرـونـ فـضـلـاـ مـنـ قـولـ يـدـخـلـ فـيـ التـصـحـيـحـ وـالـاستـدـرـاكـ. وإذا كانـ الـأـصـمـعـيـ وـابـنـ قـتـيـبـةـ وـالـسـجـسـتـانـيـ قدـ شـمـرـواـ فـيـ الـخـطـأـ فـادـعـواـ أـنـ «زـوـجـةـ»ـ خـطـأـ، وـ«الـحـوـائـجـ»ـ وـ«الـتـوـيـاـبـ»ـ خـطـأـ، وـقـدـ جـاءـ كـلـ هـذـاـ وـغـيرـهـ فـيـ كـلـ الـعـرـبـ شـعـرـهـمـ وـنـثـرـهـمـ، وـفـيـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ، فـهـلـ لـنـاـ

أن نطمئن الآن لما ينبري في كتاب «التصحيح» الذين ينشرون في الصحف؟
ولو أنك نظرت في كلامهم لوضعت يدك على شيءٍ ثابه^(١).

وأعود بعد هذا التمهيد إلى «وقفاتي» فأقول:

وقفت في البحث الأول من العدد (٣٧) من هذه المجلة الموسوم
بـ «التزعة الذاتية في الشعر الجاهلي» على قول الكاتب الفاضل:

١ - سواء أكانت تجاه قبيلته، أم تجاه المرأة... أم تجاه أصدقائه...
أقول: هذه عربية معاصرة وليس الكاتب وحده في هذا الالتزام الذي تجاوز
فيه الكتاب ما ورد في «أسلوب» الاستفهام مما يدخل في باب «النظم» الذي
جس العرجاني عليه كتابه «دلائل الإعجاز».

إن أسلوب الاستفهام في باب همزة التسوية يقتضي أن يلي الهمزة ما
يريد الكاتب فيكون ذلك ملزماً أن يلي نظيره «أم» المعادلة فيكون الوجه:
سواء أكانت تجاه قبيلته أم كانت تجاه المرأة... ونستطيع أن نقول:
سواء أتجاه قبيلته كانت أم تجاه المرأة.

ومصدق هذا قوله تعالى :

«سُوَّاً عَلَيْهِمْ الْأَنْذِرُتُهُمْ أَمْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» ٦ سورة البقرة

«سُوَّاً عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا...» ٢٠ سورة إبراهيم.

(١) أقول كيف يطمئن الدارس فيسارع إلى الغول بالخطأ، وأنى له أن يحفظ كلام العرب،
وهذا أكبر من حلة العلماء في هذا الباب قال: يقولون: تدبّر الأمر، وهو خطأ. فلما جوّه
بقوله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ» (٨٢ سورة النساء) بعث وتراجع.
ثم اتي اود ان استدرك فأقول: يعني لا يفهم من كلامي الذي فتنته، ان الخطأ غير
موجود، وان كل شيء صواب، لا، ليس هذا فما زال باب الخطأ واسعاً، والكثير الذي
ثابه العربية على السنة المقربين، فيما يقولون ويكتبون. ولا نسأل عن الخطأ في
الإعراب والرسم، فهو كثير.

«فَالْأُولَاءِ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ غَطَّتْ أُمٌ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ»، ١٣٦ سورة الشعرا.

«سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»، ٦ سورة «المتافقون».
وفي الآية الأخيرة اقتضت همزة الاستفهام حذف همزة الوصل في «استغفر» طلباً للحقيقة.

وأعود إلى لغة التزويل فأجد فيها قوله تعالى:

«سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَذْعُونَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَابِرُونَ»، ١٩٣ سورة الأعراف.

وأقول: لقد وقف أهل التأويل على هذه الآية التي بدت مختلفة لأسلوب الاستفهام في هذه العربية الشريفة فقالوا: إن ما بعد «أم» المعادلة يؤذن بالفعل «ضَمْتُمْ»، والجملة «أَنْتُمْ صَابِرُونَ» بمعناه، فاستقام بذلك أسلوب الاستفهام.

أما أسلوب الاستفهام في العربية المعاصرة فكثيراً ما تُطوى فيه الهمزة فيقال:

سواء حضر أم لم يحضر.

وهذا يحتاج إلى التقدير، والacial: أحضر أم لم يحضر، وقد طويت الهمزة في ضرورة الشعر فقد ورد في شواهد «المغني» (١)، قول الشاعر: فواقة ما أدرى وإن كنت دارياً **بَسْبَعِ رَمْنَنِ الْجَمْرِ** أم بثمان والتقدير: أبسبيع.

ولكن المعاصرین عذلوا عن «أم» المعادلة بعد همزة التسوية إلى «أو» فيقال: سواء جاء أو لم يجيء.

(١) مغني اللبيب «باب همزة الاستفهام».

وقد ورد شيء من هذا في الشعر في العصور المتأخرة على سبيل التجاوز.

٢ - وقال صاحب البحث أيضاً في الصفحة (١١) : وعلى ذلك فإن الشعر يصف لنا الإنسان العربي ذا نزعتين . . .

أقول : وحسن النظم يفرض أن يكون «على ذلك» متعلقاً بالفعل «يصف»، وليس لنا بذلك، فقد حجبت الفاء في قوله : «فإن» الجار وال مجرور عن اللحاق بالفعل «يصف»، وحذف الفاء يزيل هذا الإشكال. ثم إنني لا أعرف هوية هذه الفاء، فهي ليست عاطفة ولا استئناف.

ومثل هذا فاش في العربية المعاصرة، وهذا وغيره من سماتها وخصائصها. ثم إنه شاع في هذه العربية كلام جديد ومنه «الإنسان العربي»، وليس في هذا خطأ أو تجاوز، ولكنه جديد لا نعرفه في العربية القديمة، فلم نقرأ في تراثنا «الإنسان الفارسي» ولا «الإنسان الهندي»، ولكن العصر يسمح بهذا، بل هو من خصائصه. وقد تكرر «الإنسان العربي» في هذا البحث.

٣ - وجاء في الصفحة (١٣) قول الكاتب : «ثم لا تقف القبيلة معه [أي الفرد] موقفاً عادلاً، من وجهة نظره . . .

أقول : أراد الكاتب : ثم لا تقف القبيلة منه موقفاً . . .

لقد تساهل المعربون في استعمال حروف الجر، واستبدلوا بها غيرها كما في قول الكاتب، بل وضعوا «على» في موضع «عن» و«في» في موضع «الباء» أو «من».

نعم، لقد كان شيء من هذا في فصيح العربية، وهو ما غير عنه بـ «التضمين»، ولكن باب التضمين مقيد بالسماح فليس لنا أن نسمع فيه.

ثم أجيء إلى «وجهة النظر» وهي مركب جديد لا تعرفه العربية قبل عدّة عقود من السنين، وهذا «المركب الإضافي» جاء به الترجمة، وكثيراً ما أتى الترجمة بالدخيل كليماً وتراتيب فاندنس في العربية وفشا فيه الاستعمال حتى غدا من ملاك هذه العربية المعاصرة.

قلت: إن هذا التركيب جاءنا من لغة أعمجمية، وهو من الفرنسية
وقد نقول: لمَ كان من الفرنسي؟ *Le point de vue*

والجواب: أن الترجمة الأولى، وما زال نفر منهم، من الناطقين بالفرنسية، وهم في مشرقاً العربي أهل سوريا ولبنان.

إن المراد بـ«وجهة النظر» الرأي، وال فكرة التي يصدر عنها المعربون.

والذى أسمعه كثيراً أن المعربين يضمون الواو، وليس لها وجه، إن الواو مكسورة كما في قوله تعالى:

«وَلُكْلُ وِجْهَةٌ هُوَ مُؤْلِيَاهَا فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» ١٤٨ سورة البقرة.
أقول: وما ورد على «فعلة» بكسر الفاء في العربية، وفاواه «دواو»، تحذف هذه الواو لأنها مكسورة، ومن هذا: زنة وعدة وصلة وغيرها، والأصل بواو مكسورة. ومن هذا أيضاً «وجهة»، ولكنها جاءت أيضاً «وجهة» خلافاً للكثير.

وأعود إلى «وجهة النظر» في كلام الأستاذ الدكتور عبد الفتى الزيتونى^(١) فأقول:

(١) رأيت أن يكون الأستاذ عبد الفتى الزيتونى، وليس عبد الفتى زيتونى، فهو من أهل العربية التي ثابى ما درج عليه الناس من عجمة كقولهم: عبد الله قادرى، ومحمد نابلسى، وغير ذلك.

على قبولنا عبارة «وجهة النظر» في العربية المعاصرة في شؤون السياسة والاقتصاد والمجتمع وغير ذلك من الشؤون العامة إلا أنها لا تقبلها في بحث يتصل بالشعر الجاهلي فنلخصها بالبدوي القديم في علاقته واتساعه لقبيلته، ذلك أنها نؤمن، بأن لكل مقام مقالاً، وهذا شيء جرى عليه العريبة.

٤ - وجاء في هذه الصفحة أيضاً في قول صاحب البحث: «وعلى هذا الغرار ما حدد لزهير بن غروة المازني

وقد ضبط «غروة» بفتح العين، ولا نعرف «غروة» بفتح العين، وأظنه من الخطأ المطبعي. إن «غروة» اسم علم بضم العين، وأصل التسمية أن «غروة» من أسماء الأسد، وبه سُمي الرجال كتسميتهم: ليث وفراش ونحوهما.

٥ - وجاء في الصفحة (١٤) البيت:
ونعم الحماة الكفأة العظيم إذا غائظ الأمر لم يخل
أقول: والصواب: ونعم الحماة الكفأة العظام . . .
فالحُماة والكُفأة جمعان، ولا بد أن يكون ما بعدهما جمع هو «العظام» وليس العظيم.

هذه واحدة، والأخرى تتصل بإقامة البيت وزناً فهو مدور، وعلى هذا تكون «الميم» من «العظام» في أول العجز:

ونعم الحُماة الكفأة العظا م إذا غائظ
ثم لا بد من وقفة على «الكُفأة» فأقول: إنها جمع «كاف» مثل «حُماة» جمع «حامٍ». غير أن العربية المعاصرة لا تعرف «الكُفأة» ولا «الكافي»، كما استعملنا في البيت.

إن معنى «الكافي» وجمعه «الكفاءة» من يكفي الأمر، وهو أهل له، وجدير به. وهذا لم يعرفه المعاصرون بل ذهبوا إلى الخطأ فقالوا: هو كفء، وهم أكفاء، و«كُفَّ» و«أكفاء» لا تؤدي ما يريد المعاصرون، ذلك أن «الكُفَّ» هو المماثل والنظير، قال تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَخْدَهُ»^٤ سورة الإخلاص.

وليس في هذا ما يريدون من أن «الكُفَّ» و«الاكفاء» هما الأهل والجدير والمستحق ونحو هذا.

ولذلك قالوا: «الكفاءة» بمعنى الجدارة والأهلية، وحقيقة «الكفاءة» المماثلة واشتراط «الكفاءة» في الشريعة الإسلامية بين الزوج والزوجة تعني هذا الذي جرى عليه فصحاء العربية. وكان هؤلاء يقولون فيما هو خاص بالجدارة والأهلية «الكفاية» لا «الكفاءة». ومن هنا كان لقب الصاحب بن عباد «كافي الكفاءة».

٦ - وجاء في الصفحة (١٥) قول الكاتب:
وَرَبِّنَا الشِّعْرَ أَنْ ثُمَّةَ امْرًا آخَرًا [كذا].

أقول: والصواب «آخر» وهو «أفضل»، ولا يُنْتُون، ولعله من الخطأ المطبعي.

٧ - وجاء في هذه الصفحة أيضاً قول الكاتب:

... . وَفِي كُلَّنَا الْحَالَتَيْنِ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَخْلَوُا بِحُقُوقِهِمْ

أقول: عربتنا في هذا العصر تتجاوز الحدود، وذلك لعدم اكترااث الكتاب بتعلمهها، فإذا قصروا في التعلم، فالقليل يتزلق، واللسان يتزلق، ويشيع هذا فيكون من ملاك هذه العربية.

إن الجار والمجرور وهو «وفي كلتا الحالتين» لا بد له من فعل يتعلق به، وهو هنا «قد أخلوا»، وعلى هذا لا يتيسر هذا التعلق مع وجود «الفاء» في

قوله : «فإنهم»، هذه الفاء التي جاءت للربط كما يتخيل الكاتب وليس فيها حاجة، وطرحها هو الصحيح .

٨- وجاء في الصفحة (١٦) بيت لعامر بن الطفيلي في مقطوعة، هو:
يلوموني الذين تركت خلفي ويعصيني الذين بهم أصول
أقول: قول الشاعر «يلوموني»، يصح أن يكون شاهداً لمسألتين:
الأولى أن الفعل أسد إلى الجمع والواو هو ضمير الجمع مع وجود الفاعل
وهو دال على الجمع «الذين»، وجرت العربية في مثل هذا أن يقال: يلومني
الذين . . .

وليس ذهاب الشاعر إلى «يلوموني الذين» بسبب الضرورة، ذلك أنها
لغة من لغات العرب أي أن الفعل يلحق علامه الجمع مع وجود الفاعل
جمعاً.

لقد قصر النحاة في استقرارهم وكان يتمنى أن يذكروا هذا البيت،
وصاحبه جاهلي، شاهداً في هذه المسألة، ولا يقتصروا على قولهم:
«أكلوني البراغيث».

وقد ذكر النحاة في هذه اللغة قوله - عليه الصلاة والسلام - «يتعاقبون
فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»، قوله - عليه الصلاة والسلام - :
«او مُخرجٍ هم»، قال ذلك لما قال له ورقة بن نوفل : «وبدت أن أكون معك
إذ يخرجك قومك». والأصل في قوله - عليه الصلاة والسلام - : «او
مخرجٍ هم»، فقلبت الواو ياءً وادعمت في الياء .

والثانية في قوله «يلوموني» حذف نون الرفع، والأصل: «يلوموني»،
وهذا الحذف كان بسبب الوزن.

٩- وجاء في هذه الصفحة قول الباحث:

«... لكنهم أتوا أن ينصاعوا رأيه . . .»

أقول: قوله «أن ينتصعوا» يعني أن يخضعوا ويستكينوا. وهذا هو المعنى السائِر في العربية المعاصرة.

والذى في كلام العرب قوله: انصاع القوم، أي ذهبوا سراعاً، وانصاع الرجل بمعنى انفلَّ مُسرعاً وراجعاً.

١٠- وجاء فيها أيضاً قوله: «أن القبيلة... تبقى مشدودة إليه».

أقول: إن استعمال الشد على هذا الضرب من التوسيع قد يكون مقبولاً في اللغة المعاصرة في شؤون المغربين في القصص ونحوها، ولكننا نتوقف فيه حين وروده في كلام على الشعر الجاهلي.

١١- وجاء في الصفحة (١٧) قوله:

«لأنه [أي الفرد] استطاع أن يتحقق الموازنة بين طموحه إلى التميز والتفَّرُّد وبين الخضرى للقبيلة...».

أقول: ووقفت في هذا على كلمة «طموحه» التي احتملت في العربية المعاصرة معنى النزوع إلى الفوائد والمعالي التي تشتمل على الفوائد والمراتب. وهذا شيء جديد ليس لنا شيء منه أو يقرب منه في فصيح العربية.

قالوا: طمَّحَت المرأة طمَّاحاً، وهي طامح بمعنى نَشَّرت من بعلها. والطمَّاح مثل الجماع. وفي الحديث: فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ فَطَمَّحَت عَنْهَا، أي أبصر في أعلى.

وفي حديث قَبْلَة: كنت إذا رأيت رجلاً ذا قشر طمَّحَ بضربي إليه، أي امتدَّ وعلا، والطمَّاح هو الكبير والفخر لارتفاع صاحبه.

وطمَّحَ الفرس طمَّاحاً وطموحاً: رفع بذنه. وكل مرتفع مفرط في تكبير: طامح. وبحر طمَّوح الموج أي مرتفعه.

وعلى هذا يكون الاستعمال الجديد شيئاً من المولد الجديد.

١٢- وجاء في الصفحة (١٨) قول الكاتب: «الحياة الجاهلية».

أقول: ودلالة «الحياة» بهذا الوصف وهو «الجاهلية» يشعر أن «الحياة» زمن وحقبة كما في تمام النص: «و قبل أن نبحث في الأشعار التي عرضت للخليل والخلع لا بد لنا من إيضاح صورتهما في الحياة الجاهلية، وقد تكون «الحياة» ما يكون للناس من سلوك وعادات».

وقد تجاوزوا في استعمال «الحياة» فقالوا في شرح «السيرة» حياة الشاعر، وحياة الأديب وغير ذلك، وهم يريدون به «السيرة»، ولم يكن هذا الاستعمال بهذه الدلالة في فصحى العربية، قالوا: سير أعلام النبلاء، والمغازي والسير، والسيرة النبوية لابن إسحاق، وهذه كلها أسماء مصنفات تاريخية مشهورة.

١٣- وجاء في الصفحة (١٩) قوله: «... وخاصة إذا علمنا أن ثمة حاجة ملحة تدفع الضففاء».

أقول: واستعمال «خاصة» في قول الباحث هو الاستعمال الكثير في العربية المعاصرة. وهذا استعمال جديد، والأصل هو كما في قوله تعالى: «وَأَقْرَأُوا مِنْهُ لَا تُبَيِّنُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»، ٢٥ سورة الأنفال.

١٤- وجاء فيها أيضاً قوله: «... بغية إشاع غرائز مكتوبة
لذديهم...»

أقول: وقوله: «مكتوبة» من «الكتب» وهو مصطلح من مصطلحات علم النفس في عصرنا، ويريدون به الإلغاء والطمس والإبادة.

وأصل «الكتب» هو الصرع، وذلك كما في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ
يُحَادِّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُفَّارٌ كَمَا كُفِّرُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»، ٥ سورة المجادلة.

وقد ذهب بالكتب في هذه الآية إلى الإذلال، وهذا ليس بعيداً عن الصُّرُع على وجهه من التوسيع.

١٥- وجاء في الصفحة (٢٠) البيت:

وقد حَدَبَتْ عمرو على بعزمها . . .

أقول: والصواب «حَدَبَتْ» بكسر الدال، وهو «فَعَلْ» «يَفْعَلْ» نظير «فِرْحَة»، ومن معاني «فَعَلْ يَفْعَلْ» الدلالة على العيوب نحو: عَوْزٌ وَعَيْمٌ ومنه «حَدِيب». وأكثر مصادر العيوب هذه على «فَعَلْ» نحو العَوْزُ والصلْعُ والعرَجُ والحدَبُ والعَمَى .

١٦- وجاء في الصفحة (٢١) قول الأستاذ عبد الغني الزيتونى:

«ورَنَتْ إلى فتیان يُرْهُون بِجَمَالِهِمْ وَحَسْنِهِمُ الوضَاءِ

أقول: والفعل «وَضُوءٌ» بمعنى حَسْنٌ، والـوَضَاءَ بمعنى الحسن والقسمة، والصفة منه «وَضِيءٌ»، وكثير من «فَعَلْ» يأتي منه فعل نحو كَرْمٌ وَنَبْلٌ وَفَضْحٌ، والصفات: كريم ونبيل وفضح. وقد جاء في البحث: «الأمل الوضاء» أيضاً.

وليس لنا «وضاء» على «فَعَالْ» ولكنه شاع حتى توهمه الدارسون أنه بناءً مبالغة .

١٧- وجاء في الصفحة (٢٢) قول الكاتب:

وأغلب الظن أن تابط شرآ يرسم بهذه الأبيات لوحة لطموحه

أقول: كثير أن يقال في «تَابَطْ شرآ» وهو شاعر جاهلي إنه «يرسم لوحة لطموحه». وأنا أستاذن الأستاذ عبد الغني الزيتونى فأطلب إليه أن يتذكر أن الشاعر بدوى جاهلي، وأن يعود إلى ما قرأ في البلاغة وهو: لكل مقام مقال، وعندي أن «المقام» يدل على المكان والزمان، فأننى لتابط شرآ من «الرسم» فيحرز على «لوحة» للطموح.

ثم إن «اللوحة» كلام جديد، والعربية لا تعرف هذه الكلمة المؤنثة، بل إننا نعرف «اللوح» ومنه اللوح المحفوظ.

١٨- وجاء في الصفحة (٢٣) كلام المؤلف على «الخليل» من أبناء القبيلة التي ترفضه القبيلة فلا تعتد به نسباً لجرائمها التي ارتكبها، والاستاذ الربتوني يقول عن هذا «الخليل»:

«إن القبيلة سحبت منه الجنسية القبلية». أقول: وسحب الجنسية شيء جديد لا يمكن أن يُرمى على شاعر جاهلي، لقد تجاوزت - أخي الفاضل - أيمما تجاوز.

١٩- وجاء في الصفحة (٢٤) قول الاستاذ: «... فلا علينا بعد ذلك أن نعزّو إليه تضخم الذات وطغيانها على كل شيء، ما عداها». أقول: إذا كان لنا أن نقبل «طغيان الذات على كل شيء، ما عداها»،

فليس لنا أن نسمح فنقبل «تضخم الذات» وهو مصطلح نجده في عصرنا لدى المختصين بـ «علم النفس»، وكيف نقول هذا في «تابط شرائط» الشاعر الجاهلي.

٢٠- وجاء فيها البيت: «فإن مُتْ فانعيوني بما أنا أهله...». أقول: جاء الفعل «مُتْ» بضم الميم وقد جرت العربية على كسر الميم وإن كان هذا الفعل واوياً «مات يموت»، كما في قوله تعالى: «إِذَا مَتَ...» (٨٢ سورة «المؤمنون»). والقول في كسر الفاء في هذا الفعل خلافاً للأصل: أنهم قالوا إن الفعل «مات» ليس مبنياً للمعلوم، وهو نظير الفعل «تُوفَّى»، فالله هو الذي يتوفى الناس ويحييهم.

أقول: وقول النحوين اللغويين غير مقنع، ولكننا نلتزم بالرواية التي التزمت الكسر، كما ورد في لغة التزيل.

٢١- وجاء في الصفحة (٢٥) قول الاستاذ الزيتوني :

«ولئن كان العربي يستظل بحماية القبيلة... لقد كان أيضاً يفخر ببطوله...».

أقول: إنني لا أحمد للاخ الاستاذ صاحب البحث لإجادته استعمال «لئن» التي تتطلب جواباً للقسم لوجود اللام التي تسبق أداة الشرط «إن»، فقد قالوا: إن اللام موطنة للقسم، وعليه يكون الجواب للقسم فجاء مصدرأً بلام القسم في «لقد».

وهذه مسألة لا يغيب بها الأساتذة المتضلعون من العربية، فهم يجعلون الجواب للشرط ويصدرونه بالفاء التي هي الفاء الرابطة أو فاء الجزاء فيقولون: ولئن فاتنا ذلك فإننا نحاول أن نحصل عليه، والصواب: إننا نحاول...».

قال تعالى: «لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدُنُكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^٧ سورة إبراهيم.

وقد وجدت هذا الغلط لدى شعراء مشهورين كالبحترى وأبي نواس وغيرهما، وهو فاش في شعر من جاء بعد هؤلاء.

٢٢- وجاء في الصفحة (٢٧) قوله :

«كما عبر بعضهم في شعره عن منازع شتى انفعلت بها نفسه، وعن طموحات...».

أقول: قوله «انفعلت» من المصطلح الجديد في علم النفس. وـ«الانفعالات» هي جديدة وتعني «العواطف» وهذه جديدة أيضاً، وليس من بأس أنه تقال في مادة قديمة. وأما «الطموحات»، فجديد أيضاً وقد تقدم الكلام على «الطموح»، وهي هنا مجموعة ومجملها مجموعة من خصائص العربية المعاصرة فقد عرفت عن طريق الترجمة: الطموحات والنجاحات والنشاطات وغير ذلك.

٢٣- وجاء في الصفحة (٢٩) قوله :

«فانيري يرسم لوحة شعرية...»

أقول : وقد تقدم الكلام على «اللوحة» ، ولكنني أود هنا أن أضيف شيئاً
فأقول إن «رسم اللوحة» جاء إلى العربية المعاصرة عن طريق الترجمة من غير
شك ، غير أن الذي يدعو إلى الحيرة هو أن المترجم أعطى الكلمة الأعجمية
كلمة «لوحة» مؤثثة ، وقد أنهاها جهلاً منه أن التأثيث لكلمة «لوح» لم يرد .

قلت : أمر يدعوا إلى الحيرة ، ذلك أن الكلمة في الفرنسية هي
«tableau» وهي مذكورة ثم إن الكلمة في الإنكليزية غير مقيدة بالتأثيث لأن
الإنكليزية يستوي فيها المذكر والمؤنث ، وليس من تمييز فأنت تقول :
«nice» لـ «حسن وحسنة» ، و «جميل وجميلة» . إن ذلك من حذفة المترجم الذي
ولد مؤنثاً قياساً وتناظراً .

٢٤- وجاء فيها أيضاً البيت :

يُحَثُّ بِهَا حَادِ سَرِيعٍ نَجَاؤهُ وَمُغْرِيٌّ [كذا] عَنِ السَّاقِينِ وَالشَّمْلِ جَامِعٌ

أقول : والصواب : «ومغرى» .

٢٥- وجاء فيها أيضاً البيت :

فَقَلَّتْ لَهَا: تَاهَه يَدْرِي مَسَافِرٍ إِذَا اضْمَرَتْهُ الْأَرْضُ: مَا اللَّهُ صَانِعٌ

أقول : وتمام القسم : تاهه لا يدرى مسافر .

وقد حذفت «لا» النافية ، وقد تقول : إن الوزن اقتضى هذا الحذف ،
ولكن الحذف واقع في غير الشعر ، وكان الشيء إذا عُرف ودللت عليه قرينة
كان حذفه أبلغ ، ومعنى «أبلغ» أنه أجمل وأحسن ، والعربية تتونّى الحسن ،
الا ترى إلى قوله تعالى : «وَتَاهَهُ تَهْتَاهُ تَذَكَّرُ يُوسُفُ» (٨٥ سورة يوسف) ،
والتقدير : ما تهتنا

٢٥- وجاء في الصفحة (٣٠) البيتان :

بكلّ مبيت يعترينا ومنزل فلو أنها إذ تدلّج الليل تُصبحْ
 فولت وقد بثت تباريع ما ترى ووحيدي بها إذ تحدّر الدمع أَبْرَحْ
 أقول : استعمل الظرف «إذ» في البيتين وهو داخل على المضارع ،
 والذي في كتب النحو أنه ظرف لما مضى .

٢٦- وجاء فيها أيضاً قول الأستاذ الزيتوني :

... إنه قد أهاج شوقه

أقول : والفعل «هاج» متعدّ ولازم فيقال : هاجني الشوق ، وهاج
الشوق . والفعل بهذه الزيادة ، وهي خطأ ، «أهاج» كثير في العربية
المعاصرة ، ولعل المعربين وصلوا إلى هذا الغلط حملًا منهم على الفعل
«أثار» الذي هو بمعنىه .

٢٧- وجاء في الصفحة (٣١) قوله :

«وإذا الخيال يُصبح شخص المحبوب مجسداً

أقول : الفعل «جَسَد» بالتضعيف ومنه «مُجَسَّد» ، وـ«التجسيد» كثير في
العربية المعاصرة ولعل ذلك حدث بتأثير الترجمة ولا وجود له بهذا المعنى
في العربية القديمة ، وهو مأخوذ من الجسد بمعنى البدن .

وفي فصيح العربية أن الثوب المُجَسَّد هو المُشَبِّع بالعصفير أو
الزعفران ، فأين هذا من الاستعمال الجديد ؟

٢٨- وجاء في الصفحة (٣٣) البيت :

وما بعد أن قد هدّني الدهر هدة تضائل لها جسمي ورق لها عظمي
أقول : قوله : «تضائل» بتسهيل الهمزة والأصل : «تضاءل» ، وهذا شيء
من لغة الشعر ، والشاعر القديم ذو سطوة يفرض ما يقول .

٢٩- وجاء في الصفحة (٣٤) قول صاحب البحث :

«فكان أبو دُواد الإيادي . . .».

أقول : دُواد هو الصحيح كما أثبت الأستاذ عبد الغني وليس «دُواد» بالهمز كما هو الشائع الفاشي في كتب الأدب.

قال ابن دريد في «الاشتقاق» : واشتقاق «دُواد» من الدود.

٣٠- وجاء فيها قوله :

«وفضلاً عما مرّ بنا فقد حفلت دواوين الشعر بمديح الشعراء . . .».

أقول : إن بدء الجملة بقوله «فضلاً» ليس من الأسلوب الفصيح، وبذلك لا نعرف دلالة الفاء بعد ذلك في قوله : «فقد».

٣١- وجاء في الصفحة (٣٥) قوله :

«. . . تلمع فيها شخصيته المترفة»، والكلام على الشاعر القديم.

أقول : و «الشخصية» مصطلح جديد في الفلسفة وعلم النفس في عصرنا، فهل لنا أن نستعمله في معرض الكلام على شاعر جاهلي؟

٣٢- وجاء في الصفحة (٣٧) قوله :

«وكلها تعكس مواقف الشعراء الذاتية . . .».

أقول : ودلالة الفعل «تعكس» هنا مأخوذ من لغة العلم الحديث كالفيزياء فإن سطح الصقيل مثلًا كالمرأة يعكس الضوء، وهذا المعنى غير متوفّر في دلالة الفعل في العربية فأنت تقول عكسنا القضية فجعلنا نهايتها بداية لها.

ثم نأتي إلى «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في الدورة الخامسة والخمسين ١٩٨٩» وهو بحث طويل للدكتور عدنان الخطيب، وكان لي فيه وقفات أبدؤها بحسب ورودها في صفحات المجلة فأقول :

١ - جاء في الصفحة (٤٤) في كلمة الدكتور إبراهيم مذكور:
«... فإنها تتيح لنا فرصة لقاء زملائنا... نسعد بهم حقاً لأنهم
يسهمون معنا عن قرب في خدمة العربية».

أقول: ليس في العربية الفعل «أسهم» بمعنى شارك أو قدم سهمه أي
نصيبه، ولكننا وجدنا «ساهم» بمعنى شارك في رمي السهام، وقد توسع فيه
المعربون فصرفوه إلى معنى المشاركة، قال الشريف الرضي في رسالة له
إلى أبي إسحاق الصابي يعزّيه بفقد ولده:
«وأنا المساهم لك في تحمل الناثبة».

٢ - جاء في الصفحة (٥٦) في قول أحد الباحثين:
«... لقد آن الأوان، كي تقوم مجتمعنا اللغوية، ومن خلال اتحاد
المجامع بالعمل على إنشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم».

أقول إن استعمال «خلال» التي تنصرف إلى الظرفية، مجرورة بـ«من»
يُبعدها عن الظرفية فيكون معنى «من خلال» قوله «بوساطة». وهذا استعمال
جديد صير إليه توسيعاً في مدلول الظرفية وشاع في العربية المعاصرة.
أما دلالة «خلال» على الظرفية فتحقق في قوله تعالى مثلاً:

«فَجَاسُوا خِلَالَ الْذِيَارِ» ٥ سورة الإسراء.
«وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَتَغُونُكُمْ أَفْتَنَة» ٤٧ سورة التوبة.

وقد تقول: لقد وردت «خلال» مجرورة بـ«من» في قوله تعالى:
«فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ» ٤٣ سورة النور.

والجواب عن هذا أن «خلال» مع جرها بالخافض ما زالت تدل على
الظرفية المكانية بخلاف الاستعمال المعاصر الذي أبعدها عن معنى
الظرفية.

٣ - وجاء في الصفحة (٥٧) في قول أحد الباحثين:
«والتبني على أهمية كتاب شرح كليات القانون لابن النفيس».

أقول: إن استعمال «على» بعد الفعل «بنَهُ» يؤذن بالسلب كقولهم:
التبني على حدوث التصحيف، فالتصحيف من المساوىء التي ينْهَا عليها،
ولو كان الشيء الذي ينبغي التنبية به والإشارة بفوائده لقلنا: التنبية إلى فائدة
الشيء.. وعلى هذا كان ينبغي أن يقول الباحث: التنبية إلى أهمية كتاب
شرح كليات القانون... لأن «الأهمية» مما يجب أن يشار إليها، وعلى هذا
يتخلص استعمال «على» مع الفعل «بنَهُ» إلى ما هو شرّاً وضرراً، ومثل هذا
كثير من الأفعال التي يأتي بعدها «على» متوجهاً إلى الفرار والشر كقولهم:
خرج على، وساعد على دفع الشر ونحو هذا.

٤ - وجاء في الصفحة (٥٨) قول صاحب البحث:
«ثم أكد الباحث على وجوب تحرّي الحقائق...».

أقول: إن الفعل «أكَّد» يصل إلى مفعوله من غير حرف جر. وقد نبه
أهل التصحيف على هذا حتى كدنا نرى الصواب أعم على السنة المعربين
وفيما يكتبون من الخطأ. ويبدو أن شيئاً من هذا التجاوز ما زال باقياً. وهذا
من غير شك آت من ترجمة فعل في لغة أجنبية إنكлизية أو فرنسيّة يتعدى
بالحرف، وبسبب من الترجمة جاء الكثير من التجاوز في العربية. وقد تكرر
هذا في الصفحة (٧٣).

٥ - وجاء في الصفحة (٥٩) قول أحد الدارسين:
«وإذا كان من واجبنا كمسلمين أن نُقدِّر نبيَّنا العظيم حقَّ قدره،
فإنَّه...»

أقول: وقد نبه أهل التصحيف على زيادة الكاف في قول الباحث
«كمسلمين»، وأن هذه الكاف ليست كاف التشبّه، بل زيدت خطأً لتقابل

نظيرتها في لغة أجنبية، فهي من «as» الإنكليزية أو من «Comme» الفرنسية. ونستطيع أن ندير القول في العربية من دون هذه الكاف.

ثم إن الفعل «قدر» المضاعف لا يعني الاحترام بل يعني تعين الحدود طولاً وقصراً وارتفاعاً وهو في المسافات والمساحة والكيل والوزن صحيح في موضعه، وأما ما يتصل بالاحترام ونحوه فالثلاثي، «قدر»، قال تعالى:

«وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقُّ قَدْرِهِ» ٩١ سورة الأنعام.

والعجب أن الباحث أتى بعبارة «حق قدره» ولكنه جعل الفعل مضعفاً.

٦ - وجاء في الصفحة (٦٠) قول الباحث:
«روايات عن إرهاصات النبوة».

أقول: لم أعرف «إرهاصات النبوة»، بل كان السلف يقولون: دلائل النبوة، وبهذا صنفت رسائل. نعم: الإرهاص هو الإثبات، ولم ترد جمعاً، وأول من استعمل «الإرهاص» أبو حنيفة الدينوري فقد ذهب إلى أن الوسمى (من المطر) إرهاص بما يكون منه.

٧ - وجاء في الصفحة (٦١) قول الباحث:
«دور الملائكة في يوم بدر».

أقول: إن كلمة «دور» بهذا المعنى من الكلم الجديد الذي عرفناه في اللغات الغربية، ومنه قولهم: فلان لعب دوراً مهماً. و«لعب الدور» مأخذ من لغة المسرح في اللغات الغربية.

٨ - وجاء في الصفحة (٦٣) قول أحد الباحثين:
«... ومناخ علمي وديني ...».

أقول: قبلت العربية في علم البلدان كلمة «مناخ» وتعني أحوال الطبيعة من حيث درجة الحرارة والرطوبة، وما يتصل بالضغط ونحو ذلك، ثم اتسع هذا فصار علم المناخ. ثم استعار الغربيون هذه الكلمة Climat الفرنسية ومثلها في الإنكليزية من دلالتها على الطبيعة والبيئة إلى حيز آخر فقالوا على سبيل التوسيع: المناخ السياسي، والمناخ الأدبي وغير هذا.

فهل يتأتى لنا أن نرى في عربيتنا «المناخ الديني»؟ غفرانك اللهم!

٩ - وجاء فيها أيضاً قول الكاتب نفسه:
«... مقتراحاً تعديلاً لها يتناسب وحاجة كل دولة...».

أقول: إن «التناسب» وما ورد على «تفااعل» و «معاملة» يشير إلى طرفين، ومن هنا فاللاؤ تخلص للعطف وليس للمعية، وإذا كانت عاطفة فالعاطف هنا على «هو» عطف الظاهر على ضمير مستتر. وفي هذه الحال ينبغي أن يؤكّد المعطوف، وهو الضمير المستتر، بأخر منفصل فنقول: «يتناسبُ هو وحاجة كل دولة». ولكن هذا غير جارٍ في عربتنا المعاصرة.

١٠ - وجاء في الصفحة (٦٥) قول أحد الباحثين فيما حكاه الأستاذ عدنان الخطيب عن البحث:

ثم أخذ الباحث يعدد الكلمات التي التقطها، مبيناً جذرها... .
أقول: و «الجذر» بمعنى الأصل عرف في لغة النبات والشجر، ولم يعرفه اللغويون في بحثهم في أصول الكلمات، فكانوا يقولون: أصل، والكلمات الأصول.

١١ - وجاء في الصفحة (٦٦) قول الباحث:
«وما زال بعض علماء العربية ينكرون «الرئيسي» بالباء ويستعملون في مكانه «الرئيس» ولكن «الرئيسي» قديمة... .

أقول: كلام الأستاذ صاحب البحث وجيه، و «الإياء» في الرئيسي ليست ياء نسبة، بل هي تزاد لزيادة الوصف، وهذا شيء درجت عليه العربية فمن أقدم شواهد النحو قول العجاج:

والدهر بالإنسان دواري

ويندرج في هذا الباب: الألمعي والبلمعي، والأحوري وغير هذا.

١٢- وجاء في الصفحة (٦٧) قول أحد الباحثين:

«ويمكن تلخيص النقاط الهامة...».

أقول: أراد الباحث «المهمة» والفعل أهم، قال تعالى: «وَطَائِفَةً فَدْ أَهْمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ» (١٥٤) سورة آل عمران). فاما «الهام» فهو بناء «فاعل» من الثلاثي «هم»، والهام هو المقدام، الساعي إلى ما يريد، يقال: يهُم الرجل إلى عمله.

ومن هذا الفعل الثلاثي أتى «الهم» وهو الاسم، وهو واحد الهموم.

١٣- وجاء في الصفحة (٦٨) قول أحد الباحثين:

«استخدم الفرنسيون سلطاتهم... مما كان مردوده سلبياً...»

أقول: شاع الفعل «استخدم» بمعنى «استعمل»، وهو لا يؤدي معنى الاستعمال، فقد قالوا: «استخدمته» بمعنى سأله أن يخدمني، و «استخدمه» بمعنى استوهبه خادماً. ولكن «استخدم» في العربية المعاصرة بمعنى «استعمل».

ثم إن «المردود» مصطلح اقتصادي بمعنى ما يرده رأس المال من الفائدة، وليس من المناسب أن يستعار هذا المصطلح في معرض آخر غير اقتصادي. و «المردود»، وهو مصطلح اقتصادي، جاء عن طريق الترجمة وكانه يقابل الفرنسي «revenue».

١٤- وجاء في الصفحة (٦٨) قول الباحث:

«وأضاف أن مما يُؤسف له حقاً...»

أقول: والفعل «أَسِفَ» والمصدر «أَسْفٌ» يتطلب حرف الجر «على»،

قال تعالى:

«يَا أَسَفِي عَلَى يُوسُفَ» ٨٤ سورة يوسف.

١٥- وجاء في الصفحة (٩٢) في قرارات المؤتمر:

«القرار الأول: كل ثلاثة حذفت فاءه أو لامه، سواء عُوض عنها بحرف كالباء (مثل: عِدَة وسِنَة) أو ألف الوصل (مثل: ابْن) ...».

أقول: إن التاء في «عِدَة وسِنَة» ليست عوضاً عن فاء الكلمة المحذوفة وهي الواو، بل التاء هي تاء التأنيث، وأما الواو المحذوفة، وهي فاء الكلمة، فقد حذفت لأنها جاءت مكسورة فالالأصل، «وِعِدَة وِسِنَة»، وبسبب أن الواو لا تحتمل الكسر حذفت، ولم يشذ عن هذا إلا «وِجْهَة» فقد بقيت الواو، ولم تستعمل كثيراً، لأن «وِجْهَة» المحذوفة الواو غلت عليها. وقد وردت «وِجْهَة» في قوله تعالى: «وَلَكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُؤْلِيهَا» ١٤٨ سورة البقرة.

ثم جاء المعاصرُون فاستعملوها في «وجهة نظر» وقد سبق الكلام عليها في هذا الموجز.

أما كلمة «ابن» فلم تكن ألف الوصل تعريضاً من لام الكلمة المحذوفة وهي الواو، ذلك أن «الألف» في «ابن» جيء بها واسطة للوصول إلى الساكن وهو الباء، وهذا قول الخليل بن أحمد في كتاب «العين».

١٧- وجاء في الصفحة (٩٣) في الحاشية كلام في النسب إلى ما كان على وزن «فعيلة» الذي تُحذف فيه الياء عند النسب فقالوا: حنفي نسبة إلى حنفية.

أقول: قيد ابن قتيبة في أدب الكاتب هذه النسبة التي تحذف فيها الآباء بكل علم مشهور كأعلام القبائل كما في حنفية وبيجيلة، وأسماء المدن المشهورة كمدينة الرسول: فقالوا: حَنْفَى وَبِجَلَى، وقالوا السور المدنية، فالشهرة قيد وشرط في هذه النسبة، ولذلك جاء الطبيعي والبدائي عند الجاحظ وغيره لافتقارهما إلى هذا الشرط وهو الشهرة.

١٨- وجاء في الصفحة (٩٧) في قرارات المؤتمر:
«يؤكد المؤتمر بتوصياته السابقة بأن تُعني وزارات الإعلام».
أقول: وليس من حاجة للباء في القول: بأن تُعني . . .

١٩- وجاء في الصفحة (١٠٠) في البحث الموسوم بـ «إذا بين الظرفية والشرطية»: «إن استخدام «حين» ظرف زمان»
أقول: والصواب: استعمال، وقد مرّ بنا معنى الفعل «استخدم» ولا حاجة إلى تكراره.

ثم نأتي إلى البحث البارع المفيد الموسوم بـ «مناهج المصطلح الكيميائي العربي» وقد جاء فيه في الصفحة الأولى (ص ١٢١):

١- «التقييت نخبة من الكيميائيين»
أقول: جاء في ممعجمات العربية أن «التقييت» مثل «لقتيته» أي أن كلها متعددة. غير أنها لم نجد في أدبنا وتراثنا من شعر ونشر أن الفعل «التقي» يصل إلى المفعول من دون واسطة، بل نجد الفعل يصل إلى المفعول بالباء.

٢- وجاء فيها أيضاً:
«وغلب الحماس أحد الحاضرين».

أقول: ليس في تراثنا اللغوي «الحماس» الذي شاع في العربية المعاصرة، بل «الحماسة» هي المعروفة المشهورة.

٣ - وجاء في الصفحة (١٢٥) قول الباحث:
«المصطلح الكيميائي الحديث لم يعد لفظاً...».

أقول: قوله: «لم يعد» من العربية الجديدة التي تأثرت بالأقوال الأجنبية التي نقلت إليها.

ثم آتي إلى بحث وسم بـ «الزمخشي والشعوبية» فأجاد فيه في الصفحة (١٧٧):

١ - حياته :

أي حياة الزمخشري. أقول: وهذه «الحياة» جاءت من ترجمة الكلمة الإنكليزية «Life» أو الفرنسية «Vie».

وكان مصطلح الأوائل هو «السيرة» ومنه السيرة النبوية الشريفة، وسير أعلام النبلاء من الكتب المشهورة، وكذلك «الأعلام والسير».

٢ - وجاء في الصفحة (١٧٩) قول الباحثة:

«تلمند الزمخشري على أبي مصر محمود...».

أقول: والذي يقال: تلمند الزمخشري لأبي مصر...».

٣ - وجاء في الصفحة (١٩١):

«وقد أسهمَ الشعراء العرب...».

قلت في موضع آخر من هذا العدد: إن الفعل «أسهم» مما ولده المعاصرون، والفعل «ساهم» هو المعروف في الأثر، وقد فضلت القول في هذا.

٤ - وجاء في هذه الصفحة أيضاً:

«وكان لهم دور كبير في الرد على الشعوبية...».

قلت في موضع من درسي هذا: إن استعمال «دور» شيء مما جاءت به الترجمة.

ثم آتى إلى بحث تُسمّى «السماح في أخبار الرماح» جاء في «مقدمته» (ص ٢١٥):

١ - وفي الشعر العربي تصوير لأدوات الحرب... تحس من خلاله روح التضحية...».

أقول: وكلمة «خلال» التي في النص لا تؤمِّن إلى الظرفية، وقد جاءت مجرورة بـ «من»، مع أنها ظرف كما مرَّنا بها في هذه الورقات.

واستعمال «خلال» هذا الاستعمال مما شاع في العربية المعاصرة حتى صار هو وأشخاص آخر من لوازمه.

٢ - وجاء في الصفحة (٢٢٦) قول صاحب البحث:

«كانت حياة السيوطني وفقاً على التأليف...»

أقول: استعمال كلمة «حياة» لسيرة الكاتب والشاعر وغيرهما شيء أنت به الترجمة، وقد تكلمنا في موضع في هذه الورقات على هذه المسألة.

٣ - وقد جاء في الصفحة (٢٥٠) قول السيوطني :

«قال دُبيس المدائني الشاعر...».

وقد علق المحققان الفاضلان في الهامش معْرُفين بـ «دُبيس» هذا، وهو: دُبيس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الأَسدي...».

وقد أفادا الترجمة من «الأعلام» للزركلي.

أقول: صحيح أننا لا نعرف دليلاً آخر إلا أنني اتوقف قليلاً في نسبة «المدائي» التي لم أقف عليها في مصادر ترجمته.

٤ - وجاء في الصفحة (٢٥١) قول المؤلف:

«و قال سيف الدين علي بن عمر بن قزل المشد...».

أقول: وقد علق المحققان فترجموا لسيف الدين هذا ورجعا إلى المصادر المعنية بذلك، ولكنهم لم يشيرا إلى كلمة «المشد»، التي هي وظيفة أو ديوان هو ديوان المشد من رسوم العصور المتأخرة.

وضبطه بكسر الميم لا فتحها كما فعل المحققان.

٥ - وجاء في الصفحة (٢٥٦) في ملحق «الرسالة»:

(أذن) رُمح أزني وأيَّزني وأازني: منسوب إلى ملك حمير ذي يَّزن.

أقول: وأضيف «يَّزني» وهو أشهر مما ذكر، ولذلك قالوا: الرماح اليَّزنية.

ثم آتى إلى باب التعليقات والمناقشات فأجاد: قراءة في ديوان إسماعيل بن يسار للدكتور نوري حمودي القيسي وقد أخذ على جامع الديوان الدكتور يوسف بكار فقال: «أورد البحترى في حماسة ثمانى قطعات نسبت ست منها إلى إسماعيل بن بشار واثنتان منها نسبتا إلى إسماعيل بن بشار الكنانى، واعتمد المحقق على اجتهاد الأب لويس شيخو الذي اعتقاد أن بشاراً تصحيف ليسار فنسب القطع إلى إسماعيل بن يسار، وجريأاً على هذه النسبة الحق المقطعتين اللتين وردتا في الحماسة والمنسوبيتين إلى إسماعيل بن بشار الكنانى إلى إسماعيل بن يسار...».

يقول الدكتور القيسي: وفي هذه النسبة خطورة كبيرة...».

أقول: وكان على الدكتور أن يأتي بأدلة يثبت أن المقطعتين هما لإسماعيل بن بشار ويعرف به ليثبت حقيقة ما شئ فيه.

٦ - وجاء في هذه الصفحة في كلام الدكتور القيسي :
«حاولت أن أشير إلى مصدر واحد فقط وهو أقرب إلى كل المصادر لما يمكن أن يحتاجه [كذا] من أبيات . . .».

أقول : لعل «يحتاجه» تدرج في الخطأ المطبعي ، والأصل «يحتاجه». وقد شاع هذا الفعل لدى جامعي الشعر القديم في عصرنا للشعراء الذين لم تصل إلينا دواوينهم. وأصل هذا الفعل هو «الحاجج» وهو إملاء الشيء عن وجهه ، و «المُحاجج» هو الكلام الملوى عن وجهه. و «احتاججته» لنفسه دون أصحابه ، أي استأثر به . و «الاحتجان» : جمع الشيء وضمه إليك ، و «احتاجن» عليه : حجر عليه ، و «احتجان» المال : إصلاحه وجمعه وضمّ ما انتشر منه .

أقول أيضاً : إن استعمال المعاصرين لهذا الفعل قد أخذ من الجمع وضمّ المتنشر من المال مع إصلاحه .

ثم آتي إلى البحث الموسوم بـ «نحو مجمع للخيل والخيالة» :

١ - أقول : وقد استعمل صاحب البحث الفعل «كرس» واسم المفعول «المكرّس» غير مرة ، وهذا الفعل مما أدخله النصارى العرب في العربية ، وهو من السريانية ، ودلالة التكريس لدى السريان رسوم دينية نصرانية ، ولكنه شاع في العربية المعاصرة مع إغفال حقيقته .

٢ - وقال صاحب البحث في الصفحة (٢٩٠) :

«الحصان المحلي الهجين : عملياً كل خيول العالم . . .».

أقول : إن بدء الجملة بقوله : عملياً بدء مخل تأبه العربية . . .

٣ - وجاء فيها أيضاً :

«هي الخيول الأوروبية قبل أن يتعرّف عليها الغربيون» .

أقول: والصواب: قبل أن «يُتَرَّفِّهَا» الغربيون، والفعل «تَعْرُفُ» متعدي بنفسه، قال الشاعر القديم:
وقالوا تعرُّفُها المنازل من مينٌ وما كُلُّ من وافى مينٌ أنا عارفٌ
خاتمة:

هذه مسيرة في هذا العدد من المجلة رأيت أن أضيف فيما كتبت شيئاً يتصل بتاريخ العربية.

ثالثاً : تعليقات ومناقشات

الكتاراكت

أَسْمَاءُ هَجَيَّنَهُ وَالْأَصْنَلُ عَرَبِيٌّ

الدكتورة سري مسجع العيش

مع أن المعجم الطبي الموحد قد وضع آلاف المصطلحات ووافق على اعتماد تسميات علمية عربية قديمة لمدلولات طبية، كانت من الوضوح والسهولة ورشاقة اللفظ بمكان، إلا أنها لا نزال نقرأ في المقالات العلمية والطبية التي تتصدر المجالات العلمية والثقافية العربية، وكذلك نرى في التقارير الطبية كتابة أسماء الأمراض ملفوظة باللغات الأجنبية ومصورةً بحروف عربية. وهنا نتساءل أتراه الإصرار على الاستهانة بتعريب الكلمات الطبية، أم توهم بعض الأطباء بأنهم يزيدون رفعاً وتفوقون شأنًا حين يزخرفون تقاريرهم بكلمات أجنبية، أم هو الجهل عن حسن نية بأن لتلك الألفاظ الطبية مرادفات عربية أجمل وأحلى وأصدق تعبيراً... علمًاً بأن الكثير من الكلمات الطبية هي ذات تسمية عربية أصلًاً.. كما هو الأمر في كلمة **السَّاد**. والساد كلمة تطلق على المرض الذي يصيب العدسة البلورية في العين بالكثافة فتصبح بيضاء كامدةً ظليلة بعد أن كانت شفافةً رائقةً، مُعيق الرؤية وتحدث العمى. ومع أن كلمة الساد تقاد تصريح شائعة لدى معظم الناس في عالمنا العربي ومن فيهم الأطباء إلا أنها نجابةً حتى في الكتابات الطبية الأدبية المنتشرة في أشهر المجالات الثقافية العربية^(١) بكلمة كتاراكت بدلاً منها فمن أين جاءت هذه الكلمة (كتاراكت)؟.

لقد ظهرت كلمة كتاراكت في أول ترجمة لاتينية لكتاب طبي عربي^(٢). وتذكر كتب تاريخ طب العيون أن أول من استعمل هذه الكلمة هو قسطنطين الإفريقي أو كما يسميه الغرب كونستانتينوس أفريكانوس الذي ولد

في مدينة قرطاج عام ١٠١٥ للميلاد وكان مسلماً ولكنه وبظروف غامضة تهود ثم تنصر وأصبح راهباً في دير مونت كازينو وربما كان له تأثير كبير في نشوء مدرسة ساليرنو في إيطاليا وقد توفي عام - ١٠٧٨ م^(٣). وقد ذكر في كتابه باللغة اللاتينية المسمى (كتاب العين) كلمة كتاراكت إثابة عن المرض المسمى نزول الماء أو الماء النازل في العين. وقد تبين أن (كتاب العين) الذي ادعى قسطنطين الإفريقي أنه ألفه وأهداه إلى تلميذه جوهانس لعدم توافر كتاب عن العين باللغة اللاتينية - ليس إلا ترجمة حرافية لكتاب (العشر مقالات في العين) الذي ألفه حنين بن إسحق العبادي (٨٠٨ - ٨٧٣ م) وأن قسطنطين الإفريقي ما هو إلا ناقل دعى ترجم الكتاب إلى اللاتينية ثم ادعى تأليفه وطمس اسم صاحبه وغيب ذكره عمداً^(٤). وقد وضع كلمة كتاراكت عنواناً للفصل السابع والعشرين من الكتاب. وعندما عاد ديمتريوس وترجم الكتاب إلى اللاتينية وضع عنوان الفصل السابع والعشرين كلمة صفوزيون ومعناها الارشاح، للدلالة على نزول الماء في العين. فلما ترجم جيراردوس من كريمونة (١١٤٤ - ١١٨٧) كتاب أبي القاسم الزهراوي (التصريف لمن عجز عن التأليف) ترجم عبارة قدح الماء النازل في العين بعبارة: علاج الماء النازل في العين أو الكتاراكتا. بينما وردت في ترجمة كتاب (القانون) لابن سينا وكتاب (المتصوري) للرازي كلمة الماء للدلالة على المرض العيني ذاته، ولم تستعمل كلمة كتاراكت^(٥).

حتى إن غي دي تشورلياك أشهر طبيب فرنسي في القرن الرابع عشر ذكر في كتابه كلمة الماء واعتبره خطأ مرحلة سابقة لحدوث الكتاراكتا^(٦) وقد اقتبس ثنتين وستين مرة من كتاب (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى ، في كتابه الشهير الجراحة الكبرى. وهكذا شاع استعمال كلمة كتاراكت التي تعني باللاتينية شلال الماء وأصبحت النموذج المحتذى في الترجمات اللاتينية للكتب الطبية العربية في القرن الثاني عشر وما بعده^(٧). وهكذا نرى

أن قسطنطين الإفريقي هذا ولكرهه للأصل العربي الذي تنكر له وللإمعان في التمويه وإخفاء أصل الكتاب الذي ترجمه إلى اللاتينية وانتحله لنفسه اختار كلمة كتاراكت وهي مشتقة من أصل يوناني وتعني الباب السادس الذي ينزلق من الأعلى إلى الأسفل فيسد مجرى الماء، علمًا بأن الأطباء الإغريقين القدماء الذين تتلمذ الأطباء العرب أصلًا عليهم لم يستعملوا كلمة كتاراكت للدلالة على داء الساد وإنما استعملوا كلمة صفوزيو التي تعني الارتشاح^(٣). وعلى كل لم يقتبس من (كتاب العين) الذي ادعاه قسطنطين ولم يرجع إليه الكثير من أطباء أوروبا في القرون الوسطى^(٤) ما عدا روجر بيكون الذي اعتمدته في شرحه الجهاز البصري.. علمًا بأن روجر بيكون هذا قد اتهم من قبل كثيرين بأنه استنسخ نظرية ابن الهيثم وتطبيقاتها بالنسبة إلى العدسات المكبرة^(٥).

ثم عرف العالم أجمع أن الداء ليس ماء وليس نزول ماء في العين أو انصاباته فيها وإنما هو مرض في عدستها البلورية يصلب ويكتشف ويعتم ويغير الطبيعة الشفافة فيها وذلك عندما شرح العالم الألماني ورنر نورفيлик عام ١٦٥٦^(٦) للمرة الأولى عين إنسان ميت كان قد أصيب في حياته بالداء المسمى نزول الماء في العين، فاكتشف أن المرض هو في العدسة البلورية ذاتها. ومع ذلك فقد بقي الأوروبيون يستعملون كلمة كتاراكت لاعتباراتها التاريخية ولدلالة على مرض العدسة البلورية. واستبدلنا بكلمة الساد كلمة الماء ذات الدلالة المقلوبة. وال الساد أبلغ في الإشارة إلى الداء الذي يسد مجرا النور ويعيق شلال الضياء عن عبور العين. وقد شاعت هذه الكلمة في الأوساط الطبية العربية، وقبل بها وتبناها المعجم الطبي الموحد^(٧)، فلم يتغير والنشروز عند كتابة الأدب الطبي.

المصادر العربية والأجنبية :

- ١ - د. سامي محمود علي : عيناك .
مجلة العربي العدد ٣١١ ص ٩٨ - ١٠٣ ، ١٩٨٤ م / ١٤٠٥ هـ
- ود. سعيد السماهيجي : علاج للكتاراكت بدون جراحة .
مجلة العربي - العدد ٣٧٠ ، ص ٤٢ ، ١٩٨٩ م / ١٤١٠ هـ
- Julius Hirschberg, in History of Ophthalmology Vol. 2 P. 261 - ٢
translated to English by Frederick C. Blodi 1985
- Julius Hirschberg. The monastic Medical Sciences. in The - ٣
Transaction of the Royal Prussian Academy of Scien. XI.IX 1903.
- Guy de Chauliac, La Grande Chirurgie page XLVII Publisher - ٤
E. Nicaise 1890.
- The American College Dictionary Publisher Random House - ٥
Toronto page 189 , 1980.
- Transaction of the Royal Academy of Paris: page 2 - 3 1706 - ٦
- Julius Hirschberg, The books of ophthalmology and Ophthalmologists of the Lated Middle Ages, in The History of Ophthalmology Vol. 2 P. 257 Translated by Frederick Blodi 1985. - ٧
- ٨ - د. سرى سبع العيش - ابن الهيثم رائد علم البصريات ، المجلة
- Julius Hirschberg. Dispute about the nature of cataract in History - ٩
of Ophthalmology, Vol. 3 page 5 Translated to English by Frederick C. Blodi 1984.
- ١٠- المعجم الطبي الموحد، ص ١٤٨ ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .

المُسْتَدِرُكُ عَلَى «الْمُعَجَّمِ الْعَرَبِيِّ الْأَسَاسِيِّ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ شَاكِرُ سَعِيدٌ

مما لا شك فيه أن للمعاجم اللغوية أثراً بالغاً في جمع أبناء اللغة، وفي الحفاظ على اللغة وتسهيل تجددها ومتابعتها للتطور الطبيعي.

ومن المؤكد أن إعداد معجم عصري دقيق أمر يصعب على الأفراد، فهو بالرغم من حاجته إلى ضرورة الدراية الكاملة بتراث الدراسات اللغوية العربية، فإنه يحتاج إلى معرفة تامة بما وصل إليه علم اللغات في مجال الصوتيات والدلالات والتركيب، وهو يحتاج إلى اتصال دائم بالمحظيين في العلوم المختلفة للاطلاع على كل جديد في علومهم من حيث الدلالات والاشتقاقات والمحضات من الألفاظ والتركيب، هذا إلى جانب ضرورة الاطلاع على التراث العلمي العربي للإفاداة منه في وضع الألفاظ العربية للمصطلحات الأجنبية.

وقد كانت فرحتنا عظيمة عندما تلقينا نسخة صدور «المعجم العربي الأساسي» عن «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»، لفتتنا أن عملاً معمجياً عصرياً كهذا لا يتوقع له النجاح إلا إذا تبنته منظمة عربية عامة تستطيع أن تؤمن له - إلى جانب النفقات المالية الباهضة - النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء في علوم العربية وأسرارها، ولاقتناها بحاجتنا المستمرة إلى

معاجم عصرية تتبع المعاني الاصطلاحية التي تكتسبها الألفاظ في تطورها التاريخي المستمر.

ولكن ما إن أجلت نظري في ذلك المعجم حتى هالني ما وجدت، ففي الوقت الذي ينبغي فيه أن يكون «المعجم» مرجعاً يحتمل إليه للتأكد من صحة ضبط الألفاظ ونطقوها ومن صحة رسم حروفها، فإنني وجدت «المعجم العربي الأساسي» لا يصلح لهذا الأمر لما جاء فيه من أخطاء نتيجة التسرع في إنتاج ما حقه الدقة والأنانة.

وقد قسمت أخطاء هذا المعجم إلى ما يلي :

* أخطاء في الآيات القرآنية :

ففي الوقت الذي يجب أن يحرص كل مسلم على دقة نقل الآيات القرآنية نقلأً أميناً في جميع الحالات؛ نجد في «المعجم العربي الأساسي» اثنين وتسعين خطأً في الآيات القرآنية سواء من حيث الضبط أو عدم دقة الألفاظ، ومنها على سبيل المثال :

- ص ٣٨٩ مادة (خردل) جاء فيها: «يا بني إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ قَالَ حَبَّةٌ مِّنْ خَرْدَلٍ...» والصواب: «يَا بَنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ قَالَ حَبَّةٌ مِّنْ خَرْدَلٍ...» (١٦ لقمان).
- ص ٥٦١ مادة (روح) جاء فيها: «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ يَجَادِلُهُ فِي قَوْمِ لُوطٍ...» والصواب: «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ وَجَاءَهُ أَهْلَسَرَى يَجَادِلُهُ فِي قَوْمِ لُوطٍ...» (٧٤ هود).
- ص ٧٥٤ مادة (صوب) جاء فيها: «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ

وإنا إلَيْهِ راجعون» والصواب: «أَلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ إِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (١٥٦ البقرة).

- ص ١٢٥٣ مادة (هجر) جاء فيها: «والرُّجُز فاهجر» والصواب: «وآل الرُّجُز
فَاهجُرْ» (٥ المدثر).

* أخطاء في المعلومات :

- ص ٤٥ سطر ٦ جاء فيها: يقال «واحد» ومؤنثه «إحدى» في المركب،
ويقال «أحد وإحدى وواحدة» في المعطوف. والصواب أن «أحد» ومؤنثه
«إحدى» في المركب، قال تعالى: «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ
وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ». (٤ يوسف) ويقال «واحد وإحدى وواحدة»
في المعطوف.

- ص ٤٨ سطر ١٠ جاء فيها: «حيث»: لا تضاف إلا إلى الجملة: اذهب
حيث تشاء. وهذا الحكم يجب لا يطلق على إطلاقه في مؤلف علمي
حيث جاء على ألسنة العرب قول الشاعر:

أما ترى حيث سهيل طالعا نجم يضيء كالشهاب لاما
وقول الآخر:

ويطعنهم تحت الحجا بعد ضربهم ببعض المواضي حيث لي العمائم
ولهذا رأى بعض علماء العربية جواز إضافتها إلى المفرد [ال نحو
الوافي، لعباس حسن ٣: ٧٨].

- ص ٤٩ سطر ٢٠ جاء فيها: الفضم والكسر يكونان في الاسم والحرف،
حيث متى، أمسى. والصواب أن البناء على الفضم يكون في الأفعال

أيضاً كما في «العبوا» و «سمعوا» حيث يبني الفعل الماضي على الضم
إذا اتصلت به واو الجماعة .

- ص ٤١٠ مادة (منخفض) جاء فيها: **مُنْخَفَضٌ**: مفعول من انخفض على
غير قياس . والصواب : أنها اسم مفعول من انخفض على قياس ، حيث
إن اسم المفعول من الزائد على ثلاثة أحرف يكون على وزن المضارع
مع إبدال حرف المضارعة مماً مضمة وفتح ما قبل الآخر ، وهكذا
في : انخفض ، منخفض .

- ص ٤٥٢ مادة (تداعى) جاء فيها الحديث الشريف : «كمثل الجسد إذا
اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى». ورواية الحديث
مشهورة : «كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر» (رواه البخاري ومسلم) .

- ص ٤٤٤ مادة (رقم) جاء فيها أن الأرقام ١, ٢, ٣... هي الأرقام العربية ،
والأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ... هي الأرقام الهندية . وهذه المعلومة ليست
دقيقة ، وهي تحتاج إلى وقفة أطول في غير هذا الموضوع . (انظر تاريخ
علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكر ، رحبي بك الخالدي ،
ص ١٠٣) .

- ص ٧٢٣ مادة (الصخرة) جاء فيها: قبة الصخرة: مسجد بناء الخليفة
الأموي عبد الملك بن مروان فوق الصخرة المقدسة التي صلى عليها
ال الخليفة عمر بن الخطاب عندما دخل القدس . والصواب : أن المسجد
الذي بني على المكان الذي صلى فيه عمر هو المسجد العمري ، مقابل
كبسة القيامة . وأما قبة الصخرة فهو مسجد على الصخرة التي عرج
باليه محمد ﷺ ، من فوقها إلى السماء في حادثة الإسراء والمعراج .

- ص ١١٨ مادة (مثال) جاء فيها: المثال: المعتل الفاء من الكلمات مثل: وعد، يسير، وعاء. والصواب أن المعتل الفاء من الأفعال هو المثال. وأما مثل «يسير» فليس فعلًا معتلًا، لأن المعتل من الأفعال: ما كان أحد حروفه الأصلية حرف علة، أما الياء في «يسير» فليست حرفاً أصلياً بل هي حرف مضارعة. وكذلك في «وعاء» فالكلمة اسم وليس فعلًا.

* عدم وضع علامات الترقيم حيث كان يجب وضعها:

علامات الترقيم أثر واضح في توضيح المعنى، وهي تساعد القارئ على الفهم والاستيعاب، ولكن «المعجم العربي الأساسي» على الرغم من ذكره أهمية هذه العلامات (ص ٥٨) وعرضه الموجز لاستعمالاتها إلا أنه لم يتلزم بها في مثاث الموضع، حيث إنه لم يتلزم بوضع الشرطة (-) بين العدد والمعدد عند ترقيمه لمعاني الألفاظ، ولم يضع فاصلة أو نقطة عند نهاية كل معنى ليفهم القارئ أنه انتقل إلى معنى جديد، مما يوقع القارئ في اللبس.

* وصل همزة القطع:

همزة القطع يجب أن ترسم على الألف دائمًا في بدء الكلمات، وقد نص «المعجم العربي الأساسي» على ذلك (ص ٥٣)، ولكنه لم يتلزم برسوها في معظم الكلمات التي همزتها همزة قطع مما ورد في صفحات المعجم.

ويكفيني أن أشير إلى أن الصفحة التي أشارت إلى «المشاركون في وضع المعجم وإعداده» ص ٤ جاء فيها:

الإعداد الفني والإشراف الإداري

حيث إن الكلمات: الإعداد، والإشراف، والإداري، كان حقها أن تضاف إليها همزة القطع في كل كلمة منها.

وإن الصفحة الأولى من المقدمة (ص ٥) التي كتبها د. محبي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قد اشتملت على عشر كلمات همزتها همزة قطع ولكنها لم ترسم منها: الإسلام، الإسلامي، الإسلامية، الإنسانية، الإنسان... .

ومثل ذلك كثير جداً جداً.

* قطع همزة الوصل :

من المعروف أن همزة الوصل لا ترسم على الألف مطلقاً في بدء الكلمات، كما نص على ذلك «المعجم العربي الأساسي» (ص ٥٢).

- ولكن من يتصفح أوراق المعجم يجد أنه قد رسم الهمزة على الألف في عشرات الكلمات التي همزتها همزة وصل، ومن ذلك على سبيل المثال:
- ص ٧٣١ مادة (صراط) جاء فيها: «إهذنا الصراط المستقيم» والصواب «آهذنا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» (٦ الفاتحة).
 - ص ٧٣٦ مادة (صغير) جاء فيها: «وقل رب إرحمهما كما ربياني صغيراً» والصواب: «وَقُلْ رَبِّ آرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا» (٢٤ الإسراء).
 - ص ١٠٧٨ مادة (ملحق) رقم ٤ جاء فيها: «ملحق الإنفاقية» والصواب: «ملحق الإنفاقة».
 - ص ١٠٨٨ مادة (لطيف) جاء فيها: «يا لطيف المنتزل أطف بنا فيما نزل»، والصواب: «يا لطيف المنتزل أطف بنا فيما نزل».

- ص ١٠٩٠ مادة (لعل) جاء فيها: «وهي تدخل على الجملة الإسمية فتنصب الإسم وترفع الخبر...» والصواب: «وهي تدخل على الجملة الإسمية فتنصب الاسم وترفع الخبر...»

ومثل ذلك كثير في ص ١١١٠ (الاسم)، ١١١٦، ١١٣٦ (للجهادات)، ١١٧٣ (الاسم)، ١١٧٦ (الامتحان)، ١١٩٨ (الانحراف)، ١٢٢٩ (الاستههام)، ١٢٠٦ (الاجتماع)، ١٢١٠ (الاستفهام)، ١٢٢٩ (الاسم) ...

* أخطاء طباعية :

يكاد لا يخلو كتاب مطبوع (عدا القرآن الكريم) من أخطاء طباعية؛ لأن الكمال لله وحده، ولكن القضية نسبية، فإذا كثرت الأخطاء الطباعية عد ذلك من التقصير في مراحل المراجعة والتدقيق.

وفي «المعجم العربي الأساسي» كثير جداً من الأخطاء الطباعية التي لم نكن نتوقع مثلها في كتاب كان من المفترض أن يكون مرجعاً، بل حجة في الدقة والإتقان في كل ما ورد فيه.

وقد قسمت هذه الأخطاء إلى ما يلي:

- زيادة بعض الكلمات، ومن ذلك:

ص ٣٦٧ مادة (حاله) جاء فيها: تدل على حاله على ...

والصواب: تدل حاله على ...

- حذف بعض الكلمات:

حيث سقطت بعض الكلمات من السياق، ومن ذلك:

ص ٥٣٧ مادة (دفع) جاء فيها: مدفوع الإمساك عن الطعام والشراب قبل الفجر أشهر رمضان . والصواب: ... في أشهر رمضان .

- عدم تشديد ما حقه التشديد من الحروف؛ وهذا مما يوقع القارئ في اللبس ، ومن ذلك :

ص ٥٣٦ مادة (رفع) جاء فيها: رفع قبعته: حياء وسلم عليه . فإن كلمة «حياء» حقها أن تكون مشددة الياء .

ص ١١١٨ مادة (ممثل) جاء فيها: من يزاول مهنة التمثيل في المسرح أو في السينما... وحق كلمة «السينما» أن تكون مشددة السين لثلا تقرأ اللام قمرية ، ومثل ذلك كثير في اللامات الشمسية .

- عدم الدقة في رسم الهمزة: يشكل رسم الهمزة عبئاً على كثير من المبتدئين في كتابة العربية ، ويعتبر إتقان رسمها لوناً من ألوان الإجادة في الكتابة العربية ، ولكن «المعجم العربي الأساسي» لم يكن دقيقاً في رسم الهمزة مع أن كثيرين يحتكمون إلى المعاجم لمعرفة كتابتها في بعض الألفاظ ، فإلى جانب عدم الدقة في رسم همزة الوصل وهمزة القطع كما سبق ، فقد وقعت أخطاء طباعية متعددة في رسم الهمزة ومنها:

ص ١٢٢ مادة (آوى) كلمة اللاجيء كتبت هكذا [اللاجيء] .

ص ١٣٦ مادة (مبدأ) كلمة مباديء كتبت هكذا [مباديء] .

ص ٨٨٦ مادة (غث) كلمة رديء كتبت هكذا [ردييء] .

ص ٣٦٧ مادة (حالة) كلمة سيء كتبت هكذا [سيء] .

ص ٤٣٤ مادة (أدب) كتب مصدرها هكذا [إداء آبا] وصوابه «إدآبا» .

ص ٤٣٤ مادة «إدَاب» صوابها «إِدَاب».

ص ٤٧٩ مادة «ذاريء» كتبت هكذا [ذاريء].

ص ٧٢٨ مادة (صدمة) فيها: نازلة تفاجيء الإنسان، كتبت هكذا [نازلة تفاجيء الإنسان].

- إلصاق بعض الكلمات التي حقها التفريق أو العكس:

ومن ذلك ص ٥٠١ مادة مربيع: ماله أربعة أضلاع، كتبت هكذا [ماله فالقاريء يراما مال منسوب إلى الهاه].

ومثله في ص ٨٨٩ مادة (أغر): ماله غرة.. وصوابها ماله غرة.. .
وعكسه في الصفحة نفسها ٨٨٩ مادة (غر) حيث جاء فيها: لم يكن
ليفعل هذا لولا أن غرر به أصحابه. وصوابها «لولا».

* أخطاء في ضبط الألفاظ:

ضبط الحروف العربية ميزة من ميزات لغتنا؛ لأن الكلمات تختلف باختلاف ضبطها معنى ودلالة، وعلى الرغم من أهمية الدقة في ضبط الألفاظ في الكتب بعامة وفي المعاجم وخاصة فقد وقعت أخطاء كثيرة في ضبط الحروف في «المعجم العربي الأساسي» تزيد على المئات - مع الأسف الشديد - أذكر منها على سبيل المثال:

ص مادة	الخطأ	الصواب
٧٥٠	صندوق السيارة	صندوق السيارة
٧٥٠	صنع التجار منضدة	صنع التجار منضدة
٧٥١	استصنعت الصانع خاتما	استصنعت الصانع خاتما
٧٥١	صنع «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»	«وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»

ومثل ذلك كثير جداً لا يليق «بمعجم» عصري.

* أخطاء تحريف :

وهناك أخطاء حرفت بعض الألفاظ نتيجة السرعة في الإنجاز نذكر منها:

- ص ٣٣٥ مادة (حقيقة) جاء فيها: حمل المسافرين حقائبهم بعد تفتيشها في المطار. وصوابها: حمل المسافرون..

- ص ٣٥١ مادة (الحمداني) جاء فيها: وهو شاعر فارسي ابن عم سيف الدولة. والصواب: وهو شاعر فارس..

- ص ٩٣٩ مادة (فضة) جاء فيها «ويطاف عليهم بصحاف من فضة» والصواب: «يُطَافُ عَلَيْهِم بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ» (٧١ الزخرف).

هذا إلى جانب عدم الدقة في وضع الحركات على الحروف حيث انتقلت الحركات من الحروف المقصودة إلى حروف المجاورة، وتقريب الحركات من نقط الحرف، مما يؤدي إلى التباس الأمر على القارئ، وطمس بعض الحروف أو تأكلها مما يضيع الفائدة على القارئ، وزيادة بعض النقاط لبعض الحروف أو حذفها من بعضها الآخر، وتنوين بعض الحروف وهي لا تستحق التنوين أو العكس. إلى غير ذلك من القضايا التي ينبغي أن تكون أساسية في (المعجم) ليستحق أن يكون حجة يحتكم إليه في القضايا اللغوية.

ويؤخذ على «المعجم العربي الأساسي» بالإضافة إلى ما ذكرنا خلوه من الصور في حين أن المعاجم العصرية تباهي بتزين صفحاتها باللوحات التوضيحية التي لا غنى عنها في توضيح بعض المadicat ونحوها.

ويؤخذ عليه استعمال بعض الرموز المكرورة، كاعتماده رمز «صلع» بدل ~~ج~~ واستعماله بعض الأيمان غير الشرعية كما جاء في ص ٣٨١ مادة (ختمة): وحياة الختمة: قسم بالقرآن الكريم.

وعلى الرغم من هذه الأخطاء أو السلبيات في «المعجم العربي الأساسي» فإنني أسجل له المميزات التالية:

- صدر المعجم بتمهيد رائع شمل ملخصاً مفيداً عن: نشأة اللغة العربية، وخصائصها، ونظامها الصرفية، وقواعد إملائها، وقد عرضت هذه المعلومات عرضاً ميسراً واضحاً يحمد عليه واضعوها ويشكرهن.
- أشار المعجم في بعض المواقع إلى استعمالات قطرية خاصة، ولكن هذه الإشارات غير شاملة، وكان التركيز فيها على الألفاظ التونسية بشكل خاص، ولو شملت استعمالات كثيرة من الأقطار العربية الأخرى لكان ذلك أكمل وأشمل.
- تناول المعجم عدداً من المصطلحات الجديدة الحضارية والعلمية والتكنولوجية وهذه متابعة جيدة للجديد في اللغة يحمد عليها واضعو المعجم.
- اعتمد المعجم كثيراً من الألفاظ المولدة المعاصرة والدخيلة التي دخلت الحياة واستعملها رجال الفكر والثقافة التي أقررتها المجامع اللغوية العربية، ولكنه اعتمد إلى جانب ذلك بعض الألفاظ التي لم تقرها المجامع اللغوية بعد، مثل «شيخ» بمعنى ممتع أو جذاب، وتواجد: بمعنى وجد.

وبعد :

فلما أثارته هذه النسخة من «المعجم العربي الأساسي» فإنني أقترح ما يلي :

- عدم إجازة طباعة أي معجم في أي بلد عربي إلا بعد إجازته من أحد مجاميع اللغة العربية.
- سحب هذا المعجم من الأسواق وحظر تداوله.

- أن تتعاون المجامع اللغوية العربية على إعداد معجم عصري شامل :
كامل ، وسيط ، وجيزة بحيث يشمل ألفاظ الحضارة والعلوم بمستويات
مختلفة ، وأن تعاد طبعاته سنوياً ليشمل ما يستجد من ألفاظ الحضارة
والعلوم ، لتبقى لغتنا مواكبة لمظاهر التوسع والارتقاء والحيوية . . .

رابعاً : أخبار مجتمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل شكر وتقدير للمجمع

١ - رسالة من جلالة الملك الحسين المعظم

تلقي الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، رسالة شكر وتقدير من جلالة الملك الحسين المعظم، على إهدائه جلالته أحدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ونسخة من كتاب (الإملاء المختصر في شرح غريب السير) تحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وهذا نصها:

عطوفة الدكتور عبد الكريم خليفة المحترم،
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

تحية طيبة وبعد ،

فيسرني أن أنقل لعطفتكم شكر وتقدير صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم على إهداء جلالته أحدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني مع نسخة من كتابكم شرح غريب السيرة النبوية تحت عنوان (الإملاء المختصر في شرح غريب السير).

مع أطيب تمنيات جلالته لكم بموفور الصحة والعافية، راجياً لكم دوام التوفيق والمزيد من العطاء الفكري والعلمي لخدمة بلدكم وأمتكم.

وأقبلوا فائق الاحترام

٢ - رسالة من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم

تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع رسالة شكر وتقدير من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم، على إهدائه سمه نسخة من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، ونسخة من كتاب (الإملاء المختصر في شرح غريب السير) تحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وهذا نصها :

سعادة الدكتور عبد الكريم خليفة المحترم
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

تحية طيبة وبعد،

فأشير إلى كتابكم رقم ١٣٥٠/٥/٨ تاريخ ٢٨/٩/١٩٩١م،
ويسرني أن أنقل إليكم خالص تحيات وأطيب تمنيات صاحب السمو
الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم، وشكراً وتقدير سمه حفظه الله
لأهدائكم سمه نسخة من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، وكذلك
نسخة من كتابكم «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» هذا، وقد أثني
سموه على جهودكم الخيرة التي تبذلونها في سبيل خدمة وطنكم وأمتكم،
وستبقى هذه الجهود موضع التقدير والاعتزاز.

مع أطيب التمنيات لكم بدوام التوفيق والنجاح.

وأقبلوا فائق الاحترام

المشاركة في المؤتمرات

تلقي الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع، دعوة من رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، للمشاركة في مؤتمر المجمع للدورة الثامنة والخمسين الذي سيعقد خلال الفترة ١١ / ٢٨ / ١٩٩٢م، كما تقرر أن يكون الموضوع الرئيسي لهذا المؤتمر (تعريب التعليم الجامعي). وسيشارك الأستاذ الرئيس بموضوع عنوانه «المصادر والمراجع والدوريات في عملية تعريب التعليم الجامعي».

الموسم الثقافي العاشر لمجمع اللغة العربية

عقدت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع اجتماعين لاختيار المحور الرئيسي للموسم الثقافي العاشر للمجمع لعام ١٩٩٢م، وتحديد عنوان ندواته ومحاضراته، وقد أقرت اللجنة ما يلي :

أولاً : يكون المحور الرئيسي للموسم الثقافي العاشر للمجمع بعنوان «اللغة العربية ودورها في تأكيد هوية الأمة العربية». ثانياً : يتالف الموسم الثقافي من ثلاثة محاضرات وندوتين على التحول التالي :

١ - هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدى لعقيدتها وقيمها.

٢ - هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدى اللغوي.

٣ - هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدى الإعلامي.

أما الندوتان فال الأولى بعنوان «هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحديات السياسية والثقافية والحضارية المعاصرة» والثانية بعنوان «الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحدى العلمي والتكنولوجيا الحديثة».